أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

التازي: في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والمؤرخين العرب

العدد (٥٤٥) محرم ١٤٣٢هـ - ديسمبر ٢٠١٠م

التوجيه القرآني وشمولية النهضة

الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

نقل الفتوى من كتب المتقدمين

أسرة التحرير

تهنئكم بحلول

العام الهجري الجديد

الافتتاحية

حجة لك أو عليك

القرآن يهدي الساري، ويرشد العابر، من سار على ضوئه نجا ووصل، ومن أعرض ضل وهلك، أنزله الله ليكون للعالمين سراجًا منيرًا، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو العروة الوثقى، لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفرائده عند أهل العلم تحديد، ولا يخلقه عند أهل التلاوة ترديد، الدال على البيان في أنواع العلوم والأحكام، المبين عند اختلاف الأنام، في أصول الدين وشرائعه، وتفصيله وجوامعه، عدة على المخالفين، وحجة على المبتدعين، فإن أكثر من ضل منهم ضل بتركه تمييز كتاب رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصاره على مخاريق أهل الكلام، وما وشّوه به من رائق النظام، الذي لا يفيد محصولًا، ولا يشيد معقولًا، أولا يفكر أن الله عبد بهذا الدين قبل أن يخلق، وكان حجة على عباده واضحة، ويقولون عليه، ويدعون من خالفهم إليه، متبعين فيه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٥)، وهل يحسن بذي حجى أن يعين عقله في اتباع من يجهل عدله، ولا يفحص عن دينه بروية نظره، ويأتي الأمر من أقصد أبوابه، فيعلم أن ما لم يكشف عنه القرآن الذي جعله الله لكل شيء تبياناً لم يكشف عنه سواه، وهل كل من زخرف من المبتدعين كلامًا، وعُدّ فيما ألفه من البدعة إمامًا، إلا بشر مثله، فما باله يقول عليه، ويتهم نفسه في خلاف ما سبق إليه، فنحمد الله على حسن الهداية، ونستمده بالكفاية.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٥

العام الثامن والأربعون

محرم ١٤٣٢ هـ

ديسمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

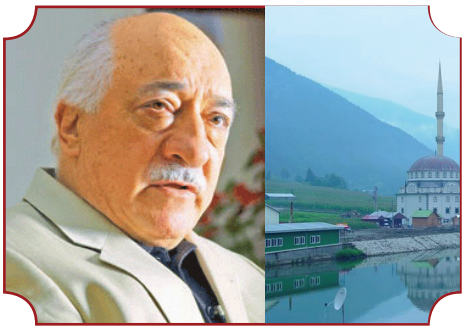

فتح الله كولن.. الإلهام والعبرة ١٦

موضوع الغلاف

مهما تعاقبت العصور والدهور يظل القرآن الكريم منهاج المسلمين ورائد نهضتهم لأنه الكتاب المعجز الذي لايأتيه الباطل ولا ينتابه الشك مهما تكالب الاعداء وادلهمت الخطوب.

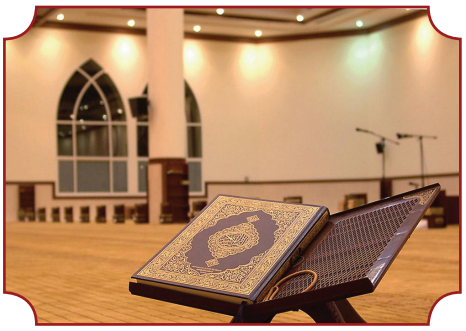

القرآن وحرية الإرادة ٣٢

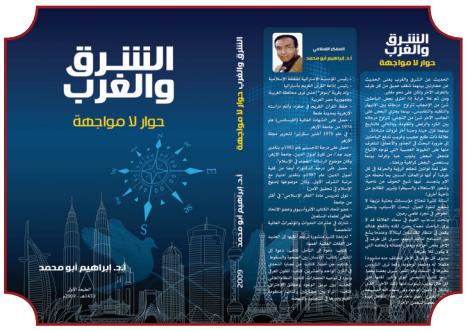

الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة ٦٢

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٢٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية: حجة لك أو عليك	رئيس التحرير
٤	كلمة العدد: الوعي الإسلامي في عامها الثامن والأربعين	التحرير
٦	التقويم الهجري هوية أمة	التحرير
٨	حوار: المؤرخ المغربي عبدالهادي التازي	بشرى شاكر
١١	فكر: خبراء في الفكر والفلسفة ولكن	خباب بن مروان الحمد
١٦	// : فتح الله كولن الإلهام والعبرة	د. الطاهر الأزهر خذيري
٢٠	ملف العدد: أهل القرآن ودورهم في النهضة	وصفي عاشور أبوزيد
٢٣	/// // : الإعجاز العلمي في القرآن	د. غازي التوبة
٢٩	/// // : القرآن وبناء العمران	أحمد عبدالجواد زايدة
٣٠	/// // : مقاصد القرآن منهجًا للبناء الحضاري	جاسر عودة
٣٢	/// // : القرآن وحرية الإرادة	د. بنت الشاطر
٣٤	دراسات: نقل الفتوى من كتب المتقدمين	د. صالح النهام
٣٧	// // : الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي ٢/١	د. سامي عطا حسن
٤٠	// //: رسالة المسجد في حياة المسلمين	عبدالحميد شقير
٤٤	// //: خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين ٢/٢	محمد المختار الشنقيطي
٤٨	دعوة: كيف نجدد الخطاب الإسلامي؟	عصام تليمة
٥١	ملف الأدب: رفقًا بنا معشر الأدباء والنقاد	التحرير
٥٢	/// // : من ضروب البلاغة «الاحتراس»	د. رفيق الحليمي
٥٤	/// // : الدور التأريخي للعنصرة عند الشيخ حسان	عامر أحمد عامر
٥٥	/// // : موقف وقصيدة وحب لا يدوم (شعر)	عبدالعزيز العسكر
٥٦	/// // : قصيدة لا تصح نسبتها إلى نزار قباني	د. محمد إقبال عروي
٥٨	/// // : ماذا يتبقى علينا تجاه لغتنا العربية؟	ليلى محمد
٥٩	/// // : إسلامنا يسع الجميع (شعر)	سليمان الأهدل
٦٠	/// // : المسافرون (قصة)	محمد عبدالشافي
٦٢	أنباء الكتب: الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة	أميرة ابراهيم
٦٥	دعوة: شبكة الإنترنت ووجوب استخدامها في نشر الدعوة	أحمد قزعل
٦٦	إصبعي السادسة «مكانة العلماء»	عباده نوح
٦٧	ملف الأسرة: الفكرة التربوية	التحرير
٦٨	/// // : حياتنا مظاهر	مليكة الحامدي
٧١	/// // : الاضطراب الأسري وبدانة الأطفال	د. محمد عيسوي
٧٢	/// // : الإهانات الزوجية	أميرة سليمان أبوجبة
٧٤	/// // : دور الأسرة في التربية	د. محمد بنعزوز
٧٨	/// // : من يحمي الأزواج من عنف الزوجات؟	نجاح إبراهيم
٨٠	منارات: المكتبة الظاهرية في دمشق الشام	تركي محمد النصر
٨٣	تربية: كيف تجذب الأصدقاء إليك؟	د. ناني علي كشك
٨٤	أعلام: الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع	التحرير
٨٦	طب: جراحات الأطفال وخصوصياتها	د. ناصر أحمد سنة
٨٨	فتاوى الوعي	لجنة الإفتاء
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هالة محمد
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	المحطة الأخيرة: الزهد.. العلاقة بين الدين والدنيا	إبراهيم نويري

كلمة العدد

«الوعي الإسلامي» في عامها الثامن والأربعين

بحلول العام الهجري الجديد 1432هـ تكون المجلة قد خطت بثبات في مسيرتها الثقافية والفكرية نحو عامها الثامن والأربعين، حيث بدأت انطلاقتها في غرة شهر محرم 1385هـ الموافق شهر مايو 1965م، وبهذه المناسبة يسرنا أن نقدم لكتابنا وقرائنا وعموم المسلمين أسمى آيات التهاني والتبريكات، مقرونة بالدعاء إلى الله عز وجل أن يأخذ بأيدينا جميعًا لما فيه خير أمتنا وديننا وقضايانا العادلة.

إن نهضة أمتنا تحتاج منا جميعًا إلى أن نفهم واقعنا فهمًا صحيحًا وأن نبني خططنا المستقبلية بناء على هذا الواقع، وذلك في إطار منظومة متوازنة تستمد قواعدها من أصول ديننا الإسلامي الحنيف، وتستوعب حركات التغيير والتنمية والإصلاح، وتحدد مواطن الخلل والقصور وتضع لها الحلول والبدائل المناسبة.

إن علماء الأمة ومفكريها، ونحن في بداية عام هجري جديد، مطالبون بتأصيل هذا النهج في رؤاهم وكتاباتهم وخطابهم الدعوي حتى تخرج الأمة من وهدتها ويكون لها دورها الإيجابي الرائد في الحضارة الإنسانية.. كل عام هجري جديد والأمة بخير.

«الوعي الإسلامي»

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التقويم الهجري هوية أمة وتاريخ حضارة

التحرير

يقترب في هذه السنوات التي نعيشها الاحتفال بميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مع الاحتفال بهجرة النبي محمد ﷺ، ولا تخطئ عينَ المتابع للأخبار والأحداث ضخامةُ الاحتفال بالسنة الميلادية وكمّ الأموال الهائل الذي ينفق فيها، في الوقت الذي نلحظ فيه ضمورا وخفوتا في الاحتفال بالعام الهجري الذي يقتصر على مجموعة من الفعاليات داخل جدران المساجد في أحسن الأحوال، وبعض البرامج التي تَحكي وقائع الهجرة النبوية الشريفة التي نسمعها كما هي كل عام.

ولا يرتضي الإسلام هذه الطرائق من الاحتفال التي يتم فيها التبذير وإنفاق الأموال هباء منثورا، بل ربما تطرق الأمر إلى ارتكاب بعض الموبقات، كما أن الاحتفال بالعام الهجري يحتاج إلى استنقاذ واهتمام وتوعية.

والواقع أن الأمة الإسلامية لا ترتبط بتاريخها أو تقويمها الهجري إلا في حالات الازدهار والرقي والتقدم، وحينما يتحقق لها واقعيا مرتبة الشهود الحضاري على الأمم كما أراد لها القرآن الكريم.

وإذا تتبعنا تاريخنا وتقويماتنا التاريخية وجدنا أن ما قبل سقوط الخلافة كان يؤرخ له بالتاريخ الهجري أو قبل سقوطها بقليل حينما توزع ميراث الدولة العثمانية وصارت «رجلا مريضا»، فكان يؤرخ للأحداث والمعارك والوقائع والمواليد والوفيات بالتقويم الهجري.

وبعد ترهل الحكم الإسلامي وذهاب الخلافة الكبرى تحولت الأمة إلى تاريخ آخر هو التاريخ الميلادي الذي نجله ونحترمه أيضا؛ لأنه ميلاد نبي ورسول من أولي العزم من الرسل، ولا يتم إيمان المسلمين إلا بالإيمان به، لكننا نتحدث هنا عن تاريخنا نحن، وهويتنا نحن، وحضارتنا نحن.

على أن تاريخ النصارى تاريخ روماني الأصل، عَدَّلَهُ بعض الملوك ورهبان النصارى ونسبوه إلى ميلاد المسيح- عليه السلام- بعد مولده بستة قرون أو ثمانية قرون تقريبًا، والأشهر الميلادية التي يدور عليها فلك هذا التاريخ تحمل في اشتقاقها ومعناها معاني وثنية، ذات ارتباط بآلهة الرومان وعظمائهم.

والمغلوب- كما قيل- مولع بتقليد الغالب، فقلدت الأمة الإسلامية- بعد أن صارت شبه أمة- غيرها من الأمم، وكان استخدام التاريخ الميلادي مظهرًا من هذه المظاهر، فأصبحت كل الدول العربية والإسلامية تؤرخ بتواريخ أخرى غير الهجري باستثناء ما نجده في بلد كالمملكة العربية السعودية.

هوية الأمة في التاريخ الهجري

وما من شك في أن التقويم الهجري هو هوية أمة، وتاريخ حضارة امتدت عبر ثلاثة عشر قرنا من الزمان لم نكن نؤرخ فيها إلا بهذا التاريخ، ومن هنا ارتبطت أمجادنا وأيامنا ومآثرنا بهذا التاريخ الذي تحولنا عنه إلى غيره نتيجةً لأحوالنا وأوضاعنا، وأثرًا من آثار الغزو الفكري الذي امتد في فراغنا.

ولا يحسبن أحد أن المسألة هامشية أو فرعية بحيث يعد الحديث عنها نوعا من اللهو أو خوضا في الباطل، أو ضربا من ضروب الترف الفكري في الوقت الذي تعاني فيه الأمة من دماء تسيل وأرواح تزهق وبيوت تهدم وأعراض تنتهك وغير ذلك مما يمكن أن نهوِّن به من هذا الأمر، فقد استمرت المؤامرة لطمس التاريخ الهجري وإزالته وتجهيل الشعوب الإسلامية به قرونًا متوالية، ففي القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي، عندما أرادت الدولة العثمانية تحديث جيشها وسلاحها طلبت مساعدة الدول الأوروبية العظمى (فرنسا وألمانيا وإنجلترا... الخ)، فوافقت على مساعدتها بشروط، منها: إلغاء التقويم الهجري في الدولة العثمانية، فرضخت لضغوطها، وفي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، عندما أراد خديوي مصر أن يستقرض مبلغًا من الذهب من إنجلترا وفرنسا لتغطية مصاريف فتح قناة السويس، اشترطتا عليه ستة شروط، منها: إلغاء التقويم الهجري في مصر، فتم إلغاؤه سنة ١٢٩٢هـ- ١٨٧٥م، واستبدال التقويم القبطي والميلادي به.

فلن تفيق أمتنا إلا إذا استضاءت بهذا التاريخ العريق، واستحضرت كل أيام السنة الهجرية، ونظرت في أحداثها نظر المتأمل المتفحص الواعي الذي يحيا التاريخ ثم يعبُر إلى واقعه المعاصر بدروس تضيء دروبه وتمهد له السبيل.

من أجل هذا وجدنا المؤرخين والحكماء يقولون: «من وعى التاريخ في صدره أضاف أعمارا إلى عمره، ومن لم يعِ التاريخ في صدره لم يدرِ حلو العيش

من مُـرِّه». وذلـك لأن التـاريـخ تجـارب تضيف إلى وعي الإنسان وتجاربه تجاربَ مضاعفةً وتمد في عمره أعمارًا طويلة، وتبين له مواضع العثرات ومكامن الخلل، وتبرز له أسباب القوة وعلامات العافية، فالتاريخ هو الذي نستكشف به ما تحت أقدامنا، ونستبصر به واقعنا، ونستصحبه لنستشرف به مستقبلنا.

دور الدعاة في التوعية بالتاريخ الهجري

وإذا كان البعض يرى الأمة الإسلامية تمر في المنحنى الحضاري الآن بدرجة متدنية إلى حد ما في رسمه البياني، فإن الكثيرين يرون أمارات الصعود تتضح شيئًا فشيئًا منذ أكثر من نصف قرن، وهذا لا يعني أن نستكين لهذه السنة الحضارية أو أن نخضع لحتمية تقليد المغلوب للغالب، ثم لا نفعل شيئًا أو نحرك ساكنًا، بل فيه ما يحفز الهمم، ويبعث على العمل والأخذ بالأسباب.

إن الأدوار التي يجب أن نقوم بها- هي أولا- تعجل بالصعود في منحنى الرسم البياني للحضارات، وتقوّم اعوجاج أمتنا، وتعالج من عللها وأدوائها، وتعرِّف الأجيال بواجبها نحو الأخذ بالأسباب في النهوض بالأمة والرقي بها حتى تصير غالبة لا مغلوبة وشاهدة لا مشهودا عليها، وأخيرا نعذر بهذا إلى الله تعالى وإلى أمتنا لعلهم يتقون.

ومن أهم الأدوار التي نعول عليها هنا ونراهن عليها هو دور الدعاة والعلماء فعليهم يُعقد الأمل، وإليهم يرجع الشباب، وفيهم يثق الناس، وبهم يتم التغيير والإصلاح، متى كان هؤلاء الدعاة ربانيين، فاقهين لدورهم ورسالتهم، خبراء بواقعهم وعلله وأدوائه، متمكنين في الوحي الأعلى الذي يصفون منه الدواء بعد تشخيص الداء، ومن أهم الأدوار التي يمكن أن يقوموا بها ما يلي:

أولا: إشاعة الاهتمام بالتاريخ الهجري

المعتمد في الأحكام الشرعية هو التاريخ الهجري فحولان الحول مثلا شرط من شروط وجوب الزكاة

كأن يوصي الدعاة الناس أن يتواعدوا بالتاريخ الهجري، وأن يذكروا مواليدهم بالتاريخ الهجري، وقد أصبح اليوم ميسورا أن تعرف ما يقابل تاريخ المواليد الميلادية من الهجرية، وغير ذلك.

ثانيا: أن يصبغ الدعاة المجتمعات بالصبغة الإسلامية الممزوجة بهذا التقويم، فلا نؤرخ لمحاضرة تلقى إلا بهذا التاريخ، ونربط دائما بين الميلادي والهجري ابتداء، وشيئا فشيئا يستقل الهجري.

ثالثا: الاحتفال بكل مناسبة هجرية كالغزوات وأيام الإسلام في مواعيدها وتذكير الناس بها، واستخلاص أهم الدروس والعبر منها؛ لتكون وميضا يبرق للدعاة، ونورا يستضيء به العاملون.

رابعًا: تذكير الناس بأن المعتمد في الأحكام الشرعية هو التاريخ الهجري، فحولان الحول- شرطا من شروط وجوب الزكاة- هو الحول الهجري باتفاق، والصيام يكون مع الهلال في رمضان، والحج يرتبط بأشهر معلومة في السنة الهجرية هي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وعدة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تحسب بالتقويم الهجري، وهكذا فكثير من الأحكام الشرعية مرتبط بهذا التقويم المجيد.

خامسًا: كشف المؤامرات التي تهدف إلى طمس هذا التاريخ مع اللغة العربية، لأن هذا التاريخ هو الذي يذكر الأمة بأمجادها وأيامها وصفحاتها المشرقة، وتحفظ به هويتها.

سادسًا: مطالبة الآباء والأمهات ببث الوعي في الأبناء بأهمية هذا التاريخ، وإجراء مسابقات لهم في أيامه ووقائعه حتى يظل الطفل دائما مرتبطا به، وأن نحفظهم الأشهر الهجرية، ونعوِّدهم أن يكتبوا التاريخ الهجري في كراساتهم، وأن ينظموا حياتهم عليها.

سابعًا: مطالبة المدارس أن تهتم بهذا التاريخ وكتابته، على الأقل بجانب التاريخ الميلادي، وأن ينبه المدرس على نسيانه، ويكافأ على كتابته.

ثامنًا: مطالبة الصحف ومواقع الإنترنت- وبعضها يقوم بهذا- أن تؤرخ لأحداثها وأخبارها ومقالاتها وتحقيقاتها وحواراتها بهذا التاريخ على الأقل بجانب الميلادي.

تاسعًا: مطالبة الهيئات والمؤسسات المهتمة بالدعوة والأوقاف والإرشاد الديني بالتوعية بهذا الأمر والاهتمام به، وأن يثمنوا أهميته لدى الشرائح التي تقوم بالتوعية والتأثير.

عاشرًا: مطالبة المصالح الحكومية أن تؤسس سنواتها المالية وإجازاتها وبنوكها ومستشفياتها بناء على التاريخ الهجري، وفي هذا ارتباط كبير للناس به.

حادي عشر: وهي نقطة مهمة ولها أثرها في هذا الأمر، وهي مطالبة الحكومات أن تجعل رواتب الناس مرتبطة بالتاريخ الهجري لا الميلادي، وعندها سيتيقظ المسلم وغيره لكل يوم في الشهر الهجري.

هذه إحدى عشرة وسيلة جمعت بين الفرد والأسرة والمؤسسات والحكومات والإعلام والدعاة وغيرها، أعتقد أنها لو تضافرت فيما بينها، وبنى بعضها فوق بعض، وكمل بعضها نقص الآخر، وشد كل منها أزر أخيه فلن تكون هناك أدنى مشكلة في الاهتمام بهذا التأريخ الذي ينطوي على صفحاتنا المشرقة، ويحمل أيامنا المشهودة، ويحفظ هويتنا الإسلامية.

المؤرخ المغربي د.عبدالهادي التازي في حوار خاص:

في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب

حوار: بشرى شاكر

هو مؤرخ المملكة المغربية ودبلوماسي يرى في التجوال منهلا للمعرفة، وزع أيامه على قطع الأقطار والأمصار فزاد علمًا، أحب الألقاب إليه لقب «الفقيه»، فهو يحب هذا الاسم؛ لأن تكوينه الأول كان في القسم الفقهي بمدينة فاس المغربية وتحديدًا بجامعة القرويين في نظامها القديم.

ولد هذا الدكتور الفاضل في ١٥يونيو١٩٢١م بفاس، نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٩٤٧، حيث عين أستاذًا بها سنة ١٩٤٨، كما حصل سنة ١٩٥٣ على «بروفي» معهد الدراسات المغربية. حاز على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٦٣، وشهادة في اللغة الإنجليزية من معهد اللغات بمدينة بغداد سنة ١٩٦٦، وفي سنة ١٩٧١ تمكن من الحصول على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية، حيث كان موضوع الأطروحة «جامعة القرويين».

كما عمل د.التازي سفيرًا للمملكة المغربية لدى مجموعة من الدول منها، على سبيل المثال لا الحصر، ليبيا، العراق، إيران، والإمارات العربية.

تقلد مناصب عدة، فكان سفيرًا للمغرب بالعراق ثم سفيرًا للمغرب بليبيا، ثم مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي، له نشاط كبير في التأليف والكتابة، من كتبه «جامع القرويين المسجد والجامعة»، كما اشتغل مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، اسهم في تأسيس اتحاد كتاب المغرب وأكاديمية المملكة المغربية. يعتبر د.عبدالهادي التازي من الشخصيات التي تنضوي في مجموعة من الهيئات الثقافية: كالمجمع العلمي بالعراق ١٩٦٦، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٦، المعهد العربي الأرجنتيني ١٩٧٨، مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٠، ومجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦، والأكاديمية الهاشمية بالأردن.

للدكتور التازي أعمال في مجال التحقيق منها: «تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة»، «الفريد في تقييد الشريد لأبي القاسم الفجيجي»، ومن ترجماته «حقائق عن الشمال الإفريقي.. الجنرال دولاتور»، «ساعات من القرن الرابع عشر في فاس.. ديريكح. دي صولا برايس»، «لو أبصرت ثلاثة أيام للكاتبة الأميركية كيلير هيلين أدامس»، «والحماية الفرنسية بدؤها.. نهايتها، مجموعة من الدبلوماسيين والساسة».

«الوعي الإسلامي» التقت بالتازي في بيته بالمغرب، حاورته حول كثير من الآراء والذكريات.. وإليكم نص الحوار:

بداية نرحب بكم على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي».

أنا بدوري أرحب كثيرًا برغبة مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، ولعلك تعلمين أن أول رحلة لي إلى المشرق العربي هي الرحلة التي قمت بها إلى الكويت التي استضافت أعضاء مؤتمر الأدباء العرب الرابع على أراضيها، فهناك في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب الذين كانوا زادي الأول في الانفتاح على العالم العربي، بعد أن كنت قد قمت برحلتي الأولى إلى فرنسا عام ١٩٥٢ برفقة زوجتي، كلتا الرحلتين كان لها فضل علي في بداية مشواري الذي كان مليئًا بالرحلات.. وإني لأتذكر هنا قول

أدعو المسؤولين عن النشر في الكويت إلى أن يفيضوا على المكتبات المغربية بمجموعة من كتب التراث

الشاعر:

جل الفوائد بالأسفار مكتسب
والله قد قال ﴿فامشوا في مناكبها﴾

سبق أن أخبرتني في لقاء آخر أن اللقب الذي تفضله هو لقب الفقيه، فهل لك أن تحدثنا أكثر عن ذلك؟

لقد نشأت في أسرة محافظة، يعني أن والدي كان على صلة بالفقه، وأن والدتي كانت هي الأخرى متدينة، كيف لا وهي من أسرة «الأزرق» التي كانت السبب في إدخال المطبعة إلى البلاد، فصلة الوالدين بالفقه والدين جعلت مني طالبًا فقيهًا، والإنسان ابن بيئته كما يقولون، جل المثقفين وقتئذ كانوا يسعون ليكونوا فقهاء وليس أدباء، كانوا ينظرون إلى المادة الأدبية على أنها مادة سهلة تافهة، وأن المعول عليهم في تسيير البلاد هم الفقهاء الذين يدرسون مدونات الفقه، الذين يستظهرون متن الشيخ خليل المشهور عند المالكية شرقًا وغربًا، وكذا الذين يستظهرون أرجوزة ابن عاصم التي تعتبر أبياتها كنوزًا من كنوز الفقه المالكي في المعاملات.

كان والدي- وأقولها لك بصراحة- يتطلع ليجعل مني قاضيًا من قضاة فاس، فقد كان ينافس بني عمه بمدينة الرباط الذين يوجهون أبناءهم توجيها فرنسيًا، فهو اختار الاتجاه المعاكس لهم، كان يفضل الثقافة العربية مع أنها من الناحية المادية قليلة الرزق، وهكذا كان والدي يراهن على أن أكون فقيهًا وليس تاجرًا أو غير ذلك، ومن هنا وجدت نفسي في صف الفقهاء الذين يعيشون مع الكتب التي تحتضنها المكتبات التقليدية التي توجد في الزيتونة أو القرويين أو الأزهر.

جامعة القرويين هي أول جامعة في العالم، فما الذي تمثله لك هذه الجامعة؟

سؤالك هذا في الواقع يتضمن سؤالين، ولهذا فإن جوابي عن الأول يتلخص في القول بأن مسجد القرويين الذي أصبح جامعة ظل صرحًا شامخًا يقصده كبار المشايخ الذين مروا بالمغرب، سواء أكانوا من أصل أندلسي أو كانوا من القيروان.

وقد كانت الأطر المغربية تعتمد في تكوينها على ما يدرس بين جنباتها من علوم لا تقتصر فقط على الفقه وعلوم الدين، ولكن أيضًا على الحساب والفلك بل وعلى الموسيقى، لذلك أؤكد على أن جامعة القرويين أضحت المعلم الذي يلجأ إليه الطلبة من سائر جهات المغرب، يعيشون في أحيائها الجامعية التي تعرف عندنا باسم «المدارس»، هذه المدارس تتكون من عشرات أو المئات من الغرف التي ترحب بالطلبة الواردين عليهم من مختلف الآفاق، والذين يتمتعون بحقهم في الزاد اليومي، وفي الصلات الموسمية أو السنوية.

أما عن الشق الثاني من السؤال فإن الجواب يحتاج إلى الكثير من القول، وهذا ليس مجاله الآن، ومع ذلك يمكن القول: إنه نظرًا لحاجيات البلاد من جهة ونظرا للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من جهة أخرى انتقلت الدراسة العلمية إلى الجامعات العصرية التي توجد في كل بقعة من بقاع المغرب، أما الدراسة التراثية- إذا صح هذا التعبير- فقد خصصت لها كراسي في هذه الجامعة، يجتمع حولها الطلبة الراغبون في دراسة النحو واللغة والفقه.. يأتون إليها من مختلف جهات المغرب وربما من غير المغرب من بعض بلاد السودان، بحيث يمكن القول إن من يريد ارتياد الأجواء التي كانت بالأمس هناك يجد من يرشده ويدله على الطريق، لكني أعتقد أن المسؤولين عن تدبير الشأن العام بالمغرب واعون بأن إحياء نظام جامعة القرويين هو الكفيل بتوفر المغرب على أطر القضاة الشرعيين والأئمة ورجال

الفتوى، هذه الأطر التي لا غنى للمغرب المسلم عنها وإلا أسلمنا أنفسنا إلى جهات لا تؤمن بغير المادة، فأنا شخصيّا لا أرجو حياة كريمة مع ذلك المستقبل المظلم!

كنت سفيرًا لبلدك في العراق وهناك استطعت أن تطبع بعض مؤلفاتك، ومن هناك أيضا بدأت رحلتك نحو الكويت.. فهل يمكنك أن تحدثنا عن ذلك؟

نعم، كنت سفيرًا لدى دولة العراق.. واسمحي لي أن أقول لكِ: أثرت سواكني بسؤالي عن العراق الذي يئن من جراحه العميقة، ذكرتني بأهلي وبني قومي، ذكرتني بمجالس العراق.. بما فيها من مجالس الأدباء والأديبات، العلماء والعالمات، كنت أجد في بيوت العراق بيتي، وكنت أجد في ناسهم ناسي، ويكفي أن تعلمي أن بيتي بالرباط يحمل اسم بغداد! هناك فعلًا وجدت الوقت لتهيئة أطروحتي بجامعة الإسكندرية حول جامعة القرويين المسجد الجامعة، هناك كنت أجد من الوقت ما يساعدني على القفزات إلى الكويت، حيث كنت أجد في إخواني وأخواتي هناك ما يساعدني على فهم الدنيا أكثر.

فعلًا، كانت الكويت بالنسبة لي نافذة نافعة كنت أجد فيها ما لا أجده في بغداد، وكنت أعتبر المقام بها نزهة متصلة، ليس هذا شعوري وحدي ولكنه شعور أم سعد وأبنائي سعد وبدر وسلوى.

صدر لك بدولة الكويت

قادة الكويت يتمتعون بهمم عظيمة ودفعوا بلادهم إلى مناطات عالية

كتاب عن الكويت طبعته حكومتها، وقد قلت في لقاء لك أن كتابك هذا جاء تعبيرًا صادقًا عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة الكويت الذين دفعوا بلادهم إلى المناطات العليا.. حدثنا عن ذلك؟

بالفعل، صدر لي كتاب عن الكويت، طبعته حكومة الكويت فيما بعد، وكم أتمنى إعادة طبعه بعد نفاذه، لأنه تعبير صادق عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة الكويت، الذين دفعوا بلادهم إلى المناطات العليا، وأرجوكم من خلال منبركم هذا، أن تبلغوا لتلك الديار مشاعري، إنها مما يصدق عليها قول الشاعر: أحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري!

من خلال تجوالك وسفراتك وإقامتك في بلدان عربية كثيرة.. هل ترى أننا أمة تستطيع أن تجمع شتات فرقتها؟ أم أن وحدتنا تبدو أمرًا مستحيلًا؟

هذا السؤال صعب وخطير كذلك؛ فإن لكل أمة خصوصياتها، ولكل دولة عربية تقاليدها ورجالها، ولذلك فالأمل كل الأمل أن نكتفي فقط بأن يعمل العرب تحت مظلة الجامعة العربية ومن فاته اللحم فعليه بالمرق.

بم تنصح المؤرخين والباحثين في هذا المجال، خاصة وأننا نرى أن العديد من القنوات الدينية بدأت تتبنى برامج تتحدث فيها عن التاريخ والحضارة؟

الذي أنصح به المؤرخين بل وسائر الكتاب أن يبذلوا جهدهم لتلطيف الأجواء بين الدول العربية وليس إثارة الثغرات والطائفيات بين الإخوة، كفى ما خلقه الاستعمار بيننا، يجب ألا نحيي أضغان الماضي.

نترك لك المجال لتنهي هذا اللقاء الشيق بكلمة منك للشعب الكويتي وقراء مجلة «الوعي الإسلامي».

كلمتي للكويت قلتها سابقًا، ويعرفها زملائي وأصدقائي، وخاصة منهم أصحاب مجلة «الوعي»، ومع ذلك فسأسمح لنفسي بتجديد الأماني والتهاني للقيادة الرشيدة التي تحظى بها دولة الكويت وبمن تحتضنه من رجال الخير، ورجال العمل، وكذلك بمن تحتضن من سيدات عالمات قادرات على الابتكار والإبداع.

وسأغتنم هذه الفرصة لأدعو المسؤولين عن النشر في دولة الكويت لأن يفيضوا على المكتبات المغربية ولاسيما المكتبات العامة والوطنية بما تنشره وزارة الثقافة من كتب التراث؛ عساه يعم بين ظهرانينا، وأنا أقصد ما نشر عن الفقه الإسلامي واللغة العربية والحياة الأدبية التي أراها آخذة في التألق والازدهار.

خبراء في الفكر والفلسفة ولكن...!

خباب بن مروان الحمد

نجتمع أحيانًا في بعض النوادي الثقافية واللقاءات الفكرية، أو من خلال اللقاءات على الشبكة العنكبوتية، نتطارح مع بعض الشباب أحاديث فكرية، وطروحات معرفية، وهمومًا نهضوية وتنموية، فأجد لدى الكثير من الشباب إقبالًا كبيرًا على المطالعة والمباحثة ومحبة الحوار، حتَّى ويكأنَّ المرء يشعر أنَّ مثل هذه النقاشات صار كثير منها متكلفًا، فالمهم أن نتحدث ونتناقش ونتبادل الآراء، ثمَّ بعد ذلك نمضي في أعمالنا وهمومنا الحياتية مع قلَّة تطبيق وحسن عمل، وهذه مشكلة، يمكن أن نطلق عليها إشكالية الترف الفكري، والغثاء الثقافي الذي يعيشه بعض الشباب المثقف والطامح لأن يكون يومًا ما مفكرًا أو مثقفًا.

على أيَّة حال فإنَّني ألحظ ساعة مناقشاتي مع بعض الشباب العربي والمسلم، والمتحمس للقراءة في المجالات الثقافية والفكرية والفلسفية أنَّهم يعدُّون كمًّا هائلًا من كتب ومدونات الكثير من مفكري الشرق والغرب، ولا يُعجزهم أن يتحدَّثوا حول جماليات منطق أرسطو، وتعريفات سقراط، ونظريات أفلاطون، وعبارات فيثاغورس، وقوانين دور كايم، وحكم فولتير، ويحشد لك عددًا من الأسماء كسبينوزا، جون لوك، ايراسموس، جان جاك روسو، مونتسيكو، ديكارت، توماس هوبز، جون ستيوارت ميل، ديدرو، بطليموس، ابكتيتوس، مارتن لوثر، غاندي، والقائمة تطول بأسمائهم، فلها في قلوبهم بهجة كبيرة، حتَّى بتُّ أشعر حالة نطقهم لأسماء أولئك القوم بأنَّهم يعيشون حالة من الزهو والخيلاء، التي تُشعرهم بأنَّهم قوم مثقفون قد نالوا قسطًا كبيرًا من الثقافة والقراءة في أفكار الغير.

هاتفني أحدهم قائلًا: أحب المطالعة في هذه الكتب الفكرية والفلسفيَّة، وكتب النظريات الغربية.

فقلت له: وما سر هذا التركيز وأنت شاب يافع؟

فأجاب: إنَّه لابدَّ لنا أن نتعلم نظريات الغرب لكي ننقدهم وننتبه من خطورتها، ويستدل بالحديث: «الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها كان أحق الناس بها» (١)، وأنَّ الشاعر العربي أبوفراس الحمداني قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه!

وأنَّه رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال «تُنقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية» (٢).

إلى غير ذلك من الاستدلالات والرؤى التجميعيَّة بحشد النصوص بكليتها لمناصرة القناعة المدموغة في عقليته التنويرية!

فنصحته وقلت له: يمكنك أن تهتم الآن بمطالعة كتاب الله وأحاديث المصطفى ﷺ، وسيأتي اليوم الذي يمكنك أن تطالع فيه هذه الكتب بعد برهة من الزمن، للاستفادة ممَّا بها من جوانب تراها خيِّرة، ولنقدها فكريًا ومنهجيًا، شرط أن تكون لديك حصانة ذاتية ومناعة فكرية.

كان ذلك الأخ مقتنعًا بأنَّ لديه اطلاعاً جيداً بالعلوم الشرعية بحجَّة ما قام بدراسته سابقا، وأنا شخصيًا لم أجده بالفعل كما يقول، وحاولت محاورته وإقناعه بمرادي، وقلت له إنَّ كل نفس يعتورها ما يعتورك من ضرورة مطالعة الكتابات والأطروحات الفلسفية والفكرية المنشورة قديمًا وحديثًا وما بين الفينة والأخرى، وقد تسَوِّغ النفس لأجل ذلك أسبابًا متعددة.. لكن أحسب أنَّ لكل زمن رجالاً، ولكلٍّ مرحلة أهلها، واستباق الأحداث والوقت غير المناسب لفعل شيء ما يضير أكثر ممَّا ينفع.

قناعات بديلة

أعتقد أنَّ من الأهمية بمكان، الصيرورة إلى توجيه العقول إلى ما يمكن أن تنتفع به ويكون ركنًا ركينًا، وأصلًا أصيلًا في عمليَّة التلقي، وهو التركيز على قضية أحسب أنَّها ذات أولوية في صياغة وتشكيل العقل العربي والمسلم وفي هذا الزمان خصوصًا.

تلك القناعة التربوية التي لا أزال متشبِّثًا بها وصادحًا بها في مجامع الشباب المثقف، قائلًا: وأين نصيب القرآن والسنَّة وكلام الصحابة والتابعين من مطالعاتكم؟

وهل حاولتم أن تجمعوا مثلا أقوال

داعية سعودي

الصحابة في طرق النهضة بأمتنا، وتستخرجوها من مظانها من كتب الآثار والمسانيد وإسقاط ذلك على الواقع المعاصر؟ وهل قمتم بجمع آثار التابعين في ضرورة التنمية الاجتماعية والحراك العملي الخدوم في المجتمع؟ وهل فتَّشتم في كتب سلفنا وآثارنا وتراثنا عن مظاهر التفكير الإبداعي وخدمة الأمَّة المسلمة فيه وخصوصًا من فئة الشباب؟ وهل طالعتم كتب التأريخ والسير والمغازي وجمعتم الأسباب الحقيقية لالتهاء الشعوب بأمر دنياها وقيام قلَّة قليلة منها بمقاومة النتوءات الفكريَّة، والخروقات الثقافية، وماذا كان دور عموم الناس في مناصرة علمائهم ومفكريهم حينما يصدعون بالحق، وما أسباب وقوفهم من عدمه؟

إلى غير ذلك ممَّا يخدم أمَّتنا وواقعها الفكري المعيش، وخصوصًا حينما ندرك أنَّ «العمل الجوهري للمفكر هو صناعة المفاهيم» (٣)، وهي الطريقة الفعليَّة للاستنباط من تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثير من المفاهيم التي تهمنا في مجتمعنا بشتَّى اهتماماته.

وبالطبع كنت أجد الجواب مختلفًا بين ألسنة الشباب، ولكنّي وجدت إجماعًا واضحًا على التقصير بقراءة كتاب الله ومطالعة التفاسير لفهمه، وما في سنَّة رسوله ﷺ وما يمكن الاستعانة به من شروحات كتب الحديث لفهم معانيها.

ووجدت بعضهم وكأنَّ الأمر لا يعنيه، فهو يفهم القرآن وقد قرأه سابقًا لمرة أو مرتين، وقرأ الأربعين النووية وشيئًا من رياض الصالحين، ولكنَّ الأهميَّة الكبرى لديه الآن في مطالعة الكتب الفلسفية وغيرها من المفاهيم التي تتحدث عن الديناميكية والحيوية والارستقراطية والأتوقراطية والثيوقراطية والبيوقراطية والمادية الجدلية ونشأة الحضارة، وقراءة تاريخ الصناعة والعمران المدني إلى غير ذلك من اهتمام هو أكبر وأوثق من اهتمامهم بقراءة القرآن والسنَّة.

وهذا بالفعل شيء حاصل، فالكثير من هؤلاء باتوا يهربون من مطالعة النصوص الشرعية من كتاب الله وسنَّة رسوله ويستشهدون بها، ويحاولون أن يأتوا بآراء فلسفيَّة وحجج كلامية، وأحسنهم حالًا من لا يأبه بذكر النصوص الشرعيَّة بل يهتم بالمقاصد وفقه المقاصد، ويحاول أن يقفز على هذه النصوص بما يراه هو أنَّه من مقاصد الشريعة، وعندئذ تذكرت قول الفاروق عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم» (٤).

إنَّ ما ذكرته من حالة مأساوية وقع فيها الكثير ممَّن يعدون أنفسهم فلاسفة وأهل رأي حصيف وفكر مكين، لكنَّ إدبارهم وإعراضهم عن الاهتمام بنصوص الوحيين تأملا وتدبرًا وتفكرًا وإسقاط هذه النصوص على الواقع، ومعالجة الواقع بالأدلة الشرعية بات شيئًا ضعيفًا، وصار الكثير منهم يستروح للحديث الإنشائي أو لذكر حِكَم وتجارب الفلاسفة، ومن لطائف ما حَصل أثناء كتابتي لهذا المقال أن أرسلته لأحد أصدقائي المصريين المثقفين والمتميزين في المجالات الفكرية والفلسفيَّة، وحينما قرأ المقال وانتهى منه أرسل لي رسالة يقول فيها: «لكني أوافقك تمام الموافقة فيما ذهبت إليه، ووالله إني لأعاني من ذلك في الجمعية الفلسفية التي أحضر ندوتها كل شهر والتي يرأسها د.حسن حنفي، حيث لا كلام إلا عن الغرب وأعلامهم، ومذاهبهم من الكلاسيكية حتى الحداثة وما بعد الحداثة.. كلها أمور تقسي القلب إلى جانب أنها لا تقيم نهضة للأمة»!

فليكن الفكر منطلقًا من أساس

متين

قد يقول قائل: وهل يُراد من عموم الشباب العربي المسلم المثقف أن يكونوا علماء في الشريعة؟ فإنَّ هذا لا يتأتَّى ولا يمكن، ونحن بالفعل بحاجة لشباب مثقف ومفكر.

هذه مشكلة كبيرة نعيشها مع شباب اليوم المقبل على النوادي الفكرية والصالونات الثقافية ظانين أنَّ مصدر السعادة ومعين الرضا والسرور هو في مناقشة فكر أحد الكتاب أو الفلاسفة الغربيين، وتجد أنَّهم قد يتكلفون ببعض العبارات وحشد الجمل واللفظات وتكديس المصطلحات حينما يتحدثون لكي يقول عنهم القائل: إنَّهم فعلا فلاسفة وحكماء عباقرة!

حتَّى إنني أتذكر واحدًا من هؤلاء قال لي يومًا: إنَّ لديه دفترا قريبًا منه كان يكتب فيه بعض المصطلحات والعبارات الرنانة التي تستهوي عقله، لكي يستخدمها في بعض مقالاته فتجد في المقال حشدًا مصطلحيًا لربما لو سئل كاتبه ما معنى ما قصدته بالضبط لحار جوابًا وأطرق رأسًا!

وعلى كُلٍّ؛ فإنَّ من يظنُّ أنَّه في بداية مطالعاته سيهتم بعلوم فلسفيَّة وقراءات في المنطق والفكر الغربي، ويغفل القرآن ويظنُّ نفسه أنَّه بالفعل يريد الجمع والدمج بين الإسلام عقيدة وشريعة وبين ما هو مسطور في كتب الفلاسفة ومزبور في تراثهم، فإنَّه سيكتشف بالفعل أنَّه لن يبلغ النتيجة التي قصدها وخصوصًا إن كان ذلك في بداية مطالعاته، بل يخشى عليه بالفعل من عقائد أولئك الفلاسفة والتي في أغلبها تجاهل لحكمة الرب، وتشكيك في كثير من

اهتمام المتفكر بالقرآن سبيل لأن ينال الفكر الصحيح والحكمة الحقيقية والحصافة في النظر

الغيبيات، وإنكار علم الله الكامل، ونفي معاد الإنسان، فأي فكر فلسفي لرجل يريد أن يُنوِّر المسلمين بفلسفة أولئك الفلاسفة والمناطقة، وكأنَّ في القرآن والسنَّة نقصًا ليس موجودًا إلاَّ في كلامهم، وبعد هذا وذاك يريد ذلك الشخص أن يطلق عليه الناس أنَّه مفكر إسلامي، وهو لربما يكون إلى العلمنة والليبرالية أقرب منه إلى الإسلام، ولهؤلاء أقول وأذكرهم بما قاله المفكر الفرنسي المسلم فنساي مونتاي: «إنَّ مثل المفكر العربي الإسلامي المبعد عن تأثير القرآن كمثل رجل أفرغ من دمه»! (٥).

إنَّ المسلم يجب أن يكون على قناعة تامَّة بعظمة القرآن الكريم، وعظيم عبَره وحكَمه، وبالرجوع لكتاب المفكر والمؤرخ الإسلامي عماد الدين خليل بعنوان:«قالوا عن القرآن»، لكي يقرأ في هذا الكتاب أولئك الذين تعلَّقت قلوبهم بكلام الفلاسفة ويرى أنَّ كثيرًا منهم يشهد بعظمة كتاب الله عزَّ وجل، ومنهم من ساقه ذلك للإسلام، ومنهم من بقي على دينه الباطل، ولكنَّه شهد بما في هذا الكتاب الكريم من آيات ودلائل وإصلاح للواقع «والحق ما شهدت به الأعداء»، وهو وإن كنَّا لسنا بحاجة لشهادة غير المسلمين على ما في كتاب رب العالمين، لكن لعلَّه يكون باعثًا لهم على عطف قلوبهم وأفئدتهم وأجسادهم للاعتناء بقراءة كتاب الله تعالى.

نقول هذا لأنَّ هنالك الكثير ممَّن يستهويهم الفكر الفلسفي والقراءة في الكتب الفكرية الغربية، والاطلاع على فكر المدرسة الفرانكفونية، والوله بالمصطلحات الفلسفيَّة، فهؤلاء في الغالب يبعدون النجعة كثيرًا عن مطالعة كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنَّة رسول الله ﷺ.

إنَّها دعوة للمراجعة الجادة القلبيَّة لجميع المنتسبين للفكر والفلسفة، بأن يبحثوا في سويداء قلوبهم، وهل لديهم شدَّة تعلُّق بآيات القرآن وما صحَّ من أحاديث ﷺ أم لا؟

إنَّني على قناعة بأنَّ من تابع كتب ومقالات ومحاضرات فلان أو علان وهو يتحدث بفلسفة ويلوك الكلام لوكًا، فإنَّه ستظهر معه نقولاته لآراء الفلاسفة والغربيين ويدع جانبًا الاستناد والاستشهاد بالآيات والأحاديث لمقولاته، فالاهتمام لأي شيء يظهر من خلال تعامل الشخص معه.

ومن العجائب والغرائب كذلك أن نجدهم يقولون إنَّ ذكرنا لكلام هؤلاء الغربيين والفلاسفة اليونانيين وغيرهم، لكي يعرف الغربيون أنَّنا نعرف واقعهم، ونتحدث بلغة مفكريهم، وما علموا وللأسف الشديد أنَّ كثيرًا منهم- ولا أقول الكل- قد يستخدم أقوال هؤلاء بما قد يستدل به على مفهوم فهمه يكون خاطئًا أو معارضًا لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ولأجل ذلك وجدنا الكثير من العبارات التي يقولها بعض الناس وما دروا خطورة قولها مع علمي أنَّ بعض من قالها من بعض الفضلاء ولكنَّهم يقولون كلامًا يحتاج لإعادة نظر حينما يتحدثون عن «ديموقراطية الإسلام، الليبراليَّة الإسلامية، اشتراكية الإسلام،

الرومانسية الإسلامية»، والإشكال الكبير أنَّ كثيرًا من منطلقات هؤلاء بالفعل يرونها منطلقات إسلاميَّة ولكنَّهم ما علموا أنَّ هذه العبارات ما هي إلاَّ بعض مما تسلَّق على ذاكرتهم أثناء قراءتهم في أفكار الآخرين!

بل وجدنا واحدًا ممن يعتبرون أنفسهم من تيار التنوير الإسلامي، يقول في مقال له بعنوان: «وثنيون هم عبدة النصوص» ويزري على الناس وبعض المهتمين بالمجالات الكتابية والذين يقولون ليتنا نرى في بعض مقالات بعض المفكرين نصوصًا قرآنية أو أحاديث نبويَّة مذكورة في مقالاتهم، وبدلاً من أن يشكرهم على نصيحتهم له، يعدُّهم كالوثنيين الذين يعبدون القبور ويشركون بالله، فيتهمهم ويصمهم بأنَّهم وثنيون لأنَّهم على حد زعمه: «عبدة نصوص»!

وهذا أحدهم يتحدث بأسلوب ملتو، يريد منه النيل ممَّن يستند لقراءة النصوص القرآنية، حيث يقول: «فالأمرُ هنا هو السير في الأرض، وليس السير في الكتاب، أي قراءة الواقع، وليس قراءة النصوص، والظن بأنَّ الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة» (٦).

قلت: هذا وليس من مقصدي في هذا المقال إيعاب القول وحشد جميع ما قرأته في هذا الصدد، فلو أردت جمع ما قيل لوجدته أكثر من ﴿حِملُ بعير وأنا به زعيم﴾، ولكنَّ هذا دليل ومثال على أنَّ من تربَّى في جو مفعم بالفكر والفلسفة والصحافة والإعلام واحترام الرأي والرأي الآخر فإنَّ هذا سينشأ معه ولو كان في يوم ما مفكرًا كبيرًا أو فطحلاً بطلاً من أبطال الفكر في هذا الزمان.

إنَّ المتعاملين مع القرآن أصناف ونحن نقصد بالتعامل الصحيح هو ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في التقيد والانضباط بالأصول الكلية التي يرجع إليها لفهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وإلاَّ فهنالك قوم يدَّعون أنَّهم «قرآنيون» مع أنهم في حقيقة أمرهم يخالفون القرآن الكريم فيما أمر به ونهى عنه، فما هم إلا «جهال متنطعون» لم يفهموا القرآن والسنة مع مجاهرتهم بضرورة الرجوع للقرآن، فهذا أمر لا يروج على العقلاء ولا يقصده الناصحون لأمتهم والأمناء على عقيدتها.

إنَّ اهتمام المتفكر بالذكر سبيل بإذن الله تعالى لأن ينال الفكر الصحيح والحكمة الحقيقية والحصافة في النظر، وفي هذا يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة» (٧)، ولكن أن يحسن التعامل مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفق قواعد ذكرها أهل العلم في طريقة التعامل مع كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، وسيجد حتمًا ما يغذي فكره ويحرك عضلات عقله من معين الحكمة الربانية وصفاء الكلمة النبوية.

فمن أراد أن يقرأ فليقرأ القرآن أولاً، وليقرأ باسم ربِّه ثانيا، وليقرأ سنَّة وسيرة رسوله ثالثًا، وليتمكَّن من فهم الوحيين كتابًا وسنَّة على الأقل إلى حد معقول، مع دوام الملازمة لهما إلى الممات: ﴿فأين تذهبون. إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم﴾(التكوير: ٢٦-٢٨)، فمن شاء الاستقامة الدينية والعقائدية فلا غنى له عن القرآن، ومن شاء الاستقامة السلوكية فعليه بالقرآن، ومن شاء أن يستقيم فكريًا فعليه بالقرآن، ومن لم يقنعه القرآن فلا استقام ولا أقام وما تفكر بل طبع على قلبه الران.

والقرآن لأهل الفكر مرجع لا غنى عنه، ففي القرآن الكريم أكثر من (١٣٠٠) آية كونية، وفي كتاب الله أكثر من (٧٠٠) آية تدعو للتفكر والتعقل والتدبر، فليس من جميع العلوم الإنسانية مثيل بعلوم القرآن وهو كلام الرحمن الذي «يعطيك معاني غير محدودة في كلمات محدودة» (٨)، كما يقول الأديب الرافعي- رحمه الله- لكنَّ الإشكال الكبير أنَّنا بتنا نقرأ القرآن «للتبرك لا للتحرك» كما كان يقول الشيخ الراحل محمد الغزالي- رحمه الله- وهو بهذا يشرح الحالة النفسية التي يتعامل بها كثير من المسلمين اليوم مع كتاب الله تعالى، فيهتمون به في حالة القراءة على الأموات! فصار الكتاب الذي جاء ليحيي الأحياء يقرأه الأحياء على الأموات ويكتفون بذلك! وهذه حالة عامة في كثير من بيوت العرب والمسلمين ويدخل فيهم الكثير من المنتسبين للفكر والثقافة والفلسفة!

بل تشمئز قلوب بعضهم من حفظة القرآن والسنَّة

حينما يعلم بعض المحسوبين على الفلسفة والمنطق أنَّك قارئ للقرآن فإنَّه يراك شيخًا درويشًا، وأمَّا إن قرأ قصَّة الحضارة للول ديورانت، أو قرأ كتابات فلان أو علان من المفكرين الكبار أو عمالقة الفلسفة الغربيَّة، سينظرون إلى ذلك الرجل أنَّه بالفعل شخص موسوعي، ولديه عمق معرفي وطول نظر، وخذ من هذه الأوصاف فهو الرجل المثقف والحصيف والذي

ضرب من العلوم ضربًا واسعًا وقطع بها شوطًا كبيرًا، فشابه بعضهم قول الله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرًا كأن لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وقرًا﴾(لقمان: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾(الزمر: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾(الجاثية: ٧-٨).

نقول هذا في زمن أدبر الناس فيه بل كثير منهم عن مطالعة آيات القرآن وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وملازمة حلق الذكر، ومراقبة الله تنشأ من خلال مطالعة القرآن الكريم، والتفكر في هذا الكون الصامت والناطق بأنَّ له إلهًا حقًا هو الله تعالى تبارك وتعالى وتقدس عن كلام الكفرة والفجرة.

ولهذا نجد ضلال كثير ممن ضل بسبب الإدبار والإعراض عن قراءة كتاب الله تعالى، وقد نبَّه الإمام ابن تيمية رحمه الله على ذلك فقال: «وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله ورسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلِّم صحَّة الحديث! وربما قال لقوله عليه السلام: كذا... وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر» (٩).

ومع هذا كلِّه فإنَّا نجد لدى الكثير من المغرمين إلى حد الثمالة بقراءة كتب الفلاسفة والفلسفة، وليتهم يقرأونها لتقييمها، وإنَّما يقرأونها ثمَّ يكون مآلهم الأخذ ممَّا بها من أفكار، مع أنَّ هؤلاء الفلاسفة غربيين أو شرقيين ليس في كلامهم ما يفيد إيمانًا بالله إلاَّ شيئًا نادرًا، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فإن القوم- أي الفلاسفة- لا يعرفون الله، بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير، لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية، وهذا بحر علمهم وله تفرغوا، وفيه ضيعوا زمانهم، وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جدًا، وأما ملائكته وأنبياؤه وكتبه ورسله والمعاد فلا يعرفون ذلك ألبتة» (١٠).

وأخيرا، إنَّه لم يخطر ببالي كما أرجو ألاَّ يخطر ببال أحد أنَّ ما قلته دعوة مطلقة لعدم الاهتمام بتراث الآخرين، وأفكارهم وقيمهم، ولكنَّ هذه الكتب والآراء لها رجالاتها المتخصِّصون، والذين يسبرون أغوار الكلام، ويعقلون مقاصد الآخرين، أو على الأقل لمن نال قسطًا كبيرًا من مطالعة كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وبشهادة أهل العلم الثقات له بذلك، أما أن يأتي لقراءة هذه الكتب كل من هبَّ ودبَّ ومشى ودرج، فإنَّ هذا أمر لا يستقيم بحال.

نعم.. على من أراد أن يكون يومًا ما صاحب فكر وتنظير، أن يدرك حتميَّة التلازم بين ضرورة الشرعي والاهتمام بطريقة فهم النصوص ومقاصدها من خلال القواعد المقرَّرة في ذلك، وبين فهم العالَم المحيط وسبر أغواره، والسير في آفاقه، والتأمل في كينونته، والتفكر في مخلوقات الرب تبارك وتعالى.

ونحن بالفعل بحاجة ماسَّة لمن يستخدم عقله في الفكر الصحيح، وأن يكون على مستوى المسؤولية في مناقشة أفكار الآخرين من المستغربين والمتفرنجين، فضلًا عن دعاوى المفكرين الغربيين أو اليونانيين المتأثرين بالفلسفة اليونانيَّة ومنطق الإغريق!

وختامًا: فليس لدي مقصد من هذا المقال إلاَّ التنبيه على ضرورة العودة إلى كتاب الله وما صحَّ من سنَّة رسول الله ﷺ ووجوبها، للنهل منهما والارتواء من معينهما، ففيهما الشفاء لكل داء، وفيهما الصلاح لكل فساد، وبهما الحق لدحر كل باطل، وفيهما خطاب العقل، ومنظومة المفاهيم والقيم، فمن تربَّى عليهما وعلى مائدتهما ونال منهما قسطًا ونصيبًا، فستتهمر على عقله منهما أفكار رائعة، ومعانٍ خلاَّقة. والله المستعان.

الفهرس

١- أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٧) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، فيه إبراهيم بن الفضل المدني يضعف في الحديث من قبل حفظه، وقال العقيلي: منكر، كما في تهذيب التهذيب: (١٥١/١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي بقوله: حديث ضعيف جدا.

٢- انظر منهاج السنة النبوية (٣٩٨/٢) و(٥٩٠/٤) وكذلك مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١ (١٥/ ٥٤) وقد وردت في مصنف ابن أبي شيبة وطبقات ابن سعد بغير هذا اللفظ.

٣- كيف نفهم الأشياء من حولنا؟ كتاب الدكتور عبد الكريم بكّار ص٧.

٤- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية : (٥٥/١).

٥- رجال ونساء أسلموا (٤٥/٥).

٦- جريدة الرياض عدد ١٠١٨٨ في ١٤١٦/١٢/٢٨هـ.

٧- مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٨٣/١).

٨- وحي القلم للرافعي.

٩- مجموع الفتاوى (٩٦/٤).

١٠-مجموع الفتاوى (٣٣٠/١٧).

د.الطاهر الأزهر خذيري

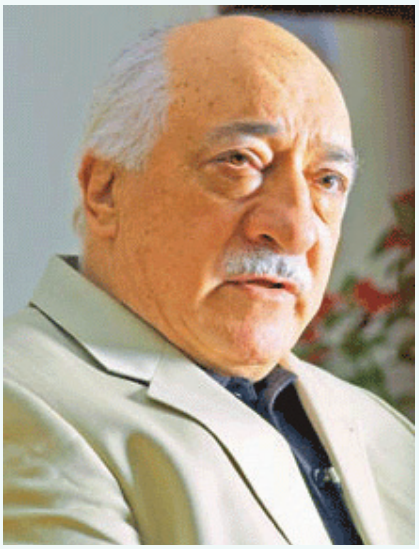

كلّما خَبا في نفسي أُوارُ الشوْق إلى جيل جديد من المصلحين يتأثّر خُطا الجلّة الكبار من الأئمّة المتقدّمين، بسبب زَحْم الخواطر المُوهِنة بأنّ زمانَ أولئك الأبدَال قد ولّى.. تملّكني تطلُّعٌ حثيثٌ إلى ما وراء السِّجاف الغائرة في البُعْد، لعلّ وافدًا بَرًا يَقْدمُ على هذا الزّمن المسكين، ويعيدُ إلى نفسي شوقَها القديم المتجدّد! فإنّ داخلتي لم ينقض رجاؤها بعْد، والأملُ لهذه الأمّة لا يزال قائمًا معقودًا، ولابدّ أن يظلّ كذلك؛ واللهَ تعالى كريمٌ قريبٌ مجيبٌ، وهو أرحم الرّاحمين.

وبينما زفير الحسرات وأخواتها يعمل فيَّ عمَلَه، حتى ما كدتُ أقوى على مجرّد التفكير في هذه الخطرات الجلّى إذا بشعاع من الأمل يبرق من بعيد، حين قرأتُ فصولًا من حياة خادم الإسلام في تركيا «محمد فتح الله كولن»، تابعتُ مسيره في طفولته وشبابه وكهولته إلى استواء أمْره، فأثارَ فيَّ العَجَب العجيب، وعلمتُ- بعد محاولات الفهم والتحليل- أنّ الله تعالى هو الذي يصطفي للسِّيادة مَن يشاء من عباده، فليست المسألة نَسَبًا ولا وراثةً، ولا حتى علمًا جمًّا، وإنّما هي سرٌّ وخبيئةٌ وهمٌّ وهمّةٌ ﴿نرفع درجات من نشاء﴾.

فتح الله كولن.. الإلهام والعِبرة

سبحان الله! لقد عاش هذا الرّجل الفذّ مراحلَ عُمْريّةً قاسيةً مُضنية، تَوالد له فيها الكَدَر تباعًا لأجْل دينه وأمّته، وكأنّما جُلِيَ حتى صار صَقيلًا، ليتبيّن صفاؤه ونقاؤه، كما الذّهب الإبريز، لا تزيده ضراوةُ النّار إلاّ خُلوصًا من الشّوائب، وبريقًا بريئًا من الغشّ والزّور، وصَدَق عمرو بن معد كرب حيث قال:

لَيْسَ الْجَمالُ بمِئْزَر
فَاعْلَمْ وَإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إنَّ الْجَمالَ مَعَادِنٌ
وَمَناقِبٌ أوْرَثْنَ مَجْدَا

إنّ التدبير الربّاني الحكيم شاء لهذا المُصْلح أنْ يولد عام توفي أتاتورك، وكأنّ تلك الوفاة وهذه الولادة كانتا رحمةً بجانب تركيٍّ وبآخر إسلاميٍّ عامّ، نَفَّستا عن الجانبين بعضَ كَرْبهما بعد أن كان اقْتَمَّ لونُ الحياة، وغطّى على أعوامها الكُلْح رَهَجُ الفساد الكثيف، ولِلَطيف حكمة المولى جلّ جلاله كَلأَ هذا المولودَ النّاشئ وحَمَاه، حتى لكأنّه في كَنَف حصين؛ إذْ لم تمتدّ إليه في أيامه الأولى يدٌ باطشةٌ، ولا لَذَعَتْه عينٌ خؤون، وإن كانت سنُوهُ اللاّحقةُ امتلأتْ رَهَقًا وترويعًا، رَوّض الله فيها مسلك الشّابّ اليافع، وأوْقفه على الجادّة التي يحرص على تَقَفّيها الصّالحون المُؤيَّدون، وجَمَّله بمزاج أخلاقيٍّ وروحيٍّ خلاّب، كان له بليغُ الأثر في قلوب مُحبِّيه وشانئيه على حدٍّ سواء!

طَلَبَ فتح الله كولن العلْم في طفولته الرُّجولية بجدٍّ وحُبٍّ، وتَمَلّتْ نفسُه منه، وكان فيه كمَن يحفر الصّخر الصّلْد؛ فلا مُعلّمَ ولا مدرسة، ولا شفيقَ ولا رفيق، ولا أعوانَ على لأْواء التحصيل، اللهمّ إلاّ قلّة من المساكين الضِّعاف، كانوا في أحيانٍ كثيرة عبئًا أكثر من كونهم رفقاءَ درب وجنودَ كفاح، ومع ذلك أخذ نفسه بعَزَمات الأمور، ومَراشد التدبير، حتى استقامت له على سَنَن الأوّابين المُحصِّلين من العلم أرفع درجاته، وكان فيه كما تصنع النّحلة بطعامها وما يُقيمُ أوَدها.

لا يَكتفي بعِلْم واحد ولا بكتاب واحد، وإنّما هو تطواف بين الكتب ومصادر العلوم؛ على شُحِّها وندْرة وجودها، وعلى خطر اقتنائها ووُعورة مسالكها.

ثم هو ليس يغفل في هذه الأجواء، المملوءة حماسًا للعلم وحِفْظ أصوله، عن مداواة روحه في محاريب التألُّه البريء من الحَدَث والبِدْعة، الخَلِيِّ من التحذلق في الدِّين بما يُمْليه العقلُ النّاقص أو الرأي الغَويّ، إنّها لذّةٌ عارمةٌ كان يشعر بها الأستاذ كلّما خلا بربه أو برز للنّاس، وما أكثر ما حَبَس نفسَه

ALmadani9@Gmail.com

في نافذة مسجده التي كانت مسكنَه ومَحَطّ تأوُّهاته ومناجاته!

كان يتزوّد لبوارق الأمل التي يحيا لأجلها بزاد القرآن العظيم الذي يتأمّله آناء الليل وأطراف النّهار؛ درسًا وتدريسًا، فهمًا وتأمُّلًا، وفي سبيل ذلك كان يتعبّبُ السُّنّةَ لئلاّ يَعُوجَ هنا أو هناك، فتزلّ به القدم، أو يَشْطح به القصور، أو يَجْنح به الخيال.

للّه ما أزكى عبراته وهي تسيل على ذلك الخَدّ المنوَّر بالحياء والعفّة، إنّها رسائله النّاطقة الصّامتة إلى تركيا، وإلى أحياء القلوب في الأرض كلِّها، إلى الذين يَهُزّهم الصّدق، ويزلزلهم حديثُ الرّوح الوَرِيعُ عن صُنُوف التكلّف والتّصنّع! إنّها شَاراتُه المداوية لجرحى الدَّوَات الباحثين عنها بين ركام الماضي التعيس، والحاضر المُخيف البئيس، والقابل المُغَيّب الذي لا يُدرَى ما فيه من الحُتُوف، ولا ما يُخبئُه من المَآود.

هذه النّشأة البديعة صرخةٌ في وجه مَن يريد مَلاءة الدِّين والدنيا، ولّما يبذل في سبيلهما مهجته ونهاية جهده، وتراه يَسْتَحطُّ الغُرْمَ عنه، وليس يَجودُ بعُشْر معْشَار ما يَتوجّب عليه من الحقّ!

أوّاهُ كم يكتوي هؤلاء- لو عقلوا- بقول الشاعر:

دنوتَ للمجد والسّاعون قد بلغوا
جهد النُّفوس وشَدُّوا دونه الأُزُرا
وساوَرُوا المجْدَ حتّى مل أكثرُهم
وعانقَ المجدَ مَن وفّى ومَن صَبرا
لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكلُه
لن تبلغَ المجدَ حتّى تلْعَقَ الصَّبرا

كثيرٌ هم المَلأى بما لا قيمة له، والمُجَعْجعون بخيْبتهم وسَفَاه نفوسهم على الرّؤوس، والنّاسُ تدري! وعجيبٌ أنّهم فيما يتعلّق بالدِّين والعلم كثرةٌ، كما أنّهم في مَعاجيل الحياة الدّنيا أكثر وأكثر، ولكنّ المتمسِّح بالدِّين والشّاريَ به عَرَضًا تافهًا، أعظمُ خطرًا وبليّةً من غيره، أفْتَرى القاصرين عن الكمال

طلب «كولن» العلم في طفولته الرجولية بجد وحب وكان فيه كمن يحفر الصخر الصلب

المُمْكِن يتَّعظون، أو يستَحون، أو ربّما ينكسرون؟ ربّما، ولعلّ، وعسى!!

ما أهدى زَوَافر العَظمة حين يقوم بركْزها العظماء! ما أهداها سبيلا وأقومها فعالًا وقيلًا! ولست أزعُم تفرُّد هذا أو ذاك من العلماء والصّالحين بعَلَم تجديد أمْر الدِّين في الأمّة، فهُمْ بحمْد الله لا يزالون في أكثر الأصقاع مُتتابعين، كما أنّ الأشرار على شرّهم لا يزالون مُتَتَابِعين، إلاّ أنّ صاحبَنا الذي أهَمَّنا؛ فألْهَمَنا وألْهبنا، شاء له ربُّه الحكيم أن يكون فريدًا في خصائص، مَن تأمّل سيرته، ونظر في تاريخه؛ تبيّن له بعضها، وأدرك ببصيرته النّافذة أنّ له محلًا بسببها بين الكبار العظماء!

للّه ما أنت فيما يتراءى لي إلاّ وجهٌ مليحٌ لَمَا كان يتلجْلج في نفس الحكيم وهو يُنْشد: «نفْسُ عصام سَوَّدَتْ عصامًا»، وعصامٌ هذا هو ابن شهير الجَرميّ، كان من أشدّ النّاس بأسًا، وأبْينهم لسانًا، وأحْزمهم رأيًا، وكان من صُلَحاء قومه، وقد عجب الناس لسيادته حين كان على عامّة أمر النعمان، حتى قال قائلهم: كيف نزل عصامٌ هذه المنزلة من النّعمان، وليس في بيت قومه وليس بسيّدهم؟ فقال أحدهم:

نفْسُ عصام سوَّدتْ عصامًا
وجعلتْه ملكًا هُمامًا
وعلّمتْه الكرَّ والإقداما
وألحقتْه السّادة الكراما

فحَنانَ اللّه التظنُّن بك غير ما يليق بقدْرك الضّافي من التّوفيق وكمال الرُّجْلة وسُمُوق الخلال.

لقد تَفَتَّك الأستاذ المبرور بما عَنّ له من الرَّشَد في الفهم والتنزيل، ومضى في حال سبيله يجْدوه الشوق إلى الله تعالى، ويملأه الأنس به كلّما نزل أو طار، ولأجل ذلك لم يقف عند عتْب المحبّ، ولا ثَنَتْه عن بُغيته مُكافرةُ الجحود، بل راح يتأمّل الصّواب المتدلّيَ من مشكاة الوحْي وعلم النُّبوّة؛ كلّما تألّق الإيمان في حناياه وجدَّتْ روحه في مسيرها إلى الله.

وربما تَبَطّن المَكْرَةَ لدينه العظيم ودعوته الغالية إذا أحوجته ضرورةٌ، أو ضَيّقتْ عليه المحنة، ولست تجده- وهو ينشط حِلًا وترحالًا- إلاّ مَكْثُورًا عليه، لعظيم موقعه في قلوب مَن عرفه عن كثب، وتَرصَّد حاله، وتأمَّل كلامَه، وهو بحقٍّ مُفوّهٌ منطيق.

ولستَ مع عُظْم الشُّقّة عليه في القصد إليه واجدَه إلاّ باشًا هاشًا، لا يردّ سائلًا إلاّ بما يمسح على خاطره المكدود بحاجته، أو بكلمة صادقة حانية تحفر في نفس قاصده أخاديدَ من التأمّل، وتُمدّه بسيلٍ من العِبَر الشّافية الكافية.

وها هما ديباجتاه تلمعان بنورٍ لا يخفى على القريب والبعيد، تُومِئان لمن أحْسَن الله به صُنعًا أنّ مَن صَدَقَ اللّهَ صَدَقه، وأبدى له من بركة التوفيق والقبول ما يَنْصاحُ له بسببه في وَسَق الليل نورٌ وهّاجٌ يمشي في هدايته، والنّاسُ حيارى في أرض بُور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

إنّ مَن يتحجَّى بوهمه وقلّةً فهمه أنّ أحوال المصلحين محْضُ مُصادفة؛ عليه أن يعالج بَصَره، ويقرأ من جديد سيَر المتقدّمين من الصّحابة الكرام (رضي الله عنهم) وأتباعهم، ما كانت عليه أحوالهم، وما آلتْ إليه أيامهم، وكيف واكبهم التأييد واللُّطف، وباركهم الرُّحْم والعَطف.

من عوامل العظمة التي بثّها الأستاذ في ذوي الشكائم المتّقدة، وشدّ عليها بين حناياهم؛ إذابةُ الأنانية من ذَواتهم، وإفناؤها من نفوسهم إلى غير رَجعة، فإنّ الرِّكز العاقلَ من عُرْض النّاس يلتذّ بنفع غيره، وينتشي بفعل المعروف، فكيف بالدّاعية ذي المبدأ والفكرة، أمّا النِّكس المفرِّط فإنّه لا يبالي إذا حصّل طِرفًا من لُعاعة الدّنيا أن يَهْلك الخلق كلُّهم بعده، ولو أنه حُرب بعضَ مَحابّه لرأيته يتمعّج حزنًا وقَلقًا، ولكأنّه ما عَرف للّه الذي أنشأه حكمةً ولا تدبيرًا، ولا قضاءً ولا تقديرًا!

وهذا الصّنف من الموجودات النّاطقة لا يُطيق صحبةَ الأستاذ، ولا يقْوى على فهم مراده، لأنّه سُكِّيتُ في الخير، ولا شأن له بمن جَلّى في المكارم والمُروءات أو صَلّى، وهمّةُ الأستاذ قاضيةٌ بأنّ الطّريق ذاتُ نصب وهمّ، لا يتحمّل وعْثاءها إلاّ المَداريك الكَمَلة الذين بذلوا أرواحهم لراحة غيرهم، وتصدّقوا بأعمارهم لنشْر برِّهم، وتأمّلوا من ربّهم أن يَعْفو عنهم، ويا ليتَ أنّهم خَلصوا من دنياهم كَفافًا لا لهم ولا عليهم!

وممّا تميّز به هذا العبد الصالح أنّه نَسَك إلى هدْي أَجَدَّ فيه وأخلص له، ليس من التصوّف المغشوش في شيء، بل هو من زهد النبيّ ﷺ وأصحابه في متاع الدنيا البئيس النّحيس، وعدم التفاتهم إلى شيء من زهرتها الفانية، وهو خُلُق الرِّبِّيِّين الصُّبُر عن متاع الغرور، وليس يطيق الدّوامَ على هذه الجادّة إلا رجلٌ نَضيجُ العقل حَنيكُ الرأي، مُولَعٌ بحقيقة الاتباع لا بصورته، وهذا الذي جعل عينَ صاحبنا تُذْري كلّما أَوْحل النّاسُ في دنياهم، وفرحوا بمَأْتاهُم منها، وهم في غفلة مُعْرضون، أو في صحوة متهتّكون مُعاندون!

إنّ رجلاً يفهم كمثل صاحبنا لا ينْطلي عليه أنّ التّعتُّه الذي يتجمّل به بعض المَرْكوسين، وإظهارَهم الفقر والفاقة ومراءاةَ المُريدين؛ ليس جميلا بمن تكشّفتْ له أنوار الحقّ على الحقيقة، وفَهِمَ عن الله مرادَه، ولأجْل ذلك نطق بالحق بَرَاحًا، وناء بنفسه عن خَرَف الهَذّائين ودَجَل الكذّابين، ولعلّ هذا الهمّ أشْجَب قلبَ شيخنا «كولن»؛ فلم يزل يقاوم هذا السّلوك الأرعن المسْخَ بفعله القويم وقيله الحسن وبشأنه كلّه؛ حتى تهزهز فؤادُه للخير الذي هُدي إليه، وعاش له وعليه.

نعماه لو تُقبِّل منه! واللّه كريمٌ واسعٌ.

لقد نَجَح الباذلون نفوسهم لله، القائمون على عيْلولة الخلق أيّما نجاح؛ حيث رَفَدوا الناس في مناحي الحياة بشتى فروعها، وتريَّعتْ أكفّهم بالخير، وجادوا بالقليل والكثير، رجاءَ ورْث الآخرة المرغوب لمن آمن بالله وعمل صالحًا، وأكرِمْ ببذار الخير إذا قام عليها أهلها وذَوُوهَا! وكذلك أصرّ «كولن» على من سمع كلمته ووعاها أن يَخرُج الدّرهم والدّينار من الجيب التركيّ النّظيف، فيرجعَ على الفقير التركيّ العفيف، والغنيُّ والفقيرُ كلاهما ذؤابةٌ في الشّرف وطيب المحتد.

وإنّك لتدرك منفعةَ هذا الإصرار حين ترجع بصرك للعاملين في الأقطار العربية التي ضرب عليها مُتْرفوها أسورةً من الذّل والجوع والهوان، وجعلوها تتعيّشُ البُلْغة من القُوت، حين ادَّرع أولئك العاملون الدعاةُ أمانيّ العطاء من بلاد المال والأعمال، وهم إن أفلحوا حينًا، فرجعتْ عليهم أمنياتهم ببعض الدُّريهمات، إلا أنّ أمانيَّهم خابت فلم يجنوا من ورائها إلا انكسار نفوسهم وقلّة حظوظهم في الأعمّ الأغلب، وإنّ في هذا الواقع المهين المُزري لعبرةً ودرسًا لمن يَعي ويفهم بأنّ مشاريع الخير التي ينشُدُها أولئك المجتهدون لا تنجح ولن تنجح ما لم يكن أصلها وفرعها من أنفسها، وكما قيل: صرّح الحقّ عند مَحْضه!

لقد مَحن بعض الدّعاة التسوّل الخيريّ فلم يروا فيه بركة، وتَحَفّى آخرون ببعض ذوي المال حتى تَوجّع منهم الأغنياء الثّقلاء، وضاقوا من عنايتهم الثقيلة ومجاملاتهم السّمْجة، فآل ذلك إلى أنْ أصْلفوا وملّوا، وصار أولئك الواقفون بين أيديهم كالمستجير من الحرّ بالقرّ، وكالمُستجيع الذي لا يَشبع! وسبحان من علّم رسوله ﷺ هدايتنا وتأديبنا؛ فقال: «يا حكيم، إنّ هذا المال خضرةٌ حلوةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه

عاش هذا الأشم حصوراً إلى يوم الناس هذا مع ما أنعم الله عليه من تمام الخلقة وقوة البدن وجمال الصورة

بإشراف نفس لم يبارَك له فيه؛ كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»، ورضي الله عن حكيم بن حزام حيث امتثل في اللحظة وقال: «فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرْزأ أحَدا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا» (صحيح البخاري).

ودعاةُ الخير القائمون على أمر الناس اليوم خليقٌ بهم أن يتّعظوا بالحال التي أوصلتهم إليها رحلاتهم شرقًا وغربًا خارج ديارهم؛ طلبًا لبذل المعروف ونشر الخير، وبحثًا عن حاتم وعَرَابة، والمُثْرُون من بين أظهرهم غافلون كالحُون، للماعون مانعون.

والحمدُ لله الذي جعل الأيام عُوجًا رواجع؛ فالغنيّ اليوم فقيرٌ غدًا، ودوام الحال من المحال؛ لا براح! اللهم غفْرًا ورحمة.

عاش هذا الأشمّ حَصورًا إلى يوم النّاس هذا، مع ما أنعم الله عليه من تمام الخِلقة وقوّة البدن وجمال الصّورة، ومع يقينه بشرف شرْعة النكاح، وأنّها سنّة الأنبياء والمرسلين، فلم يعزف عنها

رهبانيّةً، ولا تَنَكُّبًا للسَّبيل المحمودة، ولكنّه عايش أمّته وهي تذوي قيَمُها، ويضمحلّ شموخُها، ويهوي في دَكاديك مُظلمة شيبُها وشبابُها، فرأى مع كلّ هذا الهمّ الجاثم على البلاد طولًا وعرضًا لو ربط نفسه بميثاق الزّوجية الغليظ لكان أحْكَمَ وثاقَ حركته الوثّابة المستيقنة أنّ الأرض كلّها أضْيقُ من أن تكون وَطنًا لمسلم، كما قرّر ذلك مفسّرُ شنقيط، فآثر لذلك التفرّغَ لدينه ودعوته، مع تمام تسليمه أنّ الزواج حنيفيّةٌ سمحةٌ لا يرغب عنها تنقّصًا لها إلاّ مخذول.

إنّ مآسيَ السَّبيلة للعظماء منذ نُعُومتهم لها أثرٌ وأيّ أثر في كثير من النّجاحات المُستقْبَلة التي يُؤتَوْن أجْرها ويُمْنحون برّها! وكذلك كان شأنُ صاحبنا، تُوحشُه الأيام تباعًا حتى ليكاد يندقّ لها عنقُه، ويَندكّ تحت وطأتها كاهلُه، ثمّ يُوثبه مولاه وثْبةَ عارف بمنَح ربّه المُعطي، فيؤمن بالفتح القادم إيمانًا لا يُخالجه شكّ، ولا يَذوي ببريقه الرُّوحانيِّ رَيْب.

والمتعةُ بالبدايات السَّهْلة قد لا يكون لها ذلك الأثر من النّجاح إلاّ كما تترك الوَكْتةُ من الأثر في المرسوم أو الكتاب، أفَلا يَتَعقّل مَن يعقل مَراشد الأمور من الدُّعاة والمتصدّرين لهداية الخلْق أنّ معاناتهم ظاهرًا وباطنًا قد تكون سبيلَهم إلى الظَّفَر بحُمْر النَّعم؟ فلمَ يحرصون على تغْليف دعوتهم وصيانَة حركاتهم من كلّ كَأْدَاءَ مُؤلمة؟ ألا يفهمون أنّ تلك الدَّعَة الدَّعويّةَ ليستْ بالضّرورة مَجْلبةَ خير، ولا هي دائمًا علامةُ توفيق وتأييد؟ أليسوا مُدْركين أنّها في أحَايينَ كثيرة كانت طالعَ سوءٍ على صاحبها، وفأْلَ خيبة عليه؟

أيها المعلّم القريب على بُعْدك.. قد يطرب الممدوح لثناء مَن أحبّه وشُغف به، ولكنّا نعلم بالقطْع أنّ هذا الطَّرَب الفِطريّ في نفوس الأسوياء ما هو إلاّ فرحٌ منهم بعاجِل بُشرى المُومن، ومع أنّها فرحةٌ بريئةٌ من شوائب العُجْب والمَخيلة إلاّ أنّها سريعًا ما تذوي في غَمامة من الكَرْب الدّفين المُعْتلج بين جوانح تلك النّفوس الكريمة التي طالما واجهت عظائم الأمور، وكثيرًا من سفساف عاجل الدّنيا المَهين، وانسحبتْ منه إلى بَرٍّ أمين متفكّر في ملكوت الله الفسيح تفكُّرَ مَن يَعيِ أنّ عيوبه أخْفى من أن يكتشفها مُحبٌّ أو مخالبٌ.

وكما تَهمَّم شيخ العربيّة يومًا بصنيع مثْل صنيعي معك أنا اليوم، وعَدّ ابتهاجَه بالثناء عليه بما هو فيه وبما ليس فيه لؤمًا في الغريزة؛ لعلْمه أنّ الذي فيه من الخير مغمورٌ في بَحْر طام من النّقيصة والعيب، هكذا قال أو نَحوه..، فلستَ أنت- يرعاك الله ويصونُ شيْبتك الوقورة- إلاّ كذلك، وخيرًا من ذلك؛ تجد في نفسك حرجًا من بعض الواجب الذي يتعلّق بعُنُق مَن ذكر شيئًا ممّا يليق بك في دُوّامة ما يرى ويسمع ممّا لا يفيد ولا يغني.

ولكنْ هكذا كان منّا أداء بعض الواجب في حقّك، ومَعدنُك الكريم أهلٌ للصّفح والمغفرة في بعض التجاوز إن وقع! ولستَ أبدا مُحوجًا لأنْ يكتب عنك مثلي، ولكنّي وغيري من الصّغار في مسيس الحاجة لأن نتلمّس الهدْيَ النبويّ؛ كيف عشتَه أنت، وكيف حَييتَ لأجله أنت، وكيف عانيتَ لتمثّله في حياتك أنت، وكيف سلّمكَ الله من براثن مَن يُبغضه حيث آثرْتَ المَسْك به، وكيف أينعتْ ثمار غراسك بسببه.

فتح الله كولن.. أسبغ الله عليك العافية ونجّاك، وأورثك التوفيق أبدًا وهداك، وأطالَ في عمرك، وبارك في عملك، وخَلَع عليك من أنواع الرّضا وخصال الطّمأنينة ما يجعلك تفد عليه مرضي الجانب مكلوء الجناب والله المستعان.

التوجيه الشمولي للقرآن

شمولية القرآن تتضمن رسالة الإسلام بكل تفاصيلها، ففي باب الإيمان يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩) و﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فالقرآن الكريم فيه تبيان لكل شيء، حيث يقدِّم القواعد العامة الشاملة لتعمير هذه الحياة الدنيا، كما يعالج بعض التفاصيل لحكم يعلمها الله تعالى، وهذا الشمول يتوافق مع كل الأزمنة والأمكنة، ولأن رحمة الرسالة واسعة استدعت أن يكون منهج القرآن واسعًا فسيحًا شاملاً.

ومن شمولية القرآن مطالبته جميع المكلفين بإسلام شامل جامع مانع، فلا يلتزمون ببعض شرائعه ويتركون بعضها، لأن ذلك لا يليق بمن أسلم وجهه لله تعالى، كما قال الله سبحانه ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ٨٥).

إن القرآن الكريم برسالته العامة يهدف إلى توضيح خطوط عريضة لابد من أن يلتزمها المسلمون، وهذه الخطوط راجعة في جميع تفاصيلها إلى الاعتقاد الجازم بشمول الشريعة لمناحي الحياة كلها وكفايتها احتياجات الخلق جميعًا، وتيقّن أن هذا الدستور الرباني الخالد كما قال بعضهم: «دولة ووطن، أوحكومة وأمة، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة، أو جيش وفكرة، وهو خُلُق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، كما أنه عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

إن القرآن رسالة تجمع بين الدنيا والآخرة، بين الروحانية والمادية، بين المثالية والواقعية، رسالة تشمل شؤون الفرد، وشؤون الأسرة، وشؤون المجتمع، وشؤون الأمة، وشؤون الدولة، وشؤون العلاقات الدولية.. إنه منهج حياة ينظم حياة الإنسان من أدق تفاصيلها إلى أوسع اهتماماتها، إنه دينٌ لكل الأمم ولسائر الشعوب، لأنه رحمة الله للعالمين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ (الأعراف: ١٥٨).

أهل القرآن ودورهم في النهضة

وصفي عاشور أبوزيد

حينما نقرأ في مدونات السنة النبوية الشريفة حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس» قيل: يا رسول الله، ومن هم؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»(١). ويقول المناوي: «أي الذين يختصون بخدمته... فإنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله»(٢).

حينما نقرأ ذلك ندرك تمامًا ما لأهل القرآن عند الله تعالى من مكان ومكانة، فليس بعد هذا التشريف تشريف، وليس بعد هذه الأهلية الإلهية من تكريم ورفعة، وليس بعد هذا الاختصاص والاصطفاء من كرامة وشرف: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، وإذا كان خير الكلام كلام الله، فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعمل به ويعلّمه، وليس مجرد حفظ حروفه فقط، وهذا مقتضى وصف الربانيين الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩).

حين نتحدث عن دور أهل القرآن في إحداث نهضة الأمة وقيادة تلك النهضة، فلا يسعنا أن نتجاوز الحديث عن دور القرآن نفسه في إحداث تلك النهضة وريادتها وبيان معالمها وموجباتها.

إن أول ما يلفت النظر في هذا السياق في القرآن الكريم أنه كتاب الإنسانية، فلم ينزل القرآن للمسلمين فقط إنما نزل للناس كافة؛ ليخرج الناس من الظلمات

إلى النور، إنه نداء للإنسانية قبل أن يكون نداء للمؤمنين، رغم كثرة النداءات الإيمانية في هذا الكتاب العزيز.

وحسبنا أن ﴿يأيها الناس﴾ ذكرت في القرآن ١٩ مرة، وكلمة ﴿الناس﴾ في القرآن ١٣٨مرة، و﴿بني آدم﴾ ٥ مرات، ومن ثم يفتح هذا الكتاب الباب على مصراعيه للحوار مع الآخر، واستيعاب البشرية بما فيه من مبادئ إنسانية، وتعاليم بشرية تصلح للبشر، كل البشر. رغم اختلاف الزمان والمكان والإنسان والحال، فهي الرسالة التي «امتدت طولا. كما قال الإمام حسن البنا، حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عُمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة».

إنه الكتاب الوحيد من الكتب السماوية التي بين أيدينا. الذي أعلى مكان الآخر، ورفع قدره، وأوجب له التقدير والإجلال والإقساط والإحسان والبر دون نظر أو اعتبار لعقيدته أو لونه أو جنسه أو لغته، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾ (الحجرات: ١٣).

ومع هذا الشمول في مساحات الخطاب نجد شمولًا من نوع آخر، وهو في مجالات توجيه هذا الخطاب، ففي القرآن الكريم اهتمامات واسعة بمجالات الحياة كلها، عقيدةً وعبادةً، أخلاقًا ومعاملات، نظمًا وأحكامًا، قوانينَ وتشريعات، قيمًا ومُثلا، عادات وتقاليدَ، أعرافًا وموازينَ...الخ، فالأول شمول في المستهدفين من الخطاب، والثاني شمول في مجالات هذا الخطاب.

هو الكتاب الوحيد الذي ظل محفوظًا، لم ولن تمتد إليه يد بالتحريف أو التغيير أو التبديل أو التزوير، بمقتضى وعد الله بحفظه حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فنجد فيه الأخبار الصادقة، والوقائع الحقيقية،

أهل القرآن ... عنه يصدرون وإليه يرجعون ومنه يغترفون وفي نوره يسيرون وبه يجاهدون

وهو الوثيقة الوحيدة التي نطمئن إليها في قصص الأنبياء وسيرهم وتاريخهم، حيث نلتمس منها العبرة البليغة، والحكمة النافعة.

ومن معالم النهضة في هذا الكتاب أن كل شيء فيه قائم على التوازن، توازن في الخلق وتوازن في الأمر، توازن في الكون وتوازن في التشريع؛ فتعاليمه وتشريعاته جمعت بين الدعوة والحركة، ومزجتْ بين العلم والعمل، ووصلتْ بين التأصيل والتطبيق، وربطتْ بين الدنيا والآخرة، في غير ما طغيان ولا إخسار.

لم يأمر باعتبار الآخرة وإهمال الدنيا، إنما جعل عمارة الدنيا طريقًا للفوز في الآخرة، فخلق الخلق وأمرهم بعمارة الأرض: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، ولم يأمر المؤمنين أن يتبتلوا ويتعبدوا ثم يهملوا أبدانهم أو عقولهم، كما لم يأمرهم بالرهبنة دون زواج أو إنجاب لتسير حركة الحياة ويعمر الكون.

كل هذا يدلك على رغبة القرآن في إحداث حراك في الحياة، له شموله وتوازنه وعمقه واستمراره.

إن من خصائص هذا الكتاب ومقومات النهضة فيه أنه كما روى الترمذيُّ في سننه بسند فيه مقال عن الحارث الأعور أن النبيَّ ﷺ قال عنه: «...هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه...»، وهو الذي وصفه الإمام الشاطبي بأنه: «كليةُ الشريعة، وعمدةُ الملة، وينبوعُ الحكمة، وآيةُ الرسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، وأنه لا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره، ولا تَمَسُّكَ بشيء يخالفُه...، وإذا كان كذلك لَزِمَ ضرورةً لمن رامَ الاطلاعَ على كليات الشريعة، وطَمِعَ في إدراك مقاصدها واللِّحاقِ بأهلها أن يتخذَه سميرَه وأنيسَه، وأن يجعلَه جليسَه على مَرّ الأيام والليالي، نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما، فيوشك أن يفوزَ بالبُغْيَة، ويَظْفرَ بالطِّلْبَة، ويجدَ نفسَه من السابقين وفي الرعيل الأول»(٣).

ومن خصائص هذا الكتاب ومعالم النهضة فيه أنه خالد وخاتم، كما أن الذي أنزل عليه خاتم، وكما أن الذين أنزل لهم خاتمون؛ فليس بعد القرآن كتاب، وليس بعد محمد بن عبدالله ﷺ رسول، وليس بعد أمة الإسلام أمة.

ومقتضى هذه الخاتمية أن أودع الله في القرآن أصولًا وكليات ومبادئ، ثابتةً لا تتغير ولا تتبدل مهما تبدلت الأجيال والأزمان والأحوال والعوائد، فهي بمنزلة الجبال الرواسي التي تمسك الأرض أن تميد بالناس، يرجع الناس إليها، وينشئون حضارتهم وعمرانهم على أساس منها واستبصار بها وبصيرة فيها، يرجعون إليها عند الفزع، ويأوون إليها عند الخوف، ويلتمسون فيها الفرج عند الضيق، ويجدون عندها- مهما كان الألم واليأس وتردي الواقع- الرَّوْح والراحة والأمل والرضى والرضوان واليقين.

وجعل فيه أمورًا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والعوائد؛ احتضانًا للواقع، واستيعابًا لمتغيراته، وإحداثًا لأحكام وتشريعات تنبثقُ من تلك الكليات والمبادئ والمقاصد، ولا تتعارض معها أو تتصادم بها.

أهل القرآن والنهضة

إننا مهما حاولنا أن نكتب عن معالم النهضة الحضارية القرآنية لن ننتهي من

الحديث، ولن ينتهي بنا بحره إلى ساحل، فالقرآن بحر، من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله؛ ذلك إن كان له بَرٌّ، أو وجد له ساحل.

ولما كان أهل القرآن- الذين هم أهل الله وخاصته- يحملون هذا القرآن: حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وعملًا وتعليمًا، فلا يتصور أبدا أن تجدهم منفكين عن هذه المعالم أبدًا، بل دائمًا متلبسين بها جميعًا، فهم عن القرآن يصدرون، وإليه يرجعون، ومنه يغترفون، وفي نوره يسيرون، وبه يجاهدون البشرية جميعًا جهادًا كبيرًا.

إن أهل القرآن هم أهل السماحة والتواصل الفعال الحضاري بين البشر؛ حوارًا موصولًا، وعطاءً ممدودًا، لن تجد أحدًا منهم مصابًا بالتعصب أو الانغلاق، ولن تجد أحدهم موبوءًا بالتحجر أو التحلل أو احتقار الخلق، إنما هو شخص منفتح على «الإنسانية»، على «البشرية»، على «بني آدم»، كيف لا، وهو يُدرِجُ بين جنبَيْه كتاب الإنسانية؟!

إنهم يحمون الناس من اليأس، ويضيئون أمامهم الطريق، وييسرون لهم العسر، ويذللون لهم الصعب، ويبثون فيهم الأمل، ويحيونهم بعد موات، ويهدون البشرية للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

متى تحققت الربانية في الأفراد كان من السهل تحقيق الإصلاح الاجتماعي العام

أدوار أهل القرآن

ومن الأدوار التي يمكن أن يؤديها أهل القرآن للأمة في هذا السياق ما يلي:

■ **دور تربوي جماهيري**، بحيث ينشرون هدايات القرآن، ومنهجه في إصلاح النفوس وترقيتها في مدارج الكمال الإنساني المنشود، فيصير الفرد إنسانًا صالحًا مصلحًا، تتحقق فيه مقتضيات الاستخلاف والتكليف والعمارة.

■ **دور إصلاحي اجتماعي**، بحيث ينبني هذا الدور على الدور السابق، فمتى تحققت الربانية في الأفراد سهل تحقيق الإصلاح الاجتماعي العام بحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان، وهو المقصد الأعلى من وضع الشريعة كما قال العلامة الطاهر بن عاشور وغيره.

■ **دور تيسيري تبشيري**، وهو دور يتغلغل في الأدوار الأخرى ويتسرب في تضاعيفها، بحيث يظهرون سماحة الإسلام ويسر الشريعة، فيستوعبون الناس، ويبسطون مظلة الإسلام على قطاعات البشرية العريضة، بما أودع الله في هذا الدين من أصول جامعة وفروع متغيرة تتغير بتغيرات الزمان والمكان والأشخاص والأحوال والعوائد، وفي الوقت نفسه يبشرون بظهور الإسلام إن عاجلًا أو آجلًا، وينشرون الأمل بين الناس رغم وجود الألم، فإن تَبَلَّجَ الإصباح يَخْرُجُ من رحم الظلام الدامس، وإن سورة الفجر نزلت بعد سورة الليل!

وكما أن معالم النهضة الحضارية في القرآن لا تنتهي، فكذلك معاني النهضة الحضارية في أهله لن تنتهي، ولن نستطيع حصرها إلا كما روى الإمام أحمد بسنده عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة- رضي الله عنها- فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ﴿وإنك لعلي خلق عظيم﴾(٤). صدقت السيدة عائشة- رضي الله عنها- وصدق رسول الله ﷺ وصدق الله العظيم.

الحواشي

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم بسندهم عن أنس رضي الله عنه، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقاته على المسند، وقال المناوي: «قال الحاكم: روي من ثلاثة أوجه هذا أجودها» اهـ، وفي الميزان: رواه النسائي وابن ماجة من طريق ابن مهدي عن عبدالرحمن بن بديل، وأحمد عن عبدالصمد عن ابن بديل تفرد به، وقد ضعفه يحيى، ووهاه ابن حبان، وقواه غيرهما». فيض القدير: ٦٢٩/٢، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م.

(٢) فيض القدير: ٦٢٨/٢-٦٢٩.

(٣) الموافقات: ٣٤٦/٤. طبعة دار الفكر العربي.

(٤) مسند أحمد: (٢٤٦٤٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

الإعجاز العلمي في القرآن.. تصويب الاتجاه

د. غازي التوبة

بلغت الآيات الكريمة التي تحدّثت عن مظاهر الكون والطبيعة والإنسان والحيوان والنبات ثلث القرآن الكريم، وهذا مبلغ عظيم، وقد ربط كثير من الباحثين في عصرنا الحاضر تلك الآيات ببعض النظريات العلمية والاكتشافات التي ظهرت في العصر الحديث، واعتبروا هذا إعجازًا علميًا غير الإعجاز البياني الذي جاء به القرآن الكريم، والذي هو الأصل المجمع عليه في الإعجاز، ولكننا نجد عند البحث الدقيق أنّ هناك اعتسافًا في التعامل مع الآيات الكريمة التي ربطوها بالإعجاز العلمي.

لقد اقتلع كثير من الباحثين الآيات القرآنية الكريمة من سياقها الذي وردت فيه من أجل تأدية غرض معيّن، وربطوها بالنظرية العلمية التي اكتشفت حديثًا دون النظر إلى ما قبلها وما بعدها، وهذا خطأ كبير في فهم القرآن الكريم وفي التعامل معه، وبالإضافة إلى هذا يعتبر ذلك تجاوزًا للمقاصد والحِكَم والأهداف التي جاءت من أجلها تلك الآيات في السياق القرآني. وبالغ بعضهم في الإشادة بالإعجاز العلمي، فاعتبر أنّ الربط بين الآية الكريمة والنظرية الحديثة هو الذي أفهمنا إيّاها، وهذا اتهام للقرآن بأنه طلاسم وألغاز ومغاليق، كانت تُتلى من المسلمين طوال أربعة عشر قرنًا دون فهم أو استيعاب.

وهذا غير صحيح فالقرآن الكريم كتاب عربي مبين، ويتميّز عن الكتب السماوية الأخرى بأنه كتاب علم وعقل، وتوصف معجزة القرآن الكريم الخالدة بأنها معجزة بيانية عقلية، وأنا سأقدّم ثلاثة أمثلة توضّح بعض الأخطاء التي وقع فيها باحثو الإعجاز العلمي:

■ الأول: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

يتضح البناء العقلي للمسلم من خلال أمر الآيات بالنظر في مظاهر الكون

أشار باحثو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى أنّ الآية ﴿وإنّا لموسعون﴾ أشارت إلى نظرية تمدّد الكون واتساعه التي اكتشفها العلم حديثًا، وهذا قول مجانب للصواب، وتحميل للآية ما لا يحتمله سياقها في السورة. فمن الواضح عند النظر إلى الآية في سياق سورة الذاريات أنّ الآية بدأت بمقطع يتحدّث عن بعض مظاهر قدرة الله تعالى في السماء والأرض، وعن حكمة الله في خلق الأزواج فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧-٤٩).

وقد جاء هذا المقطع بعد إخبار الله لنا في المقطع السابق من السورة عن إهلاك عدّة أقوام، منها: قوم لوط، وقوم فرعون، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم نوح، ثم يأتي أمران للعباد بعد آيات إهلاك الأقوام، وآيات السماء والأرض والأزواج، هما: الفرار إلى الله، والتحذير من الإشراك معه شيئًا آخر، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠-٥١)، وهذان الأمران مطلوبان لأنّ الله هو ربهم ومليكهم وخالقهم، وهو العظيم القادر على أن يحفظهم ويرعاهم، وأن يمدّهم بكل أسباب النماء والقوّة ...إلخ، فمن الجليّ أنّ الحديث عن سعة السماء وما فيها من أفلاك ونجوم وكواكب ومجرّات ...إلخ -وهي ظاهرة واضحة للعيان يراها الإنسان بشكل جليّ- يدل على عظمة الله وقدرته وجبروته وحكمته ...إلخ ويبني في قلب الإنسان تعظيم الله، وتقدير قدرته، ويدفعه للخضوع لله سبحانه وتعالى.

والجليّ أنّ الحديث عن سعة السماء ليس المقصود منه طرح نظرية علمية لأنه انتزاع للآية من سياقها وليس هدفًا للسورة بحال من الأحوال، بل المقصود توجيه نظر الإنسان وقت نزول القرآن الكريم والآن وفي المستقبل إلى مشهد بديع يملأ العين والقلب بعشرات الأفكار والمشاعر، ويبني الإنسان بناءً نفسيًا إيجابيًا نحو تعظيم الله والخضوع له والثقة به سبحانه وتعالى ...إلخ ويدفعه إلى الفرار إلى الله تعالى، وإلى عدم الإشراك به تعالى.

■ **الثاني: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠).

ربطُ كتّاب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين قوله تعالى: ﴿أنّ السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناها﴾ وبين نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) التي اكتشفت مؤخّرًا، والتي قالت إنّ انفجارًا عظيمًا حدث في الفضاء قبل ملايين السنين، انفصلت بعده الأرض، وبدأت التشكّل، واعتبروا أنّ هذه الآية تشير إلى هذه النظرية، وكما قلنا سابقًا إنّ هذا اعتساف في استعمال النصوص، لأنّ الآية يجب أن يُنظر إليها من خلال السياق القرآني أي من خلال النظر إلى ما قبلها وما بعدها من الآيات لنفهم المعنى الذي تشير إليه، فنجد أنّ الآيات التي سبقت الآيات السابقة تحدّثت عن نفي الشريك لله تعالى، ثم جاءت بعدها آيات تحدّثت عن الأرض والجبال الرواسي، وعن الفجاج في هذه الجبال، وعن السماء والليل والنهار، وعن الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٣٣).

وبالنظر في سياق آية «الانفجار العظيم»، نجد أنها لا تشير إلى مثل هذا بحال من الأحوال، بل إنها تشير هي والآيات التي بعدها إلى أنّ هناك إلهًا واحدًا هو الذي يدبّر نزول الماء ويقيم الجبال في الأرض، ويحفظ السماء من أن تقع على الأرض، وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر من أجل استمرار الحياة، وأنّ وجود إله واحد هو الذي جعل الأمور السابقة متساوقة، ويكمل بعضها بعضًا، ولا يتناقض فيها أمران، ولا تتدافع ظاهرتان ...إلخ، فالجليّ أنّ الحديث عن السموات والأرض المقصود منه التدليل على وحدانية الله، ومما يؤكّد ذلك أنّ المفسّرين القدماء فسّروا الآية المذكورة فقالوا: إنّ السموات والأرض كانتا مغلقتين ففتحناهما، فالسماء فتحها الله بإنزال الماء منها، والأرض فتحها بأن انبثق النبات منها، ومما يدعم هذا التفسير هو انتهاء الآية بقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ وهي تشير إلى أنّ إنزال الماء من السماء هو السبب في حياة كل المخلوقات: الإنسان والحيوان والنبات.

■ **الثالث: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(الحديد: ٢٥).**

من المعلوم أنّ الحديد معدن وصل من النيازك والشهب التي تسقط على الأرض من كواكب السماء وليس من معادن الأرض المخبوءة فيها، وقد توصّل العلماء إلى هذه النتيجة مؤخّرًا، وربط باحثو الإعجاز العلمي بين هذا الاكتشاف العلمي والآية القرآنية التي تقول: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾، فلم يقل الله ﴿وخلقنا الحديد﴾ أو ﴿وجعلنا الحديد﴾، فاعتبروا قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ إشارة إلى مجيئه من مكان آخر، وقالوا إنّ الآية تشير إلى هذه الحقيقة، لكنّ آخرين ردّوا عليهم فقالوا إنّ الله قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثمانية أزواج﴾ (الزمر: ٦)، وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف: ٢٦)، فهل ذلك يعني أنّ الأنعام واللباس والريش أنزل من السماء؟ لا أحد يقول بذلك.

من هنا يتبين أنّ هناك اعتسافًا وإسرافًا في الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.. فما هي الحِكَم والمقاصد والأهداف التي استهدفتها الآيات التي أشارت إلى الكون والطبيعة والإنسان والشمس والقمر والمطر والسحاب والجنين ...إلخ؟ الحقيقة أنّ هناك عدّة حِكَم ومقاصد وأهداف من هذه الآيات، وهي قد تكون أجلّ وأسمى وأصوب وأجدى على الإنسان المسلم من الحديث عن الإعجاز العلمي، وهذه الحِكَم والمقاصد والأهداف هي:

■ **أولاً: البناء النفسي للمسلم**

استهدفت كثير من الآيات التي تحدّثت عن الطبيعة والإنسان والسماء والأرض والماء والريح ...إلخ البناء النفسي للمسلم، وتوجيه قلبه إلى الله تعالى: تعظيمًا وخضوعًا وحبًّا وخوفًا ورجاء وثقة ...إلخ، ويمكن أن نمثّل لذلك بآيات وردت في سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

بدأت هذه الآيات بتقرير عدّة أمور هي: أنّ الله هو الذي خلق السموات والأرض، وهو تعالى الذي أنزل المطر الذي كان سببًا في نمو الشجر ونضج الثمر الذي أضحى طعامًا لنا، وهو الذي هيّأ الأسباب لتبحر السُّفُن عباب البحر، وهو الذي سخّر لنا عدّة مخلوقات: الأنهار والشمس والقمر والليل والنهار، ثم يبيّن الله لنا فضله علينا، وهو أنه آتى العباد من كل ما سألوه، مع أنّ نِعَم الله أجلّ وأوسع من أن تحصى، ومع

ذلك فإنّ الإنسان لا يحمد الله حق الحمد ولا يشكره حق الشكر بل هو ظلوم كفّار.

يقتضي تقرير الآية أنّ الله الذي خلق السموات والأرض من العدم على غير مثال سابق، وهو خلق عظيم يحوي ملايين النجوم والأفلاك التي تسبح في الفضاء منذ ملايين السنين وإلى ما شاء الله، يقتضي تعظيمه تعالى.

ويقتضي إنزاله تعالى الماء من السماء أن نعظّمه- تعالى، لأنّ إنزال المطر تطلّب تبخير الماء، وإرسال الرياح، وتحميل السحاب، وحدوث البرق والرعد، تطلّب كل هذا وكثيرًا غيره نجهله، وهذا كله يقتضي تعظيمه تعالى، ويقتضي أن نحبّه- تعالى، لأنه أنعم علينا بهذه النعمة التي ترتبط حياتنا بها أشدّ الارتباط طعامًا وشرابًا، وأن نرجوه تعالى في أن يستمرّ في إنزاله علينا، وأن نخافه- تعالى- من أن يحرمنا منه.

ويقتضي تسخيره- تعالى- لنا الفلك التي تمشي الهوينى على سطح الماء، أن نعظّمه - تعالى، لأنّ سيرها احتاج إلى عشرات الموافقات، وأن نحبّه تعالى لأنّ نعمة استخدام السفن نعمة عظيمة ندرك قيمتها، ولو تخيّلنا عدمها كم ستصبح الحياة شاقة وصعبة.

ثم يخبرنا تعالى أنه سخّر لنا الأنهار، ويقتضي هذا التسخير أن نحبّه تعالى لأنه هيّأ لنا هذه النعمة فنشرب ماءها، وتشرب منها بهائمنا، ونسقي بها زروعنا، ونركبها في انتقالنا.

ثم يخبرنا تعالى أنه سخّر لنا الشمس والقمر وما ينجم عنهما من ليل ونهار، ويصف الشمس والقمر بصفة ﴿دائبين﴾، وهي صفة أصيلة ولصيقة بهما، فالإنسان ينشأ وهو يرى

الشمس بالنهار، والقمر بالليل، ويموت مخلفًا وراءه تتابعهما، وكذلك الأجيال التي سبقته والأجيال التي تليه إلى أن يشاء الله.

ويقتضي هذا التسخير أن نحبّه تعالى وحده لأنه أنعم علينا بأن ذلّل لنا هذه الآيات الكبيرة: الشمس والقمر والليل والنهار، الشمس بحرارتها التي تعتبر أساسًا في حياتنا، والقمر الذي نمتّع به أبصارنا، ونستضيء به في ظلماتنا ونحسب به أيامنا، والنهار الذي يضيء أيامنا وحركتنا، والليل الذي يلفّ أجسادنا ليريحها من عناء النهار.

ثم يأتي التعقيب النهائي الذي يوضّح القصد من الحديث السابق: ﴿إنّ الإنسان لظلوم كفّار﴾ شديد الظلم للحق، لا يُؤلّه الله وحده، بل يُشرك معه آلهة أخرى، ولا يتوجّه إليه بالحبّ وحده بل يحبّ آلهة أخرى معه، وهو شديد الكفران والجحود، يقابل نِعَم الله التي لا تُحصى بالمعصية وعدم الطاعة.

■ ثانياً: البناء العقلي للمسلم

قد بنى القرآن الكريم عقل المسلم البناء الصحيح، وجعله يتعامل مع الكون المحيط به تعاملاً سليمًا، وهو من أجل تحقيق هذا استخدم آيات الكون والطبيعة والإنسان ...إلخ، ووظّفها في سبيل تحقيق هذا الهدف، وليس من شك في أنّ هذه ثمرة عظيمة، ويتّضح ذلك من خلال إقرار قانون السببية، وهو أهم قانون قامت عليه حضارتنا وأخذته الحضارة الغربية من حضارتنا، وهو الذي نقل الإنسان من العقلية الخرافية إلى العقلية العلمية، ففي شأن نزول المطر قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الروم: ٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧). فالآيتان السابقتان توضّحان أنّ الرياح كانت سببًا في تكوين السحب، وكيف أنّ السحب كانت سببًا في نزول الماء، وكيف كان الماء سببًا في إنبات النبات ...إلخ وهذا بناء لعقل المسلم على الظاهرة السببية.

ويتضح البناء العقلي للمسلم من خلال أمر الآيات بالنظر في مظاهر الكون من طعام، ونزول مطر، وإنبات نبات، والشمس ...إلخ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ

وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ٩٩)، وحضّ القرآن الكريم المسلم على النظر في أحوال الأمم السابقة وهلاكها، وأسباب ذلك فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١)، وقال تعالى أيضًا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل: ٦٩)، وحثّ القرآن الكريم على استعمال حاسّتي السمع والبصر اللتين هما الأصل في بناء العقل فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)، وحثّ القرآن الكريم على التفكير فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٥٠)، ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)، وحثّ القرآن الكريم على التعقّل فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)، ﴿وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٠)، وحثّ القرآن الكريم على العلم فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: ١١٤)، وامتدح العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، وحثّ الله على استعمال البصر فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

■ **ثالثاً: التدليل على وحدانية الخالق**

استثمر القرآن الكريم آيات الطبيعة والكون للتدليل على وحدة الخالق، فذكرت الروايات أنّ الله أنزل على الرسول ﷺ في المدينة قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣)، فقالت قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)، تحدّثت الآيات السابقة عن مظاهر وألوان من آيات الله الباهرة، منها: خلق السموات والأرض، والسُفُن التي تجري في البحر، ونزول المطر، وإنبات النبات، وخلق الدواب، وحركة الرياح والسُحُب ...إلخ.

إنّ تلك الظواهر الكونية السابقة مع أنها متفرّقة فإنها متكاملة يكمّل بعضها بعضًا، ويخدم بعضها بعضًا، فلَمْ تصطدم أيّة ظاهرة مع أخرى بل الكل مسخّر للإنسان، متكامل معه، يحقّق هدفًا في منظومة الكون السائرة إلى الأمام، وكل هذا يدل على أنّ هناك خالقًا واحدًا، وربًّا واحدًا، وهو ما قصدته الآيات. وقد أشارت آيات أخرى إلى وحدانية الخالق بالمفهوم المخالف بأنه لو كان أكثر من إله لفسدت السموات والأرض فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢)، وأشارت آية أخرى إلى أنه لو كان فيهما أكثر من إله لعلا بعضهم على بعض ولاضطرب نظام الكون فقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١).

ومن الجدير بالذكر أنّ الحديث عن وحدانية الخالق من خلال استخدام مظاهر الطبيعة والإنسان يستهدف بالإضافة إلى إثبات حقيقة الوحدانية كحقيقة عقلية أمرًا آخر هو البناء النفسي، ويدلّ على ذلك أنّ الآية التالية للآية التي أثبتت وحدانية الخالق من خلال عرض مظاهر الخلق في السموات والأرض والسُفُن ونزول المطر وإنبات النبات ...إلخ قالت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وبيّنت أنّ المقصود من الكلام عن وحدانية الخالق هو توجيه الحبّ إلى الله، وبيّنت ذلك من خلال الإشارة إلى خطأ بعض الناس بتوجيه الحبّ إلى أنداد لم تَخلق ولم تُنعم على الناس بشيء.

■ **رابعاً: التدليل على وحدة المخلوقات**

استثمر القرآن الكريم آيات الكون والطبيعة والإنسان والحيوان ...إلخ للتدليل على وحدة المخلوقات، وأبرز عدّة مبادئ تؤكّد ذلك منها:

أ - مبدأ الزوجية: أشارت الآيات

إلى أنّ مبدأ الزوجية هو الذي يحكم الكون كله، فهناك الذكر والأنثى في عالم الإنسان والحيوان، وهناك الطلع المذكّر والطلع المؤنّث في عالم النبات، وهناك الأرض والسماء، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر ...إلخ في عالم الكون، فقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: ٧).

ب- مبدأ إخراج الحي من الميّت والميّت من الحي: أشارت الآيات إلى أنّ الله يخرج الحي من الميّت والميّت من الحي في كل المخلوقات التي خلقها: الإنسان والحيوان والنبات، ففي شأن خلق النبات من النواة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥)، وفي شأن خلق الإنسان قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

ج- مبدأ المائية في كل المخلوقات: بيّنت الآيات أنّ الماء هو الأصل في كل المخلوقات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، فالطفل يأتي من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، وكذلك الحيوان يأتي من ماء الذكر والأنثى، وكذلك النبات فالماء هو الأصل في حياته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ (الأنعام: ٩٩)، ثم بيّنت العلوم الحديثة أنّ الماء يشكّل فوق تسعين بالمائة من أجسام المخلوقات جميعها: الإنسان، والحيوان، والنبات.

ومما تجدر ملاحظته أنّ التدليل

القرآن استثمر آيات الكون والطبيعة والإنسان والحيوان ... إلخ للتدليل على وحدة المخلوقات

على وحدة المخلوقات يستهدف أمرًا آخر غير إثبات الحقيقة العقلية هو البناء النفسي، ويدل على ذلك أنّ الآيات التي أبرزت المبادئ التي عرضنا والتي دلّت على وحدة المخلوقات انتهت بما يوجّه إلى ذلك، ولو أخذنا مبدأ الزوجية نجد أنّ الآية التي تحدّثت عن مبدأ الزوجية في سورة الذاريات انتهت بطلب الفرار إلى الله، والفرار يقتضي الرجاء فيمن يفر الإنسان إليه. ولو أخذنا الآية التي تحدّثت عن المبدأ الثاني فسنجد أنها انتهت بقول الله تعالى ﴿أفلا تتقون﴾، وفيه توجيه وحضّ على التقوى، وهي أصل عظيم في البناء النفسي. وكذلك لو أخذنا الآية التي تحدّثت عن المبدأ الثالث لوجدنا أنها انتهت بقوله تعالى ﴿أفلا يؤمنون﴾، وهذه النهاية توجيه إلى الإيمان وهو الهدف من البناء النفسي والعقلي.

■ خامسًا: التدليل على ضرورة وجود اليوم الآخر

شكّل وجود اليوم الآخر مشكلة بالنسبة للمشركين، فردّ القرآن الكريم عليهم بأنّ عدم وجوده يعني العبثية فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥-١١٦)، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦)، ودلّل على ضرورته بالنظر إلى كل الظواهر الكونية، فستجد الحكمة والقصد والهدف من وراء خلقها بالصورة التي خُلقت عليها فقال تعالى في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ٦-١٧)، فأشارت الآيات إلى أنّ الله جعل الأرض ممهّدة لحكمة تسهيل السير فيها، وجعل الجبال عالية شاهقة لتثبيتها ولتقوم مقام الأوتاد بالنسبة للخيمة، وخلق البشر أزواجًا من أجل السكن والمودّة واستمرار النوع، وجعل النوم سُباتًا من أجل الراحة، وجعل النهار مضيئًا من أجل الإنتاج والمعيشة، وجعل الشمس متوهّجة من أجل إنبات النبات وإمكانية عيش الإنسان، وجعل الماء ينزل من السحُب من أجل إحياء النبات والحيوان والإنسان. إذن فكل شيء مخلوق لحكمة، وإذا كانت الحكمة والقصد والغاية والهدف قانونًا يحكم كل مخلوقات الكون، فلابد من أنّ يحكم الإنسان، لذلك لابد من اليوم الآخر، لذلك قال تعالى بعد تلك الآيات: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ١٧).

■ سادسًا: التدليل على إمكانية بعث الأموات

تشكّك المشركون في بعث الأموات الذين صاروا ترابًا، فنقل عنهم تشكّكهم واستغرابهم النشر، في القرآن: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الواقعة: ٤٧)، وقال تعالى أيضا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣)، فردّ عليهم القرآن بأمرين:

الأول: أنّ الذي خلق أول مرّة قادر على أن يعيد خلقه مرّة ثانية فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٩).

الثاني: أنّ خلق السموات والأرض وهي من خلق الله أكبر من خلق الإنسان، فالنتيجة أنّ الله قادر على أن يعيد خلق الإنسان بعد أن يموت، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

■سابعاً: التدليل على بعض صفات الله

لم يتحدّث القرآن الكريم عن بعض صفات الله حديثًا نظريًا، وإنما تحدّث عنها من خلال آيات الكون والإنسان، ففصّل في صفات الخلق والقدرة والعلم والحكمة والخبرة والقوّة ...إلخ من خلال عشرات الآيات فقال تعالى عن صفات الخلق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤). وأظنني في غنى عن استعراض آيات أخرى بيّنت صفات أخرى لله تعالى كالرزق والحكمة والخبرة والعلم ...إلخ

والسؤال الآن: هل يعني ذلك ألاّ نستفيد من كل الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال الفلك والطب والنبات والحيوان والإنسان والأنهار والجبال ...إلخ؟ لا ليس هذا صحيحًا، بل يجب أن نستفيد، وأن نوسّع آفاق فهم الآيات ونعمّقه من خلال الربط بين الحقائق المكتشفة ومعاني الآيات، فيزداد المسلم تعظيمًا لله، وخوفًا منه، ورجاء فيه، وحبًا له سبحانه وتعالى، ويمكن أن نضرب على ذلك المثال التالي:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١١-١٢). وقد فسّر العلماء قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ بأنها هي السماء التي ترجع المطر، وقوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ بأنها الأرض التي تتشقّق فيخرج منها النبات، وليس من شك في أنّ ظاهرتي الإمطار والإنبات ظاهرتان عظيمتان، تؤثّران في قلب الإنسان وعقله، فيتوجّه إلى الله بالتعظيم لأنه أنزل المطر الذي ترتبط به حياته أشدّ الارتباط، ويحبّه تعالى لأنه أغاثه بهذا الماء، ويتفاعل عقله مع هاتين الظاهرتين فيجد في هاتين الظاهرتين علمًا لله، وحكمة وقدرة وخبرة ورحمة وقوّة ...إلخ.

لكنّ العلوم الحديثة أضافت لنا معلومات حديثة حول دور السماء، فهي ليست السماء الماطرة فقط، بل تقوم بدور آخر، فهي ترجع لنا بالإضافة للمطر ثلاثة أشياء هي: الضوء، الحرارة، موجات البث الإذاعي والتلفزيوني. وترجع عنّا أربعة أشياء، هي: الأشعة فوق البنفسجية، الشُهُب، أشعة كونية قاتلة، الجُسيمات الذرية. ويمكن أن يضيف المفسّر هذه المعاني في شرح الآية، فتعطيها أُفُقًا أوسع وأرحب، وتجعل المسلم يزداد تعظيمًا لله، وحبًا له، وخوفًا منه، ورجاء فيه، وثقة به ...إلخ، ليس لأنّ السماء أرجعت المطر فقط، بل لأنّ السماء قامت بأشياء أخرى غير المطر، ولا تقل قيمة وأهمية وفائدة عن المطر.

الخلاصة

ليس من شك في أنّ العصر الحديث أضاف لنا معلومات هائلة، وحقائق متعدّدة، ونظريّات مختلفة عن كل الظواهر المحيطة بنا، ومن الطبيعي أن يستفيد منها علماء المسلمين في تعاملهم مع القرآن، لكنهم ركّزوا ذلك في الإعجاز العلمي، وقد رصدنا بعض الأخطاء التي وقع فيها باحثو الإعجاز العلمي في عدّة مجالات، وبيّنا أنّ هذا التعامل الخاطئ حجب الأهداف الرئيسية التي جاءت الآيات من أجلها، وهي: البناء النفسي، البناء العقلي، التدليل على وحدانية الخالق، التدليل على وحدانية المخلوقات ...إلخ، وقلّل الثمرات التي يمكن أن يجنيها المسلم من تلاوته للقرآن الكريم، وتدبّره لآياته.

القُرآن وبناء العمران

أحمد عبدالجواد زايدة

بين يدي أُمتنا مفتاح نهضتها وأساس قوتها ومصدر عزها.. إن انتبهت وأحسنت التدبر والفهم.. والعمل. يُقرأ القرآن على مر العصور والأجيال ويُنزل في المجتمع فيكون مناسبًا لحل المشكلات وصناعة المجتمع وصياغة الإنسان.. وهذا أمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار! وسببه معروف كذلك، إذ إن هذا الكتاب أنزله الذي خلق الإنسان والكون والحياة ويعلم أسرار النفس وما تنصلح به الحياة وما يستقيم به أمرها.

يكون القول في غاية الصواب حين نقول إن أساس العمران هو الذي ينطلق منذ البدء من القُرآن إن أحسنا فهم العبارة وأجدنا تطبيقها، لذا فحين يقول القائل «على الأمة- كي تفلح- أن ترجع لكتاب ربها»، فهو عين الصواب لكن لو أحسنا الفهم بعمق- لا بسطحية! ومن وجد غير ذلك فالمشكلة في القارئ وليست في كتاب ربنا- قطعاً!

فأي عمران مبتوت الصلة بالقُرآن والوحي فهو محكوم عليه «بالتراجع» ولو استمر قليلا أو كثيرا.

لقد جاء القُرآن ليبني العُمران على كل مستوياته التي تبدأ بعمران الجنان وتستمر بعمران الوجدان وتكتمل بعمران الإنسان وتتواصل بعمران السلطان وتتم بعمران الاستخلاف عبر مفاهيم مُحكمة وسنن ربانية وقوانين إلهية تصنع الحياة وتصوغها.

فعمران الجنان إنما هو عمران العقل ببناء الأفكار والتصورات والمفاهيم؛ والإجابة عن الأسئلة الوجودية التي تاهت كثير من الفلسفات المعاصرة في محاولة الإجابة عنها والتي تُشكل جُزءًا كبيرًا من فلسفة الحياة.. من أين جئت ولماذا وإلى أين المصير؟ ومن خلال القُرآن يتم بناء النموذج المعرفي للإنسان، ويستطيع أن ينظر إلى كل المفاهيم التي يتم تصديرها «بفعل العولمة»، صالحة كانت أو فاسدة ويقيسها من خلال «المنظور القُرآني التوحيدي»، فللحرية من خلال النظرية القُرآنية معنى واضح جدًا، وكذا للعدالة والمساواة والتكريم والوسطية وغيرها من كل المصطلحات باختلاف مشاربها مع القدرة على ضبطها.

ويجب على الأمة أن تعمل على إيضاح هذه المفاهيم وتبسيطها وتنزيلها في المجتمع وترشيد فهم المجتمع للدين من خلالها.

كذلك فإن في القُرآن الكريم سننًا ربانية واضحة لقيام الأمم وهبوطها ونهضتها وسقوطها، وقواعد في المصلحة والمفسدة، ودروسًا في السياسة الشرعية، ولعل هذا يكون واضحًا في القصص القرآنية وما فيها من عِبر وما يمكن أن يُستخلص منها من مقاصد جليلة، وهو ما يمكن تسميته في مجمله «بعمارة الوعي».

أما عمران الوجدان فهو أثر القرآن الكريم، وأثر تدبره في تزكية النفس وتطهيرها بإيضاح حقيقة هذه الحياة الدنيا وموقف المؤمنين وغيرهم يوم القيامة وحال أهل الجنة وأهل النار.

وكذلك تدبر صفات الله عز وجل في آيات القرآن من حيث القدرة والقيومية والسمع والبصر، فتترسخ هذه المعاني في وجدانه فينتج «القلب السليم».

ومن عمران الجنان والوجدان ينتج «عمران الإنسان»، فيخرج إنسان التربية الإسلامية وإنسان الشهود الحضاري الذي صاغه القُرآن وتربى على مائدته فكرًا وسلوكًا وسننًا ومعايير، هذا الإنسان يعقل آيات الله وسننه ويستبصر بها في صناعة الحياة، لا أن يجعل الواقع هو الذي يُشكل هذه السنن والمفاهيم، فهو يعمل بالعقل الذي يفكر «بالفقه السنني» لا «بالفقه العرفي» (بتعبير المفكر الكبير الدكتور ماجد الكيلاني)

وللعلامة الدكتور فريد الأنصاري، رحمه الله، مشروع ختم به حياته أسماه «من القُرآن إلى العمران»، وقد أبدع رحمه الله إذ ألف كتابًا فريدًا «مجالس القرآن» وآخر «بلاغ الرسالة القرآنية.. من أجل إبصار لآيات الطريق»، وكان له رحمه الله تصنيف في مراتب العمران «عمران الإنسان»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله..﴾، ثم «عمران السلطان»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾، ثم «عمران الاستخلاف»، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خلية في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾، وهو ما يمكن التعبير عنه «بإخراج الأمة المسلمة لتحقق مهمة الشهود على الأمم كلها»، شهودًا معرفيًا في المجال العلمي والمعرفي والفكري، واقتصاديًا وأخلاقيًا ومدنيًا... وغير ذلك، فهو شهود شامل، ولا شهود بغير قوة ولا قوة بدون عدالة وحرية وتكريم.

باحث دراسات إسلامية

مقاصد القرآن منهجًا للبناء الحضاري

جاسر عودة

هناك علاقة مطّردة بين المنهج الذي نتعامل به مع قضية فهم القرآن الكريم، والمنهج الذي نتعامل به مع قضية البناء الحضاري. ففي هذا الزمان يشيع منهج في التعامل مع كتاب الله تعالى كثيرا ما تحكمه القضايا الفرعية الجزئية على حساب الاستراتيجيات والسياسات والتوجهات، والشكليات والحرفيات والمظهريات على حساب المعاني والمقاصد والغايات.

هذا المنهج الشائع ينضح ليصبّ في منهج مماثل في التعامل مع قضايا البناء الحضاري للأمة الإسلامية، وينتج تركيزا على الجزئيات والأزمات والمشكلات والشكليات والمظاهر الحضارية، كثيرا ما يكون على حساب الكلّيات والاستراتيجيات والتوجهات والمعاني والمباني الحضارية. والواقع أن تلك المنهجية التجزيئية التبسيطية في التعامل مع كتاب ربنا عز وجل هي جزء من الأزمة الحضارية للأمة، وتجاوزها إلى منهجية كلّية شاملة متكاملة هو جزء من الحلّ المنشود.

وعلماؤنا المعاصرون الروّاد قدموا لهذه الأمة إبداعا غير مسبوق في علوم القرآن، ولو أنه امتداد طبيعي لما قدّمه سلف هذه الأمة في هذا المجال، ألا وهو ما أطلقوا عليه «مقاصد القرآن» أو «محاور القرآن» أو «موضوعات القرآن» أو «كليات القرآن»، وهي معان ومبادئ نتجت عن نظرة إلى القرآن كلية شاملة جامعة، نظرة أرجعوا فيها البصر بين ما ينقدح في أذهانهم اليقظة من معان عالية، ومبادئ رفيعة، وخيوط جامعة، وبين ما تدل عليه حتى ينبرى بفضل الله تعالى من هذا الخضم الفكري مقاصد عالية وكليات جامعة يدل عليها القرآن بمجموعه، مقاصد قد لا تدل عليها الألفاظ صراحة ولكنها تؤكدها دلالات المعاني اقتضاء، تؤكدها

المطلوب أن تتحول المقاصد القرآنية إلى أهداف استراتيجية ومشروعات فكرية

تأكيدا يبلغ- عندهم- حدّ التواتر، فتنطلق ألسنتهم وأقلامهم ببيان هذه المقاصد وكيف تنضوي وتنتظم تحتها الآيات والأحكام والقصص والأمثال والحوارات والمواقف القرآنية بمجموعها- انتظام الدرر في العقد.

أما «المقاصد» فهي جمع «مقصد»، وهو الغاية أو الهدف أو النية أو المعنى أو الحكمة، ومقاصد القرآن هي غاياته وأهدافه ومعانيه، وهي تنقسم إلى مقاصد جزئية، ومقاصد السور، ومقاصد كلّيّة.

أما «المقاصد الجزئية» فهي المعاني المقصودة من آية بعينها أو حكم شرعي تدل عليه الآيات بعينه، وهذه المقاصد الجزئية لا تنتمي إلى موضوعنا عن البناء الحضاري، وإنما مظانّها في مباحث التعليل والمصالح والحكم في كتب السلف والخلف عن الأصول والفقه والاجتهاد. وأما «مقاصد السورة» فهي بمعنى المحور أو المدار أو المعنى العام الذي تدور حوله السورة، والتي كتب عنها كذلك علماء التفسير من سلف وخلف تحت عنوان «نَظْم السورة» أو «عمود السورة» أو «مقاصد السورة»، أو أخيرًا تحت عنوان التفسير الموضوعي أو المحوري أو التوحيدي للسورة. وهذان اللونان من مقاصد القرآن من الجزئية بحيث يكون المجال الأنسب في تناولهما هو مجال الفتوى فقها أو مجال الذكر والحفظ قرآنا.

ولكن العمدة في دور القرآن في عملية البناء الحضاري المنشود للأمة الإسلامية هو البحث عن المقاصد الكلية للقرآن، أي الغايات والمعاني والمبادئ والأهداف الكلية الاستراتيجية- إن شئت، وهذا النظر لا ينبغي لكل أحد، ولا يَسْلُس قياده لكل أحد، وإنما يتصدى له العلماء الراسخون، ذلك أن الخوض في أي علم بنظرة كلية مُسْتوعبة، فضلا عن علوم القرآن، إنما ينهض له من استوعب الجزئيات وهضمها قبل أن يخوض في الكليات، واستقرأ الحوادث والمواقف وفهمها قبل أن يخوض في الثوابت والمعايير، وتولدت عنده القدرة على تجاوز الظنيات المتعارضة إلى الكليات القطعية الراسخة.

وهذا النظر للقرآن العزيز ضرورة، قبل أن نخوض في اقتراح منهج قرآني لعملية البناء الحضاري المنشود، ذلك أن هذه العملية معقدة ومتداخلة وتتطلب منظومة قيمية نظرية شاملة ومتشعّبة، لا

أستاذ مشارك في قسم السياسة العامة في الإسلام بكلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر

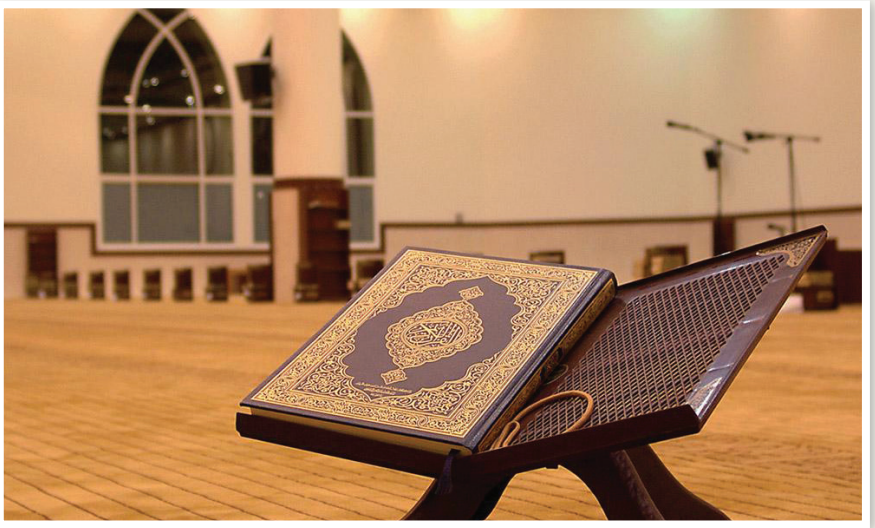

تركز على قضية وتهمل قضايا، ولا تتناول جانبا وتغفل جوانب، ولا تنطلق من بُعد ولا تعير الأبعاد الأخرى اهتماما، وإنما هي منظومة متكاملة كتكامل القرآن الذي ما فرط فيه ربنا من شيء، منظومة ربانية كربانية الذين يعلّمون الكتاب ويدرسون ولعل المتاح هنا هو أن نقدم بعض الأمثلة على «مقاصد القرآن»، تدل على ما وراءها، ونعرض باختصار ما أسهم به في هذا المجال الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ طه جابر العلواني، وكلّها إسهامات مهمة يكمّل بعضها بعضا.

أما الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- فقد كتب عن استقرائه للقرآن بحثا عن مقاصده في كتابه «الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن»، وخلص إلى أن هذه المقاصد تشمل: «إصلاح أركان الدين، وبيان ما جهل البشر من أمر النبوة، وبيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل والعلم، والحكمة والبرهان والحرية والاستقلال، والإصلاح الاجتماعي الإنساني السياسي، وإعطاء النساء حقوقهن. ولعلنا نلاحظ في «مقاصد القرآن» هذه أن الشيخ رحمه الله قد تأثر بقضايا عصره وهمومه الإسلامية، خاصة في «مقصد» الاستقلال، أو «بيان أن الإسلام دين العلم»، أو «الإصلاح السياسي»، ولكن هذا التأثير ليس مثلبا فيما طرحه الشيخ رحمه الله، إذ أن التأثر بالواقع و«رؤية العالم» لا مفرّ منه للمفسّر، وهذا المعنى نفسه هو الذي يبين لنا دور القرآن في البناء الحضاري وفي التفاعل الحيّ مع متطلبات العصر من خلال العالم الرباني الذي يُلهم ما يوفّي بتلك المتطلبات من خلال معاني الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولايَخْلَق على كثرة الردّ.

وأما الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فقد قدم في كتابه «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» مقاصد أخرى مهمة في عملية البناء الحضاري، لعل أهمها- فيما يبدو لي- هو مقصد القرآن الأسمى على حد تعبيره في أن: «يفهم المسلمون سنن الله الكونية والاجتماعية، وألا يحاولوا القفز من فوق سنن الله، وأن يعوا أنهم لن يمكنوا في الأرض إلا إذا تفاعلوا التفاعل الصحيح مع هذه السنن».

ويا له من مقصد لا مفرّ من فهمه واستيعابه وتطبيقه في عملية النهضة والبناء الحضاري المنشود، إذ أن تلك السنن هي أسوار الأقدار التي لا تتجاوزها الهمم.

وأما شيخ الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور، فاستخلص من القرآن كله في كتابه «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» مقاصد وأصولا في إصلاح الفرد والمجتمع، وفي مراعاة الفطرة والسماحة والتوسط والمساواة والحرية والمؤاساة، وغير ذلك من المعاني- بل أعطى للمقاصد بعدا أمميا جديدا حين تحدث عن «مال الأمة» و«دين الأمة» وغير ذلك من الضرورات الشرعية، وهذه النظرات كذلك تضيف لبنات مهمة في الصرح الحضاري المنشود، وتوسّع نظرة المقاصد الفردية التقليدية إلى نظرة تتعلق بالأمة، دينها ونفوسها ومالها وعرضها وعقلها ونسلها.

أما الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله، فقد كتب فصلا تحت عنوان «مقاصد القرآن» في كتابه «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟»، وفيه فصّل القول في مقاصد القرآن التالية:

١- تصحيح العقائد والتصورات.
٢- تكريم الإنسان ورعاية حقوقه.
٣- الأمر بعبادة الله وتقواه.
٤- تزكية النفس البشرية.
٥- تكوين الأسرة وإنصاف المرأة.
٦- بناء الأمة الشهيدة على البشرية.
٧- «الدعوة إلى عالم إنساني متعاون».

ولعلنا نلاحظ كذلك أثر التحديات المعاصرة وحاجات الأمة ومتطلبات النهضة في تصور الشيخ الجليل لمقاصد القرآن، وهو كذلك أثر مطلوب ومحمود، إذا ما أحوج المسلمين إلى نظرات قرآنية لرعاية حقوق الإنسان، وإنصاف المرأة، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون، وما أهم هذه المعاني للبناء الحضاري المنشود، وما أجمل أن تستند إلى القرآن.

وأخيرا وليس آخرا، فمقاصد القرآن كما استقراها الشيخ طه جابر العلواني ثلاثة: التوحيد والتزكية والعمران، وهو مثلث ما أحوجنا كذلك إلى اعتباره واستثماره حاكما على فهم القرآن وتطبيقه.

والمطلوب لتفعيل واستثمار هذه الإبداعات والمقاصد القرآنية هو أن تتحول إلى أهداف استراتيجية، وأولويات مؤسسية، ومشروعات فكرية، كلّها تتغيا البناء الحضاري المنشود.

القرآن الكريم وحرية الإرادة

الدكتورة بنت الشاطئ

قرأت بعناية بالغة وتقدير صادق ما كتبه الأستاذ الجليل الدكتور مصطفى الزرقا في مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء تعليقا على المحاضرة التي ألقيتها في الكويت بدعوة من جمعية الإصلاح الاجتماعي عن «القرآن الكريم وحرية الإرادة». ولقد اغتبطت حقا لما بدا من اهتمام الأستاذ الجليل بمحاضرتي، وهو الذي نعرف له أصالته في فقه الإسلام، وجهوده السخية في خدمة الفكر الإسلامي. ولولا يقيني من حسن تقبله لردي عليه عن رحابة صدر وسعة أفق، لتحرجت من مناقشته، خشية أن يظن بي الغرور، لكني تعلمت من أدب الإسلام أن مثل هذه المناقشة إن رفعت قدري فليست بحيث تمس قدر الأستاذ الفقيه أو تجور على مكانته فينا. وقد جادلت امرأة مسلمة مثلي رسول الله عليه الصلاة والسلام، واشتكت إلى الله فسمع الله قولها ونزلت فيها آيات «المجادلة» وجادلته أخرى حين هاجرت إليه بدينها وأراد ﷺ أن يرجعها إلى قومها بمقتضى شرط من صلح الحديبية، فنزلت فيها آيتا الممتحنة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...﴾، وكذلك جادلت امرأة مسلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مسمع المسلمين بالمسجد، فأصغى رضي الله عنه إليها ورجع إلى المنبر فقال كلمته المشهورة التي بقيت ملء سمع الزمان، شاهدة على احترام الخليفة الصالح الفقيه لما كفل الإسلام للإنسان من حرية الفكر والرأي وحق الجدل والمناقشة: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

وأحتاج هنا إلى أن أمهر المناقشة بتلخيص موجز لفكرتي في المحاضرة ومنهجي في تناول مشكلة الجبر والاختيار التي حيرت علماء الإسلام قرونا ذات عدد.

الفكرة تقوم على أساس ما هدى إليه البيان القرآني من التفرقة بين مفهوم إرادة الخالق ومفهوم إرادة البشر..

إرادتنا كسبية مصحوبة بعزم وتصميم عن نية ورغبة..

وليست كذلك إرادة الخالق الذي لا يجوز عليه أي فعل أو صفة كسبية، على ما هو مقرر في علم التوحيد، وانما إرادته تعالى أمر نافذ وقضاء مبرم، سبحانه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

ومن هذا الفهم المدرك للفرق بين فعل الإرادة مسندا إلى الخالق، وفعلها مسندا إلى المخلوقين، كان منطلقي في تدبر الآيات التي حكمت الإرادة الإلهية في مصاير الأمم والأفراد، فنراها لم تعفهم من مسؤولية ما صاروا أو يصيرون إليه بمشاهد من صريح سياقها:

من هذه الآيات آية «هود» (١٠٧)، قوله تعالى فيها: ﴿إِنّ ربّك فعّال لما يريد﴾ جاء حكمًا نافذًا على أمم وثنية ضلت وعتت عن أمر ربها فأخذها الله بظلمها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وآية يس (٢٣) قد أبطلت شفاعة آلهة تتخذ من دون الله أربابا، وهيهات أن تنقذ من حكم الرحمن على من ضل باتخاذها ضلالا مبينا: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ. إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وآية الرعد (١١) التي جعلت إرادة الله بقوم سوءا حكمًا نافذًا لا مرد له: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ الإرادة الالهية فيها مسبوقة بقوله تعالى في صدر الآية نفسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ومثلها آية الأنفال (٥٣) فيمن أصروا على الكفر فحق عليهم العقاب: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وعلى هذا النحو تابعت تخريج آيات الإرادة في القرآن الكريم، فبدا لي- والله أعلم- أن الله تعالى يحكم علينا بما نريد لأنفسنا تقريرًا حاسمًا للتبعة، وإلزاما بمسؤولية إرادتنا الكسبية الحرة في عملنا ومسعانا، فالجبرية في حتمية المصير لما أرادنا تتم بها ارادة الله حكمًا عادلًا وقضاء نافذًا، وبغير هذه الحرية في إرادة البشر تنتفي حكمة إرسال الرسل وتتعطل أهلية الإنسان للتكليف.

وقد وقف الأستاذ الدكتور الزرقا عند تخريجي لآيتي هود ويس فقال، إن هذه الآيات بقيت محل تساؤل لدى قارئ محاضرتي إذ من الواضح أن مناط الحرية في آية هود إنما هو في تسليط الإرادة الإلهية على الإغواء وتعلقها به، فلو كان متعلقها غير الإغواء من عذاب

هذا المقال أرسل للمجلة بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٠ ولم ينشر وكان تعقيبا على مقال د. مصطفى الزرقا

أو سوء عاقبة لصح التأويل «بأنها حكم الله على الناس بما أرادوا لأنفسهم».

وكذلك آية يس السياق فيها هو موازنة بين قدرة قادر وإرادته المطلقة، وعجز العاجزين.. فيبقى في ظاهر الآية متمسك للجبرية في أن ما يقع للناس من خير وشر ونفع وضر، إنما هو بإرادة الله تعالى التي لا محيص لهم منها.

ولا وجه فيما أرى لمثل هذه الوقفة، فلم أقل أن الإرادة الإلهية حين تأتي حكمًا نافذًا وقضاء مبرمًا وفق ما أردنا لأنفسنا، تقتصر على العذاب وسوء العاقبة- أو على الثواب وحسن العقبى- وإنما يصدق حكم الإرادة الإلهية النافذة على كل ما أراد الإنسان لنفسه من هدى أو ضلال﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ والله سبحانه قد هيأ للإنسان وسائل البصر والتمييز والهداية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ من نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ولا أريد أن أتردد في قبول ما رآه الأستاذ الجليل من أن تلك الآيات جاءت في مقام التعبير عن قدرة الله تعالى المطلقة في ذاتها، وليست تعبيرًا عن واقع، ولذا جاءت في صورة الشرط.. فهو تعالى قادر على العدل والظلم، ولكنه لا يغوي ولا يظلم ولا يرضى لعباده الكفر ولا يسوقهم إليه، وكذلك كما تقول: إن فلانًا يستطيع أن يفعل كذا وكذا من خير أو شر، ولو أراد أن يقتل فلانا لفعل، ولا يفهم أحد من ذلك أنه فعل أو يفعل ما يستطيعه.

وأضيف إلى هذا الملحظ ما يقرره القرآن الكريم من ثبات السنن الكونية، مع قدرته تعالى على نقضها، فقوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.. و﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لا يناقض الآيات المثبتة قدرته تعالى على نقض سنن الكون، وقد جاء بها البيان القرآني معلقة على شرط المشيئة الإلهية بحرف «لو» أو «إن» «١» وكذلك تقرير حرية الإرادة الكسبية لا ينفي بحال ما قدرته تعالى على إغواء خلقه لو شاء وإضلالهم إن أراد لكنه سبحانه «لا يريد ظلمًا للعباد».

مشكلة الجبر والاختيار حيرت علماء الإسلام قرونا ذات عدد

وعرض الأستاذ الجليل بعد ذلك لآيات: الأنعام (١٠٨)

﴿كذلك زيّنا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم يرجعون﴾ (١١١) ﴿ما كانوا ليُؤمنُوا إلّا أن يَشاءَ اللّهُ﴾ «الرعد» (٥٧) ﴿ويَقُولُ الّذِينَ كفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ من رَبِه قُلْ إنّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إلَيْهِ مَنْ أنَاب﴾، ورآها مشكلة على ما عرضت من تخريج وقد أسند فيها أصل السلوك الصالح أو الخاطئ من هداية أو ضلال إلى فعل الله تعالى ومشيئته.

ولا أراها مشكلة: فآيتا الأنعام في سياق من أصروا على الضلال عمدا وصحت إرادتهم على الشرك والعمى وانعقد عزمهم على العناد.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ. وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والآية كما نرى تقرر حرية العقيدة، وهي متلوة مباشرة بآية عنادهم وإصرارهم على الضلال ولو نزل الله إليهم الملائكة وكلمهم الموتى.

وآية الرعد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ واضح من سياقها أنها تربط الضلال بعبادة الكفار وممارساتهم الفاحشة، كما تتعلق هداية الله فيها بمن أناب.

وبعدها في السياق نفسه تقرر مسؤولية الكسب، ويتعلق إضلال الله بمن حق عليهم العذاب بمكرهم وصدهم عن سبيل الله: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ، أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

ولا بأس مع ذلك بما ذهب إليه الأستاذ الجليل من «أن تزيين الأعمال يمكن فهمه بمعنى تحويطها بما يجذب إليها ويغري بها من متع وملذات ومنافع عاجلة وانفلات من القيود الملجمة في مقابل ما وضع الله في الإنسان من قوة العقل والتمييز والتبصير في العواقب، وأن مشيئته الله تتعلق بعدم الحيلولة بين مخلوقاته وبين اتباع طريق الهدى أو الضلال وتتحقق مشيئته بألا يريد الله تعالى استعمال قدرته في صرفهم وإن كان قادرًا على ذلك، فهذا القدر من التخلية بين المكلف والمنطلقات التي أمامه في الخير أو الشر يدخل في حدود المشيئة متى كان صاحب هذه المشيئة قادرا على الحيلولة».

أضيف أن تزيين الله للناس أعمالهم وحب الشهوات ومغريات الدنيا، هو أيضا من قبل الابتلاء الذي يجلو إرادة الإنسان ويؤكد حريتها في الاختيار، تقريرا لتبعة الكسب والسعي وإلزاما بما يتعلق بهما من هداية أو ضلال.

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. ﴿وأن ليْسَ للإنسَانَ إلاّ مَا سَعَى وَأَنّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾.

وللسيد الأستاذ الجليل تحية التقدير الصادق والشكر الجميل.

هامش

(١) يتسع المجال هنا لمزيد بيان أرجو أن أعرض له في مقال خاص بمشيئة الله.

نقل الفتوى من كتب المتقدمين

د. صالح النهام

لقد اقتضت حكمة الله عز وجل أنْ شرع الدين وحَفظه؛ عندما نصَب للناس أئمةً مجتمعًا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث، فصار الناس كلُهم يُعَوِّلون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم، وأقام الله سبحانه مَن يضبط مذاهبهم ويحرر قواعدهم، حتى حَفظ مذهبُ كل إمام منهم وأصوله وقواعده وفصوله، حتى تُرد إلى ذلك الأحكام، ويُبين الكلامُ في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لُطف الله بعباده المؤمنين، ومن جُملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين (١).

لا ريب أن الأصل في الفتوى أنها بمعنى الاجتهاد، والمفتي هو المجتهد في عصر أئمة الاجتهاد في القرون الأربعة الهجرية الأولى، وبهذا ذكر أن «رأي الأصوليين قد استقر على أن المفتي هو المجتهد، أما من يحفظ أقوال المجتهدين فليس بمفت بل هو ناقل، والواجب عليه إذا سئل أن يذكر قول المجتهد الذي قلّده على وجه الحكاية(٢)» .

فعرف من هذا أن ما يكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى، بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي، ثم إن نقله إما أن يكون له سند متصل منه إلى المفتي الذي نقل كلامه، وهذا في زماننا قريب من المتعذر، وإما أن يأخذه من كتاب معروف تداولته الأيدي(٣).

فإذا قلنا إنه من الصعب توافر هذه الشروط في هذا الزمان بحيث يمكن أن يُؤدى المطلوب، وبهذا يقول ابن دقيق العيد فيما نقله عن الزركشي: «توقيف الفتيا على حصول المجتهد يفضي إلى حرج عظيم، أو استرسال الخلق في أهوائهم، فالمختار أن الراوي عن الأئمة المتقدمين إذا كان عدلًا متمكنًا من فهم الإمام، ثم حكى للمقلّد قوله فإنه يكتفي به؛ لأن ذلك مما يغلب على ظن العامي أنه حكم الله عنده»(٤).

أولًا: ضوابط نقل الفتوى من كتب المتقدمين

لاشك أن نقل الفتوى من كتب المتقدمين تضبطه قواعد علمية، ومصطلحات لها مآخذ ودلائل على راجح القول في المسألة من مرجوحها، فضلًا عن ضعيفها(٥)، فالمفتي حين يفهم مناهج المحدثين والفقهاء الاجتهادية يكون معتمدًا في فتواه على هذه الاجتهادات المعتبرة، من حيث معرفته بالمجتهد المطلق من غيره، وكذلك علمه بطبقات علماء كل مذهب يجعله يميز رأي الطبقة المتقدمة، ورأي الطبقة المتوسطة، ثم رأي الطبقة المتأخرة، وهي التي عليها مدار الفتوى في كل مذهب، بشرط أن تكون الكتب المنقول عنها موثوقًا بها وصحيحة ومحررة.

وقد بين ابن عابدين خطورة النقل من كتب متأخري المذهب الحنفي، غير الموثوق بها، وذكر: «أن من خطورة ذلك النقل أن ينسب إلى أئمة المذهب خلاف ما قالوا، أو أفتوا به»، ثم ضرب أمثلة في ذلك فقال: «وحيث علمت وجوب اتباع الراجح من الأقوال وحال المرجح له، تعلم أنه لا ثقة بما يفتي به أكثر أهل زماننا بمجرد كتاب من الكتب المتأخرة، خصوصًا غير المحررة...» (٦).

ولأهمية ما تقدم، فقد سئل بعض أهل العلم: أي كتبك أحب إليك؟ قال: «ما أتبصرُهُ علمًا، وأتصوّرُهُ فهمًا»، وقال آخر: «ما أُفيدُ منه وأستفيد»، وقيل لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع كتبًا كثيرة، فقال: «هل فَهِمُهُ على قَدْر كُتُبه؟ قيل: لا، قال: فما صنع شيئًا، ما تَصنعُ البهيمةُ بالعلم»(٧).

ومن الضوابط والقواعد العلمية على سبيل المثال فتاوى الإمام أحمد بن حنبل المبنية على خمسة أصول ذكرها الإمام ابن القيم وغيره(٨)، أولها: وجود النصوص، فإذا وُجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا لمن خالفه كائنًا ما كان. ثانيها: فتوى الصحابة بحيث لا يعرف لها مخالف. ثالثها: إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب أو السنة ولم يخرُج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال، حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول. رابعها: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيءٌ يدفعه، وهو الذي رجّحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عند الإمام أحمد هو الباطل ولا المنكر ولا ما

المراقب المالي والإداري في مجلة الوعي الإسلامي

في روايته متهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قَسِيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسَن، ولَم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسَن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعف عنده مراتب. خامسها: القياس ولم يكن يستعمله إلا للضرورة.

ولا يخفى أن هناك مصطلحات في كل مذهب تدل على أن القول الفُلاني يكون إما لعالم أو لعالمين أو لمجموعة من العلماء، وهكذا، ومن العبارات المنثورة في تلك الكتب: قاله الأصحاب، أو الشيخان، أو الصاحبان، أو القاضيان، أو الشيخ، أو الإمام، أو القاضي، أو شيخ الإسلام، أو نص عليه، أو أن حكم مسألة ما هو الجواز، فيقال: وهو الراجح، أو المرجوح، أو الصحيح، أو الأصح، أو الأظهر، أو عليه المذهب، أو يُفتى به، أو المعمول به، أو أصح الوجهين، أو الروايتين، أو هو المختار، أو المشهور... وهكذا.

فكل هذه الضوابط المتعلقة بفهم المفتي بمناهج العلماء هي التي تخوله في نقل الفتاوى من كتب المتقدمين، سواء كانت هذه الكتب متعلقة بعلم الحديث أو الفقه أو غيرهما، بشرط أن تكون هذه الكتب كما قدمنا موثوقًا بها وصحيحة ومحررة؛ حتى يصح أن ينقل ما فيها إلى من استفتاه في مسألة معينة(٩).

ثانيًا: حكم نقل الفتوى من كتب المتقدمين

وفيه مسألتان

المسألة الأولى، حكم نقل الفتوى من كتب الحديث.

إن مسألة حكم نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بما فيها، اختلف فيها العلماء على أقوال ثلاثة ذكرها ابن القيم(١٠)، بيانها على النحو التالي:

القول الأول: ذهب جمع من المتأخرين إلى أنه لا يجوز نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بها للمتقدمين، وذلك لأنه قد يكون الحديث منسوخًا، أو معارضًا، أو يفهم من دلالته خلاف ما يدل عليه، أو يكون أمْر ندب فيفهم منه الإيجاب، أو يكون عامًّا له مخصص، أو مطلقًا له مقيد، فلا يجوز العمل ولا الإفتاء به حتى يُسأل أهل الفقه والفتيا.

توعد الله تعالى من يتكلم في الفتوى بغير علم أو ببينة بالعذاب الأليم

القول الثاني: وذهب جمع آخر إلى جواز نقل الفتوى من كتب الحديث الموثوق بها للمتقدمين، كما كان الصحابة يفعلون، إذا بلغهم الحديث عن رسول الله ﷺ وحدّث به بعضهم بعضًا، بادروا إلى العمل به من غير توقف، ولا بحث عن معارض، وكذلك فَعَل التابعون.

القول الثالث: قال ابن القيم: والصواب في هذه المسألة التفصيل، فإن كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه، ولا يحتمل غير المراد جاز العمل والإفتاء به دون طلب تزكية من قول فقيه أو إمام، بل الحجة قول رسول الله ﷺ، وإن خالفه من خالفه، وإن كانت دلالته خفية لا يتبين المراد منها لم يجز العمل ولا الإفتاء بما يتوهمه مرادًا حتى يُطلب بيان الحديث ووجهه.

المسألة الثانية: حكم نقل الفتوى من كتب الفقه:

وفي المسألة هذه اتفق الفقهاء من الحنفية(١١)، والمالكية(١٢)، والشافعية(١٣)، والحنابلة(١٤) على أنه يجوز نقل الفتوى من كتب الفقه إذا كانت صحيحة وموثوقًا بها، وبذلك يقول العز بن عبدالسلام: «وأما الاعتماد على كتب الفقه الصحيحة الموثوق بها، فقد اتفق العلماء في هذا العصر على جواز الاعتماد عليها، لأن الثقة قد حصلت فيها كما تحصل بالرواية، ولذلك فقد اعتمد الناس على الكتب المشهورة في النحو واللغة والطب وسائر العلوم؛ لحصول الثقة، وبُعْد التدليس، ومن اعتقد أن الناس قد اتفقوا على الخطأ في ذلك فهو أولى بالخطأ منهم، ولولا جواز ذلك لتعطل كثير من المصالح»(١٥).

وقال ابن الصلاح: «لا يجوز لمن كانت فتياه نقلًا لمذهب إمامه، إذا اعتمد في نقله على الكتب، أن يعتمد إلا على كتاب موثوق بصحته، وجاز ذلك كما جاز اعتماد الراوي على كتابه، واعتماد المستفتي على ما يكتبه المفتي، وقد يحصل له الثقة بما يجده في نسخة غير موثوق بصحتها؛ بأن يجده في نسخ عدة من أمثالها، وقد تحصل له الثقة بما يجده في النسخة غير الموثوق بها؛ بأن يراه كلامًا منتظمًا وهو خبير فَطِنٌ لا يخفى عليه في الغالب مواقع الإسقاط والتغيير»(١٦).

وقد بين النووي أهمية مراعاة التثبت من نقل الفتوى في هذه المسألة، فقال: «لا يجوز لمفت على مذهب الشافعي إذا اعتمد النقل أن يكتفي بمصنف ومصنفين ونحوهما من كتب المتقدمين وأكثر المتأخرين، لكثرة الاختلاف بينهم في الجزم والترجيح؛ لأن هذا المفتي المذكور إنما ينقل مذهب الشافعي ولا يحصل له وثوق بأن ما في المصنفَين المذكورَين ونحوهما هو مذهب الشافعي، أو الراجح منه، لما فيها من الاختلاف...»(١٧).

أما إذا لم يجده إلا في موضع لم يثق بصحته، ففي ذلك يقول ابن الصلاح: «يُنْظر: فإن وجده- أي الكلام- موافقًا لأصول المذهب وهو أهل- أي المفتي- لتخريج مثله على المذهب، لو لم يجده منقولًا فله أن يفتي به، فإن أراد أن يحكيه عن إمامه فلا يقل، قال الشافعي مثلًا: كذا وكذا، وليقل: وجدتُ عن الشافعي كذا وكذا، أو أبلغني عنه، أو ما أشبه هذا من العبارات، وأما إذا لم يكن أهلًا لتخريج مثله فلا يجوز له ذلك فيه، وليس له أن يذكره بلفظ جازم مطلق، فإن سبيل مثله النقل المحض، ولم يحصل له فيه ما يجوز له مثل ذلك، ويجوز أن يذكره في غير مقام

الفتوى مفصحًا بحاله فيه، فيقول: وجدته في نسخة من الكتاب الفلاني، أو من كتاب فلان لا أعرف صحتها، أو وجدت عن فلان كذا وكذا، أو بلغني عنه كذا، وما ضاهى ذلك من العبارات»(١٨).

وفي هذا يقول القرافي: «يحرم الإفتاء من الكتب الغريبة التي لم تشتهر،حتى تتظافر عليها الخواطر، ويُعلم صحةُ ما فيها، وكذلك الكتب الحديثةُ التصنيف إذا لم يشتهر عزو ما فيها من النقول إلى الكتب المشهورة، أو يُعلَمَ أن مصنفها كان يعتمد هذا النوع من الصحة، وهو موثوق بعدالته، وكذلك حواشي الكتب تحرم الفتوى بها ؛ لعدم صحتها والوثوق بها»(١٩).

وقد علّق القاضي ابن فرحون المالكي على جملة القرافي الأخيرة بقوله: «ومراده إذا كانت الحواشي غريبة النقل، وأما إذا كان ما فيها موجودًا في الأمهات، أو منسوبًا إلى محله، وهي بخط مَن يُوثق به، فلا فرق بينها وبين سائر التصانيف، ولم تزل العلماء ينقلون ما على حواشي كتب الأئمة الموثوق بعلمهم، المعروفة خطوطهم، وذلك موجود في كلام القاضي عياض والقاضي أبي الأصبغ بن سهل وغيرهما، إذا وجدوا حاشية يعرفون كاتبها نقلوا ذلك عنه ونسبوها إليه، وأدخلوا ذلك في مصنفاتهم، وأما حيث يُجهل الكاتب ويكون النقل غريبًا فلا شك فيما قاله القرافي»(٢٠).

وبعد الذي تقدم تتضح أهمية وخطورة تلك المسألة في الفتوى؛ لكون المفتي عليه أن يتثبت في نقل الفتوى من الكتب والمصادر الموثوق بها، والمشهورة لدى أهل الاختصاص، حتى يفتي بها، فهو مخبرٌ عن الله سبحانه وتعالى، والقول على الله بلا علم من أعظم الإثم، وفي هذا الشأن يقول المولى عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل آية: ١١٦- ١١٧)، وهذا وعيد شديد وإيماء من الله سبحانه وتعالى للمسلم بأنه لا ينبغي له أن يتكلم في الفتوى إلا بعلم وبينة، وإلا أهلك نفسه وغيره، وكان من الخاسرين(٢١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يَزِلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق»(٢٢)، وفي ذلك قال الإمام أحمد: «ليتق الله عبدٌ، ولينظرْ ما يقول وما يتكلّم؛ فإنّه مسؤول»(٢٣).

فالذي يريد أن يفتي الناس، ويصلُحَ أن يكون واسطة بينهم وبين الله تعالى، هو مَن توافرت فيه الصفات التي ذكرها العلماء، وأما غيره فيُذّكر بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تَقَوّل عليّ ما لم أقُل، فليتبوّأْ مقعدَه من النار، ومَن استشارَه أخوهُ المسلمُ، فأشارَ عليه بغيرِ رُشدٍ فقدْ خانَه، ومَن أُفْتِيَ بفُتْيا بغيرِ ثَبْتٍ، فإنما إثمُهُ على مَن أَفْتاهُ»(٢٤)، ولذا لزمه الزجر الشديد، وذلك لخطورة هذا المنصب الشريف، ولابد أن يؤدي عدم تثبته إلى مفاسد لا تعد ولا تحصى.

الهوامش

(١) انظر: الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي:(ص:٢٨)، تحقيق الدكتور/الوليد بن عبد الرحمن آل فريان.

(٢)انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١)، تيسير التحرير: (٢٥١/٤)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٣٥)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٤، ٢٥).

(٣) انظر: تيسير التحرير:(٢٥١/٤).

(٤) انظر: البحر المحيط: (٣٠٦/٦-٣٠٧).

(٥) انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١-٧٨)، عقود رسم المفتي: (١٦/١)، فتح العلي في الفتوى على مذهب مالك: (٧٣/١)، تبصرة الحكام لابن فرحون: (٤٦/١- ٤٧)، المجموع: (٦٧/١)، مغني المحتاج للشربيني: (١٣/١-١٤)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٩١- ٩٢)، المسودة: (ص: ٥٢٩-٥٣١).

(٦) انظر: هذه المسألة في أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤)، وهامش الكتاب نفسه: (ص:٧٦-٧٨).

(٧) انظر:الفقيه والمتفقه:(ص:٣٩٢).

(٨) انظر: إعلام الموقعين: (٢٩/١- ٣٣)، وقد ذكر الشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل:(١٤٩/١-١٥٠)، أن أول من كتب في أصول مذهب الحنابلة الحسن بن حامد في كتابه تهذيب الأجوبه، ثم عبد الوهاب البغدادي في مقدمة كتبها في اعتقاد أحمد وأصول مذهبه، وقد طبعت في نهاية طبقات أبي يعلى:(٢٦٥/٢-٢٩٠).

(٩) انظر: حاشية ابن عابدين: (٧٧/١-٧٨)، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام للقرافي: (ص: ٢٤٤-٢٤٥)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٧)، إعلام الموقعين : (٢٣٤/٤-٢٣٦).

(١٠) انظر: إعلام الموقعين: (٢٣٤/٤-٢٣٦)، بتصرف يسير.

(١١)انظر: فتح القدير على الهداية: (٤٥٦/٥-٤٥٧)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: (٢٨٩/٦- ٢٩٢).

(١٢)انظر: التاج الإكليل على هامش مواهب الجليل للحطاب:(٨٨/٦)، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام : (ص: ٢٤٤- ٢٤٥).

(١٣) انظر: المجموع: (٧٧/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣).

(١٤)انظر: إعلام الموقعين: (١٩٦/٤-١٩٧)، صفة الفتوى لابن حمدان: (ص: ٣٦- ٣٧).

(١٥)انظر: تاريخ القضاء في الإسلام للقاضي/ محمود عرنوس:(ص: ١٥٤- ١٥٥)، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام: (ص:٢٧-٢٨، ٣٢)، وانظر: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة للإمام عبد الحي اللكنوي:(ص:٥٩-٦٥)، الذي استوعب فيه مبحث النقل عن الكتب المروية بالإسناد، والكتب التي لا إسناد لها وما يقوم فيها مقام الإسناد، وما يعتمد منها وما لا يعتمد، على خير وجه وأوفاه.

(١٦)انظر: أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤).

(١٧) انظر: المجموع: (٧٧/١).

(١٨) انظر: المرجع السابق: (٧٧/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح: (ص: ٧٣-٧٤)، آداب الفتوى والمفتي للنووي: (ص: ٤١)، صفة الفتوى والمفتي لابن حمدان: (ص: ٣٦- ٣٧).

(١٩) انظر: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: (ص: ٢٤٥).

(٢٠) انظر: تبصرة الحكام للقاضي ابن فرحون المالكي:(٥٤/١-٥٥، ٨٥-٥٩).

(٢١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (١٥٥/٢)، مقدمة تعظيم الفتيا وهي رسالة لطيفة لعبد الرحمن بن علي الجوزي، اعتنى بها الشيخ/فيصل يوسف العلي :(ص: ١٧).

(٢٢) أخرجه البخاري، برقم: (٦٤٧٧) واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢٩٨٨).

(٢٣) انظر: الآداب الشرعية: (١٥٥/٢)، مقدمة تعظيم الفتيا: (ص: ١٧).

(٢٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٨٢٤٩)، وأبو داود، برقم: (٣٦٥٧).

الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي (١-٢)

د. سامي عطا حسن
باحث أكاديمي

منذ أن ظهرت الحركات الإسلامية على الساحة السياسية، وأخذت تعمل للعودة بالاسلام إلى قيادة المجتمع، أخذ الغرب ممثلا بالولايات المتحدة الأميركية ينظر بعين الريبة والحذر إليها، ولم يتوان عن استخدام أية طريقة ممكنة لكي يتخلص منها، أو على الأقل أن يحتويها، لذلك ظهرت كثير من الاتهامات الغربية والأميركية الباطلة التي تتهم الاسلام والمسلمين، فتارة يتهم الإسلام بأنه إرهابي وأصولي، ومتطرف، ومتعصب، في محاولة لربط الحركات الإسلامية بالحركة الأصولية المسيحية المتعصبة التي خاضت صداما طويلا مع الكنيسة، انتهى بغلبة السلطة المدنية، وتحييد دور الكنيسة، وتحجيم دورها (١).

رفضت الأصولية المسيحية التجديد والعصرنة، وحاربت التقدم العلمي، واضطهدت العلماء والمفكرين، وظهرت من جراء هذه الأصولية: حركة التنوير، والفلسفات المضادة لأفكار الكنيسة الغربية التي شوهت الدين نفسه، وجعلته يضطهد ويقهر العقول، ويعارض العلم، ويحارب التقدم والتطور، وأسهمت ردة الفعل هذه في زيادة الهوة بين الدين والعلم.

وقامت الكنيسة على ترسيخ هذا مصطلح «الأصولية» في الوعي الأوروبي، وأرادت تعميمه على كل دين وملة، بهدف تشويه النظرة إلى العقائد، بغض النظر عن الاختلاف والتنوع في أفكارها ومقاصدها.

وقد تداول الإعلاميون العرب هذا المصطلح- بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢- ومن بعدهم الباحثون والمحللون الناطقون بالعربية، كما استعملته الأوساط السياسية والإعلامية والثقافية في الغرب، للإشارة إلى حالة اليقظة الإسلامية الراهنة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي..

والحقيقة أن هذا المصطلح بما يحمل من دلالات سياسية وفكرية،

مصطلح «الأصولية» أصبح بمثابة شتيمة سياسية ويرتبط بالكنيسة أولاً وأخيراً

لا يعبر تعبيرا دقيقا توحي به لفظة «الأصولية» الرائجة حاليا، وخاصة لجهة ما يتضمنه هذا المصطلح من معاني الرجعية المعادية لكل تقدم، بل أصبح النعت بالأصولية بمثابة شتيمة سياسية.

معنى الأصولية في اللغة

لا نجد ذكرا لهذه الكلمة (الأصولية) في معاجم اللغة ، بل نجد جذرها اللغوي كلمة : «أصل»، والنسبة إليها: «أصولي».

قال في مختار الصحاح للرازي (محمد بن أبي بكر) (ت ٦٦٦هـ): «الأصل: واحد الأصول. ورجل أصيل: أي، محكم الرأي» (٢)

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب: «الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه: أصول، وأصل الشيء: صار ذا أصل.. وأصل الشيء : قتله علما فعرف أصله» (٣).

وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في التعريفات: «الأصل: هو ما يبتنى عليه غيره. والأصول: جمع أصل، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره» (٦).

والتحقيق: أن المعنى الحقيقي في هذه المادة: هو ما يبنى عليه شيء، سواء أكان في الجمادات، أو في النباتات، أو في الحيوان، أو في المعقولات، أو في العلوم.

يقال: أصل الحائط، أصل الشجر، أصل الإنسان، أصل المعرفة، الأصل في الألفاظ، الأصل في المعاني، وغير ذلك.

وقد جاءت كلمة أصل وما اشتق منها في القرآن الكريم في عشرة مواطن تقريبا (٧)، منها:

قوله تعالى: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (إبراهيم: ٢٤).

وقوله: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾ (الحشر: ٥). وغير ذلك.

والفرق بين الأصل والأساس: أن الأصل ما يبنى عليه شيء، وهذا المعنى إنما يتحقق بعد تحقق الفرع، فهو أمر نسبي، وليس بمفهوم مستقل.. وهذا بخلاف الأساس، فهو مفهوم مستقل، لا يحتاج إلى وجود غيره، فيقال: إنه أسس أساس الظلم، وأسس أساس البيت، ولا يقال: أصله (٨).

ومن كل ما سبق عرضه نخلص إلى أن مصطلح الأصولية اللغوي، يدور حول معنيين: أساسه الذي يقوم عليه، وجذوره ومنشأه الذي ينبت منه. وأصول العلوم، هي: قواعدها التي تبنى عليها الأحكام.

فالأصولي إذن: هو مرجع القواعد دراية، وفهما، واستنباطا (٩).

مفهوم الأصولية في البيئة الغربية

تقول موسوعة روبير اللغوية إن كلمة fundamentalism صيغت عام ١٩٢٠م من كلمة fundamental، وتعني تيارا لاهوتيا محافظا، أصله بروتستانتي، نشأ في الولايات المتحدة الأميركية المتحدة، أثناء الحرب العالمية الأولى، ومتمسك بالتعريف الحرفي للنصوص الانجيلية..

وقد جاءت كلمة «أصل وما يشتق منها» في الكتاب المقدس ، في سبعة وخمسين موضعا (١٠)، منها :

ما ورد في سفر حزقيال (١١): «فنبت وصار كرمة منتشرة قصيرة الساق. انعطفت عليها زراجينها، وكانت أصولها تحته، فصارت كرمة. وأنبتت فروعا وأفرخت أعصانا» (١٢).

وجاء في إنجيل متى (١٣) «والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر..» (١٤).

وجاء في إنجيل لوقا(١٥): «والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل، فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون» (١٦).

أما كلمة الأصولي fundamentaliste فقد اشتقت عام ١٩٦٦م، لتعني معنيين:

أولهما: معنى عام، هو: من يقوم بأبحاث في الأصول.

والثاني: معنى ديني، هو: من ينتمي إلى الأصولية (١٧).

وأغلب الظن أن الذي سك المصطلح الإنجليزي fundamentalism أي الأصولية، هو رئيس تحرير مجلة «نيويورك وتشمان» (١٨) في افتتاحية عدد يوليو ١٩٢٠م، حيث عرف الأصوليين بأنهم: أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول.

وأغلب الظن كذلك أن الذي مهد لسك هذا المصطلح هو سلسلة كتيبات صدرت بين عامي ١٩٠٩-١٩١٥م ،بعنوان الأصول، the fundamentalism بلغ عددها اثني عشر كتيبا، وبلغ توزيعها بالمجان ثلاثة ملايين نسخة، أرسلت إلى القساوسة، والمبشرين ،واللاهوتيين، ومدارس الأحد، وسكرتيري الشبان المسيحيين، والشابات المسيحيات... ويمكن تصنيف الأفكار الواردة في الكتيبات على النحو التالي:

- أصول الإيمان مثل: حقيقة جهنم، والمجيء الثاني للمسيح.
- مهاجمة تيار نقد الإنجيل، وهو تيار يدور على أن الإنجيل تسجيل لتطور ديني.
- نقد النظريات العلمية، وبالأخص الداروينية، الناقدة لقصة الخلق الواردة في سفر التكوين (١٩).

وقد وردت هذه الأفكار كرد فعل ضد علماء اللاهوت الليبراليين الذين دارت أفكارهم على مسألتين هما :

- التشكيك في قصة الخلق الوارد في سفر التكوين، بسبب ما أحرزته علوم الجيولوجيا والبيولوجيا من تقدم.
- النظر إلى خطيئة الإنسان كما وردت في سفر التكوين، على أنها مجرد تفكير بدائي وصبياني، إذ ليس ثمة وجود لما يسمى: آدم وحواء..

ثم تبلورت سمات الأصولية في بداية القرن العشرين على النحو التالي:

١- التسليم بأن ثمة حلولا قادرة على إحراز انتصار دولي، وعلى حل المشكلات الاجتماعية، وأن أي فشل يلحق بأي أصولي فمردود إلى مؤامرات الأشرار.

٢- التسليم بأن المؤسسات السياسية للدول الرأسمالية جزء من المؤامرة الشيوعية، ومن ثم فقيادتها مشكوك في وطنيتها.

٣- أي تنازل عن المبادئ الأساسية خيانة للحق.

٤- رفض أي تأويل للنص الديني (٢٠).

وفي الغرب أطلق تعبير fundamentalism على فرق إنجيلية برزت في مطالع القرن العشرين في الولايات المتحدة، تدعو إلى العودة إلى أصول المسيحية، والتمسك بالنص الحرفي، تقول الموسوعة الكاثوليكية عن كلمة fundamentalism: إنها «اتجاه لبعض الأوساط البروتستانتية خاصة في الولايات المتحدة، تحافظ بصرامة وتشبث على العقيدة التراثية ضد تيار الحداثة، بل ضد أية محاولة تأخذ في الاعتبار بالوقائع التاريخية أو العلمية، وقد تكونت هذه الحركة في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩١٨م، باسم: الجمعية الأصولية المسيحية العالمية».. وتشير إلى مذهب ديني تم التعبير عنه في وثيقة من خمس نقاط هي: اعتبار النصوص الإنجيلية نصوصا متزنة، والإيمان بألوهية المسيح، والإيمان بمولده العذري، والإيمان بمعنى وأهمية الفداء في وفاة يسوع، والثقة يقينا في عودة المسيح قريبا ليحاكم البشر،

وانتشر هؤلاء الأصوليون عن طريق المؤسسات الإنجيلية، في معظم البلدان الأنجلوسكسونية، وعن طريق منظمة الشباب الدينية المسيحية (واي.إم.سي.إيه) (Y. m. a.c) ، وكل الحركات الإحيائية أصولية، ومنها: حركة بيلى جراهام (٢١) ..

ويقول قاموس المورد في تعريف الأصولية: «الأصولية – fundamentalism – مذهب العصمة الحرفية– حركة عرفتها البروتستانتية (٢٢)، في القرن العشرين، تؤكد على أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) معصوم من الخطأ، لا في قضايا العقيدة فحسب، بل في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي» (٢٣).

وعرفتها الموسوعة الميسرة بأنها: «حركة بروتستانتية ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م، لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح مجيئا حقيقيا حرفيا. وقد ظهرت لهم كتيبات بعنوان «الأصوليات» دعوا فيها إلى التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفيا، وولادته – عليه السلام – من مريم، كما دعوا إلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه ، وعودة تجسده ثانية، بالاضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت، وكذلك الدراسات التي تنتقده أو تناقض ما فيه، كما ترفض الفصل بين الدين والدولة، مما يؤدي إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب السياسية، والوصول إلى السلطة بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم، ويمكن أيضا إضافة اعتقادهم بالنبوءات الانجيلية التي تقود حسب اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين، والقدس، شرطا للعودة الثانية للمسيح» (٢٤).

وفي الفترة من عام ١٨٩٥م إلى عام ١٩١٠م خبت حركة الأصوليين، وإن ظلت حيوية في البعثات التبشيرية للبلدان غير المسيحية، إلا أنها عادت للازدهار ثانية عقب الحرب العالمية الأولى، وخاصة في الفترة من عام ١٩٢٠م إلى عام ١٩٣٠م، حين اتحدت مختلف التيارات المسيحية لتخليص المدارس والكنائس من المدرسين والرعاة الذين يدافعون عن التطور ، ولمحاربة تدريس الداروينية في التعليم العام.

ونخلص مما تقدم إلى أن كلمة الأصولية باللغة العربية، هي مصطلح مرتبط بالكنيسة أولا وأخيرا، وولد في البيئة الغربية (اليهودية، والمسيحية)، وليس له أصل قريب أو بعيد بالبيئة الإسلامية، وأنه قد بدأ الزج به في أواخر سبعينيات القرن المنصرم، تمهيدا لعملية محاولة اقتلاعه، بعد اقتلاع اليسار وفقا لما تم ترتيبه في المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني عام ١٩٦٥م.أو كما قال الاستاذ وجيه كوثراني: «فلما برزت الحركات الإسلامية في الشرق الإسلامي خلال السنوات العشرين الأخيرة ، استخدمت الدراسات الغربية المصطلح نفسه للدلالة عليها..» (٢٥).

الهوامش

١- انظر إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: د. عمر سالم عبدالله العبيدي، ٥-٨ بتصرف.
٢- مختار الصحاح، للرازي: ص ٣٢.
٣- ابن منظور: لسان العرب: مجلد١: ص ١٥٥.
٤- المصباح المنير: للفيومي، ج١، ص ١٦.
٥- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: ج١: ص ٢٠.
٦- الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات: ص ٢٨.
٧- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ٣٤.
٨- انظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي: ٩٤-٩٥.
٩- الحركة المسيحية الأصولية الأميركية، محمد إبراهيم الشربيني: ص ٢٨-٢٩ بتصرف:
١٠- فهرس الكتاب المقدس، جورج بوست: ص ٢٢-٢٣.
١١- عدد إصحاحاته (١٤٨)، وكاتبه: حزقيال النبي من سنة ٥٩٧- ٥٧٧ق.م. ويتضمن دعوة حزقيال وتبليغه النبوة إلى بني إسرائيل. وفيه نبوءات عن رجوع اليهود من السبي البابلي، وإصلاح الهيكل. كما يتضمن إنذارات بالويل والخراب على يهوذا، والويلات التي ستحل بالشعوب المجاورة لإسرائيل ويهوذا. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص : ٣٦.
١٢- حزقيال: ٦/١٧.
١٣- عدد إصحاحاته ٢٨ إصحاحا، وكاتب هذا الإنجيل: القديس متى، وهذا الإنجيل يتحدث عن نسب السيد المسيح، وميلاده، وموته، وقيامته، وغير ذلك. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص ٤٦-٤٧.
١٤- انجيل متى: ١٠/٣.
١٥- عدد إصحاحات إنجيل لوقا: ٢٤ إصحاحا. وكاتب هذا الإنجيل: القديس لوقا، وتاريخ الكتابة: بعد البشارة حوالي سنة ٧٥م. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص ٤٨.
١٦- إنجيل لوقا: ١٣:٨.
١٧- انظر: د. زينب عبدالعزيز: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: ص ٦٧.
١٨- الأصولية والعلمانية: مراد وهبة: ص ٢٣
١٩- انظر المرجع السابق: ص ٢٣.
٢٠- المرجع السابق: ص ٢٤.
٢١- بلى جراهام: أشهر واعظ أصولي في الولايات المتحدة الأميركية، انظر: البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الصهيوني: د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص: ١٠.
٢٢- فرقة مسيحية ظهرت في القرن السادس عشر في أوروبا، لإصلاح الكاثوليكية ، بقيادة مارتن لوثر. انظر: قاموس الأديان والمذاهب، إعداد : د. حسين علي حمد، ط ١٩٨٩م، ص: ٥٢.
٢٣- قاموس المورد، منير البعلبكي، ط١١، ص ٣٨٣.
٢٤- الموسوعة الميسرة : ج٢، ص ٩٧٤.
٢٥- وجيه كوثراني: مستقبل المشروع السياسي الإسلامي: أصولية أم حزبية إسلامية ملف مستقبل الأصولية في العالم العربي، «معلومات بيروت» العدد: ٣/ أيار / مايو، ١٩٩٣م. ص: ٢-٦.

رسالة المسجد في حياة المسلمين

عبدالحميد حسن شقير

المساجد هي بيوت الله في الأرض، يُعبد الله فيها وحده، قال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨)، فأضافها تعالى إلى نفسه لشرفها وفضلها. وهي أشرف البقاع إلى نفوس المسلمين وقلوبهم، تهفو إليها أفئدة المسلمين، يؤدون فيها الصلاة، ويذكرون الله ويتلون كتابه الكريم، وتخشع بين جنباتها نفوس المؤمنين، وتصفو في رحابها صدور الموحدين، يتوافد عليها يوميًا في أوقات الصلاة ودون انقطاع ملايين البشر لأداء فرائض الصلاة، وتلبية لدعوة الرحمن، ونشر كلمة الله تعالى، وتلقي العلم والدروس الدينية والدنيوية فيها.

المسجد تسمية إسلامية لمكان العبادة، وفي هذه التسمية معنى الأصل الذي يأخذ أسمى صورة في الصلاة وفي ذلك الركن الخاص منها الذي نقل إليه لفظ السجود، فكأن الصلاة أخص ما بني له المسجد.

ولا توجد جماعة إنسانية يؤثر فيها مكان العبادة مثل المسجد لدى المسلمين وإن مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ فور دخوله المدينة المنورة يعتبر اللبنة الأولى في صرح الحضارة الجديدة، أو تجسيدًا حيًا لأساس انطلاقة الإسلام والمسلمين.

فالمسجد هو فاتحة تاريخ المسلمين الحضاري، حيث أصبح التراث الإسلامي مرتبطًا به في نشأته وتطوره، ولم تكن المراكز العلمية في العالم الإسلامي طوال قرون عديدة سوى هذه المساجد التي انتشرت على خارطة الدنيا في عواصم العالم الإسلامي، في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفلسطين وفي الكوفة والبصرة ومصر والمغرب العربي ودمشق، وفي قرطبة وغرناطة وتركيا والباكستان... وغيرها من الأمصار الإسلامية قبل أن تعرف الإنسانية المدرسة والجامعة والمعهد الثقافي والتعليمي.

وقد استطاع المسجد في تلك العصور أن يكون مجالًا تحيا فيه القيم الإسلامية، وتمارس فيه أنماط السلوك العلمي التي تجسد هذه القيم، مما أتاح للمسلمين حرية فكرية منقطعة النظير، ومن حول سواري المساجد قامت مذاهب ونشأت تيارات في الفقه والفلسفة والتوحيد والنقد والأدب، وقامت المحاورات والمناظرات، وكان المسجد بما له من قدسية ضمانًا لهذه الانطلاقة الفكرية التي يفخر بها تاريخ المسلمين، وكان لحلقات الدرس والتدريس والمناظرات التي رعاها المسجد وما زخرت به أروقته من مصادر ثقافية من علماء وكتب، أثرها في تحديد ملامح فكر الحضارة الإسلامية وقيمها الإنسانية من خلال تعاليم شريعة الإسلام وقواعده العادلة.

المسجد في القرآن الكريم

ورد لفظ «مسجد» في القرآن الكريم عشرين مرة، ولفظ «مسجدًا» مرتين، ولفظ «مساجد» ست مرات، كما وردت كلمة «يسجد» و «سجود» في القرآن الكريم واحدًا وسبعين مرة، وقد ورد بمعنى «بيت» ست عشرة مرة.

والمسجد هو مكان العبادة في الإسلام، وقد كان لليهود والنصارى تسميات يطلقونها على أماكن عبادتهم، ذكر منها القرآن الكريم الصوامع والبيع والصلوات، وسلكها مع المساجد في سلك واحد فجاء في القرآن الكريم: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (الحج: ٤٠).

ويقال للمسجد بيتًا؛ لقوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ (النور: ٣٦)، ويرد لفظ «بيت» بمعنى البيت الحرام أو الكعبة: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين﴾ (آل عمران:

باحث وكاتب سوري

٩٦)، كما تطلق «بيت» في القرآن الكريم على آل رسول ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

والمسجد اسم مكان للسجود، والسجود من أركان الصلاة التي هي عماد الدين، ولقد اختير السجود كي يشتق منه اسم المسجد كدلالة على أهمية السجدة وعظمتها؛ لأنها دليل خضوع العبد لربه، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» (صحيح مسلم)، وكذلك قال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلي...، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ...» (صحيح البخاري).

أما «الجامع» فهو وصف شائع للمسجد أصبح علمًا عليه، يقال في الأصل «مسجد جامع» بمعنى مسجد لصلاة الجماعة أو مسجد تقام فيه صلاة الجمعة، ثم شاع استخدام لفظ «الجامع» بمعنى المسجد الذي تعقد فيه حلقات الدرس كالجامع الأزهر وجامع القيروان.

المسجد.. منزلة ودلالة

من أفضال الله تعالى على أمة الإسلام أن شرع وهيأ لها المساجد بما تشمله من وظائف دينية واجتماعية لا تحصى فوائدها وعوائدها على الأمة، لذلك رفع الله شأنها وأضافها إلى اسمه عز وجل تشريفًا لقدرها وتعظيمًا لرسالتها، قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ (النور: ٣٦)، وقال جل وعلا: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨).

وللمساجد منزلة وقدسية تتجسد في سلوكيات ينتهجها روادها، نوجز منها:

- وجوب المحافظة عليها وتنظيفها، قال الله تعالى مخاطبًا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (البقرة: ١٢٥)، فهذه الآية حثت على طهارة المسجد الحرام، ويقاس عليه كل مسجد من مساجد الله.

- وجوب التزين عند الدخول إلى المسجد، فمن آداب دخول المساجد التزين بالمظهر الحسن والرائحة الطيبة، فالمسلم نظيف في بدنه، نظيف في ثيابه، ذلك لأنه يقابل رب العباد الذي أمره بذلك بقوله سبحانه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

- إن الداخل إلى المسجد يصلي ركعتي تحية المسجد مع الإتيان بالأذكار الخاصة بدخول المسجد والخروج منه، فعند الدخول والخروج من المسجد يستحب للمسلم أن يقول شيئًا من الأذكار، فيسن للداخل أن يدخل برجله اليمنى ويصلي ويسلم على الرسول ﷺ ثم يقول: اللهم اغفر لي، اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وعند الخروج يسن أن يخرج المصلي برجله اليسرى ويصلي ويسلم على الرسول ﷺ ثم يقول: اللهم اغفر لي، اللهم إني أسألك من فضلك كما ورد في الحديث. ومن حق المسجد لمن دخله أن يصلي ركعتين سنة تحية المسجد قبل أن يجلس، عملًا بقوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» (صحيح البخاري).

- النهي عن البيع والشراء في المساجد؛ وذلك لتنزيه المسجد عن أغراض الدنيا، ولما كانت هذه الأمور تصرف الناس عن العبادة وعن الغاية المتوخاة من المسجد، نهى الرسول ﷺ عنها، فقد روي عنه ﷺ قوله: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك...» (سنن الترمذي).

- النهي عن نشدان الضالة، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا رد الله عليك» (سنن الترمذي).

ولعظم شأن المساجد كان أولو العزم من الرسل ممن شادوا بناءها بأيديهم، فبنى إبراهيم الخليل عليه السلام الكعبة وجعلها قبلة للناس بأمر ربه، وأول عمل تم إنجازه بعد هجرة المصطفى محمد ﷺ هو بناء مسجد قباء، أول مسجد شيد في الإسلام ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ (التوبة: ١٠٨)، حيث كان ﷺ يشترك بنفسه في البناء مرددًا: لا عيش إلا عيش الآخرة.. اللهم ارحم المهاجرين والأنصار، ثم بنى ﷺ مسجده العظيم داخل المدينة بل في وسطها، وهو المسجد النبوي الشريف أو مسجد الرسول ﷺ.

ولبناء المساجد ثواب كبير وفضل عظيم عند الله، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة» (تخريج الإحياء للعراقي).

وعمار المساجد هم الربانيون المتطهرون الذين صلتهم بالله وثيقة ووشائجهم إليه متينة، وأعمالهم له متصلة، فهو يحبهم ويؤثرهم، يدخلهم في رحمته وفي ظله يوم لا ظل إلا ظله، وصدق الله جل ثناؤه حين قال: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة: ١٨).

وأهل المساجد وزوارها هم أهل الله، ينظر إليهم ويعمهم برحمته ويشملهم بمغفرته ويرعاهم بعنايته، وقد روي عن النبي ﷺ في فضل حب المساجد والتعلق بها أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...، ورجل قلبه معلق في المساجد... »، فذكر منهم رجلاً قلبه معلق بالمسجد إذا خرج لا يلبث حتى يعود إليه.

وفي فضل السعي للمساجد روى أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح».

إن المساجد هي بيوت العبادة وفيها يتمتع المسلمون بأفضل الوشائج بينهم وبين ربهم ومعبودهم عز وجل، فكم فيها من قانت وعابد ومسبح ومستغفر وذاكر الله وتال لكتابه الكريم، وكم قبلت فيها من توبات ورفع عن طريقها من درجات وأجيب فيها من دعوات، وهي محل إزاحة الهموم والغموم، وجبر مصائب الدنيا لما يتجلى فيها للعباد من فيض رباني هو على قلوبهم أحلى ما يجده بنو الدنيا من أنس وبهجة وسرور.

أهم المساجد في الإسلام

وتتفاضل المساجد فيما بينها.. فأفضلها المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، فهذه المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وتقطع في سبيلها المسافات الطوال، وتضاعف فيها الصلوات، فالصلاة في

الصلاة في بيت الله الحرام تعدل مائة ألف صلاة وفي المسجد النبوي ألف صلاة وفي الأقصى خمسمائة صلاة

المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، وصلاة في المسجد النبوي الشريف تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة، فالمسجد الحرام بمكة المكرمة بيت الله الحرام، البيت العتيق، حيث الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين في كل مكان، وهو أفضل المساجد وأعظمها وأجملها على وجه الأرض، وهو أول مكان وضع لعبادة الله على الأرض ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (آل عمران: ٩٦)، وقد شاد أركانه ورفع بنيانه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة: ١٢٧)، وقد تردد ذكره في كثير من آيات القرآن الكريم. ثم يأتي بعد المسجد الحرام في الفضل والقداسة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة فهو ثاني الحرمين الشريفين وفيه قبر الرسول الكريم ﷺ وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يأتي في المرتبة الثالثة بعد هذين الحرمين الشريفين والمسجدين العظيمين المسجد الأقصى بالقدس الشريف من أرض فلسطين المحتلة، وهو بيت المقدس وثالث الحرمين ومسرى سيد الثقلين: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الإسراء: ١)، ويئن اليوم تحت قبضة اليهود الصهاينة الذين يحاولون نسفه وبناء هيكلهم المزعوم، وتعرض في أواخر الستينيات من القرن الماضي لحريق كبير من تدبيرهم ولكن على الرغم من كل هذا فإنه مازال إخواننا هناك يصلون فيه الصلوات الخمس وتقام فيه شعائر صلاة الجمعة.

المنظور الفقهي لوظائف المسجد

إن موضوع وظائف المسجد من المنظور الفقهي يتضمن حقائق ومعلومات وأحكامًا شرعية ليست مجهولة، فمن الأمور الواضحة أن أحكام المسجد تتعلق بالعبادات، وهذه الأحكام من الدائرة التي لا يكون للاجتهاد فيها مجال، ولذا فأغلبها، ما لم يكن جميعها، مأخوذ من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة القولية والعملية، والوصفية والتقديرية.

ومن دراسة كتاب الله العزيز نجد الأحكام الفقهية المتعلقة بوظائف المسجد هي:

- **المساجد أمكنة للصلاة وذكر الله:** ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة: ١٠٨).
- **المساجد أمكنة لدعوة الله وحده:** ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ (الجن: ١٨).
- **المساجد أمكنة للاعتكاف:** ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (البقرة: ١٨٧).

وأما نصوص السنة ذات الصلة بالمسجد وأحكامه، من حيث بناؤه وآدابه ورسالته فهي كثيرة، ويمكننا أن نعدد من وظائف المسجد التي وردت في السنة الشريفة ما يلي:

لتلقي العلم

في المسجد كانت حلقات الدرس تعقد لتعليم كافة دروب وفنون العلم، ولم يقتصر التعليم في المساجد على علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولكنه امتد أيضًا لتعليم الطب والهندسة والرياضيات والفلك والكيمياء، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته» (صحيح الترغيب للألباني).

للتقاضي

في ساحة المسجد صدرت أكثر أحكام القضاء عدلًا، وفي ذلك يروي الإمام البخاري في صحيحه أن كعب بن مالك رضي الله عنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما رسول الله ﷺ ونادى كعب بن مالك قائلًا: «ياكعب، ضع عنك دينك هذا» فقال: قد فعلت يا رسول الله، فقال: «قم فاقضه».

للرياضة واللعب المباح

برغم أن المسجد كان مكان عبادة وذكر، فإن رسول الله ﷺ لم ينكر على من اتخذه مكانًا للعب المباح، وخير مثال على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين، عن الأحباش الذين كانوا يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله ﷺ ينظر إليهم ولم ينكر عليهم، تقول عائشة: دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فقال: «يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم» ؟ فقلت نعم. فأقامني وراءه، فنظرت من فوق منكبيه، قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة».

لمداواة الجرحى وعيادتهم

تعدى دور المسجد إلى أمور أخرى مثل اتخاذه مستشفى لعلاج المصابين من المسلمين في الحروب بينهم وبين أعدائهم، وخير دليل على ذلك قصة سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس، فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق في الأكحل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب».

لحبس الأسرى

كما كان يربط في المسجد الأسرى حتى يسلموا أو يفتدوا أنفسهم، ولعل قصة ثمامة بن أثال خير مثال على ذلك، فقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ بعث خيلًا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربط في سارية من سواري المسجد، وبعدما أطلق رسول الله ﷺ سراحه ذهب فاغتسل وعاد إلى المسجد وأعلن إسلامه.

للتشاور وتبادل الرأي

ثبت أنه كان إذا دهى المسلمين أمر هام نودي: الصلاة جامعة؛ للتشاور في ذلك الأمر، وفي المسجد يجتمع ولي الأمر بأهل الحل والعقد من المسلمين يتشاورون فيما فيه خير الأمة ومصلحة الجماعة، ففي مسجد رسول الله ﷺ تم التشاور قبيل غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما من الغزوات والسرايا التي كان يرسلها الرسول ﷺ.

لإيواء الفقراء والغرباء

في مسجد رسول الله ﷺ أقيم مكان عرف بالصفة، ونزل فيه سبعون من الفقراء ومن أشهرهم أبوهريرة رضي الله عنه.

ـ المساجد أمكنة لاستقبال الوفود ومن أهمية المسجد في عهد الرسول ﷺ أنه كان مكانًا لاستقبال الوفود القادمة للدخول في الإسلام فتعتنقه عن قناعة واطمئنان، كوفد ثقيف حين قدم على رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، فضرب النبي ﷺ لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا فيتأثروا بقراءتهم ويحاكوهم في صلواتهم.

للمحاسبة

روى البخاري في صحيحه في باب «تعليق العنقود في المسجد» أن محاسبة الأمراء والعاملين كانت تتم في رحاب المسجد ويعلق فيه عنقود نخل ليأكل الجائعون والغلمان.

لعقد ألوية الجيش

إذ في مسجد رسول الله ﷺ كانت تعقد الرايات للغزوات والسرايا، ومن مسجده كانت تخرج السرايا، وإلى مسجده كانت تعود الجيوش من الجهاد.

وبعد: فإن المسجد الذي خرّج أبا بكر وعمر وأبا عبيدة وخالدًا وعبدالرحمن بن عوف وسعدًا وجعفر وغيرهم لقادر اليوم- وكل يوم- على مواصلة مسيرته وأداء رسالته مهما ظن الحاقدون.

لكل هذا ينبغي أن يعود المسجد بكافة مهماته لتقوية الجانب الديني في نفوس الناس بما يتلقونه من وعظ وإرشاد وتوجيه، ولكي يصبح بحق المدرسة التي يتعلم فيها المسلم من المهد إلى اللحد.

المراجع

١ - نفيسة علي مصطفى، المساجد بيوت الله في الأرض، المجلة العربية، ع ١٢١، تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٧م.
٢ - د٠محمد بن عبدالله السلمان، وظيفة المسجد في الإسلام، المجلة العربية، ع ١٥٣، مايو ١٩٩٠م.
٣ - ناصر بن طالب العلوي، المسجد في الإسلام، مجلة جند عمان، ع ٣٧٩، يوليو ٢٠٠٨م.
٤ - ناصر بن مسعود السناني، المساجد.. حقوقها وفضلها، مجلة رسالة المسجد، ع ١٠٦، شوال ١٤٢٣هـ.
٥ - محمد مبارك، رسالة المسجد، مجلة الفيصل، ع ٢، س ٢، يوليو: أغسطس ١٩٧٨.

خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين (٢-٢)

د. محمد المختار الشنقيطي
أكاديمي موريتاني

اخترت خمسة من بين علماء الإسلام ومفكريه في القرن العشرين بناءً على معايير ثلاثة، هي: الجمع بين ثقافتيْ الشرق والغرب، وبين الفهم الشرعي والموقف الشرعي، وبين عمق الفكرة وإشراق الروح. وأرجو أن تعين هذه المقالات القارئ الكريم على الإلمام السريع بحياة هؤلاء الأكابر، ثم ببعض الأفكار الكبرى التي صاغوها، لعل ذلك يستحثه على البحث بنفسه عن المزيد من نفائس الأفكار التي خلفوها لنا في كتبهم، والعبرة التي تنبض بها سير حياتهم، وبعد أن عرضنا ثلاثة من هؤلاء العلماء في العدد السابق (٥٤٤) سنعرض في هذا الجزاء اثنين من هؤلاء العلماء.

- إسماعيل الفاروقي.. حامل همّ الشرق في الغرب:

■ **سيرة حياته:**

ولد الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي في مدينة يافا الفلسطينية عام ١٩٢١، وبدأ دراسته الإسلامية بالمسجد وفي البيت على يد والده الذي كان قاضيا شرعيا. وتابع دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الدومينيكان الفرنسية، ثم حصل على البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٤١. عمل في ظل الانتداب البريطاني محافظا لمنطقة الجليل إلى حين ميلاد الدولة الصهيونية، فالتحق بالمقاومة برهة، ثم هاجر إلى أميركا حيث حصل على شهادتيْ الماجستير في فلسفة الأديان: الأولى من جامعة إنديانا عام ١٩٤٩، والثانية من جامعة هارفارد عام ١٩٥١. وفي عام ١٩٥٢ حصل على الدكتوراه من جامعة إنديانا، وكانت أطروحته بعنوان: «نظرية الخير: الجوانب الميتافيزيقية والإبستومولوجية للقيم».

بعد تضلعه بالفلسفة الغربية وبتاريخ وتعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية في دراسته بأميركا، أحس الفاروقي بالحاجة إلى تعميق معرفته بدينه الإسلامي، فرحل إلى مصر، ودرس في الأزهر أربع سنوات (١٩٥٤-١٩٥٨) بنى فيها ثقافة إسلامية رصينة، ثم عاد إلى الغرب وبدأ التدريس بجامعة ماكجيل الكندية، وباحثا في كلية اللاهوت بالجامعة ذاتها، حيث أسفرت أبحاثه هناك عن كتابه القيم: «الأخلاق المسيحية: تحليل تاريخي ومنهجي لأفكارها المهيمنة». انتقل الفاروقي إلى باكستان عام ١٩٦١، ليساهم في تأسيس «معهد البحوث الإسلامية» في كراتشي، ثم عاد إلى أميركا أستاذا بجامعة شيكاغو ١٩٦٣-١٩٦٤، وفي جامعة سيراكيوز ١٩٦٤-١٩٦٨. ثم استقر قراره بجامعة تمبل التي مكث فيها حوالي ثمانية عشر عاما من العام ١٩٦٨ إلى عام استشهاده ١٩٨٦.

■ **السفير المغدور:**

من عادة الملوك الأقدمين أن لا يقتلوا السفراء الذين يحملون الرسائل بينهم، وهم يعتبرون هذا العرف السياسي من أمارات المروءة والشهامة. لكن سفير الشرق الإسلامي إلى الغرب المسيحي إسماعيل الفاروقي قتل غدرا وغيلة. جاء الفاروقي إلى الغرب حاملا معه مظلمته من الشرق، فوجد الظلم في انتظاره في غرب أحلّ عبادة إسرائيل محل ديانته المسيحية. ففي ليلة ١٨ رمضان ١٤٠٦ هـ، ٢٧ مايو ١٩٨٦ م، قُتل إسماعيل الفاروقي طعنا بالسكاكين هو وزوجته الدكتورة لمياء الفاروقي - وهي عالمة متمرسة بالفن والعمارة الإسلامية - بسبب مواقفه الصلبة في الدفاع عن قضيته وقضية شعبه الفلسطيني، وتعريته الأديولوجية الصهيونية وجذورها العنصرية، وبسبب عمله الدعوي الدؤوب لنشر الإسلام وثقافته في المجتمع الأميركي. بيد أن فكر الفاروقي لم يمت، بل شكل زادا على الطريق الشائك الذي اختطه، طريق كلمة الحق في وجه الجبروت.

■ **العالم الموسوعي:**

كان الفاروقي مثالا للعالم المسلم الموسوعي، فهو متضلع في الفلسفة، والأديان، والتاريخ، وفي مختلف العلوم الإنسانية الأخرى، وهو يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية ويكتب باللغات الثلاث وكأن كلا منها لغته الأم. يحكي د.جمال البرزنجي أنه استدعى الفاروقي لعشاء في بيته عام ١٩٧٢، وتحدث الضيف أمام جمع من أتباع ديانات شتى لمدة ساعة.

وفي ختام الحديث، رفع قسيس يده طالبا التعقيب، فقال: «لقد تعلمتُ عن المسيحية هذه الليلة وحدها أكثر مما تعلمته في دراستي لها خلال الثلاثين سنة الماضية». خلف الفاروقي ثروة فكرية متميزة، منها خمسة وعشرون كتابا، وأكثر

من مائة بحث ومقال أكاديمي. ولا تزال جل كتبه في أصلها الإنجليزي، وهي بحق مساهمة نوعية في تحرير العقل المسلم وتجديد الفكر الإسلامي. وقد ترجمت له بضعة كتب إلى العربية، منها «أطلس الحضارة الإسلامية». كما تخرج على يديه عدد وافر من العلماء المتخصصين في الأديان. ويمكن إجمال المساهمة التجديدية التي قدمها الفاروقي في أربعة محاور: الحضارة الإسلامية، ومقارنة الأديان، وأسلمة المعرفة، والظاهرة الصهيونية.

■ **الحضارة الإسلامية:**

ففي مجال الحضارة الإسلامية ألف الفاروقي وزوجته لمياء سفرا ضخما وقيما جدا، هو «أطلس الحضارة الإسلامية»، الكتاب الذي «ولد يتيم الأبوين» كما كتب مقدمُه د.هشام الطالب، لأن د.إسماعيل وزوجته استشهدا والكتاب لا يزال في المطبعة. فكان من نعم الله أن خرج الكتاب شاهدا لهما، وحافظا لجهدهما وجهادهما. وهو عصارة فكرهما في مرحلة النضج والتمكن. ولعل بقاء هذا الكتاب دليل على ما ذهب إليه برويز منصور إذ كتب في نعي الفاروقي: «إن حبر العالِم أقوى من سكين الغادر». ويمتاز هذا الكتاب برحابة النظرة وامتدادها في الزمان والمكان، فالمعرفة الواسعة التي بناها الفاروقي في تاريخ الأديان، خصوصا اليهودية والمسيحية، والخبرة العميقة التي اكتسبتها لمياء في الفن والعمارة الإسلامية، جعلتهما يضعان الحضارة الإسلامية في إطار رحب لا مثيل له في الكتابات الشائعة في هذا المضمار، وقد تبنى المؤلفان منهجا مبتكرا، بيّنا فيه «السياق» الذي ولدت فيه هذه الحضارة، و«الجوهر» التوحيدي الذي تمحورت حوله، و«الشكل» الذي عبرت به عن نفسها، و«التجليات» التي ظهرت بها (وهذه هي المحاور الأربعة للكتاب).

■ **مقارنة الأديان:**

وفي مجال الدراسة المقارنة للأديان حرر الفاروقي «الأطلس التاريخي لأديان العالم» وكتب الفصل الخاص بالإسلام في ذلك الأطلس، كما قدم له بمدخل ضاف بين فيه جلال الرسالة الإسلامية وتفوقها على كل الأديان، واحتواءها جميع الفضائل التي جاءت بها الرسالات السماوية السابقة، واعتمادها على العقل والمنطق. كما ألف كتاب «الأخلاق المسيحية» الذي نقض فيه الأساس النظري والتاريخي لهذه الديانة من خلال مصادرها الأولى. وقد حاول عدد من القسس في جامعة ماكجيل التي كتب الفاروقي الكتاب في رحابها أن يمنعوا نشره، قائلين إنه يزلزل الإيمان المسيحي في قلوب قرائه. وللفاروقي كتب أخرى في الأديان، منها «الإسلام والديانات الأخرى» و«ثلاثية الحوار اليهودي-المسيحي-الإسلامي»، كما اشترك في تأليف كتاب «الديانات الآسيوية الكبرى»، هذا إلى جانب كتبه الخاصة بالإسلام، ومنها كتاب «التوحيد ومقتضياته في الفكر والحياة».

كان إسماعيل الفاروقي مثالاً للعالم الموسوعي حيث كتب في الفلسفة والأديان والتاريخ وكان يتقن الإنجليزية والفرنسية

■ **أسلمة المعرفة:**

وفي مجال أسلمة المعرفة وضع الفاروقي الأسس النظرية لإعادة صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة صياغة إسلامية، بحيث تصبح هذه العلوم رافدا إيجابيا لثقافة المسلمين، لا سيلا جارفا يسلبهم هويتهم ودينهم وثقتهم في الذات. وقد شخص الفاروقي داء المسلمين المعاصرين في نظامهم الفكري والتعليمي السائد، وانعدام الدافع القوي والفكرة المحركة في ثقافتهم. ونددَ بازدواجية التعليم بين ديني تقليدي ومدني معاصر، مما أنتج ذاتا منشطرة مهزوزة، لا تحسن غير التقليد: تقليد الأجداد الذين رحلوا، أو الغربيين المختلفين دينيا وثقافيا. بينما المطلوب هو تعليم واحد تسري فيه الروح الإسلامية من خلال تدريس مادة الحضارة الإسلامية في كل الجامعات والأقسام بغض النظر عن التخصص. أما المتخصصون في الدراسات الإسلامية فلا بد أن يتضلعوا بالعلوم الإنسانية الحديثة لإثراء ذواتهم وبناء قدراتهم النظرية لتكون على مستوى الثقافة العقلية المعاصرة. وقد أسس الفاروقي مع د.عبدالحميد أبوسليمان المعهد العالمي للفكر الإسلامي ليكون مركز تنظير وتخطيط للثقافة التركيبية التي يحتاجها المسلمون اليوم.

■ **الظاهرة الصهيونية:**

وفي مجال التعريف بالظاهرة الصهيونية، كتب الفاروقي ثلاثة كتب هي: «الإسلام ومشكلة إسرائيل»، و«أصول الصهيونية في الدين اليهودي»، و«الملل المعاصرة في الدين اليهودي». وكان طرحه متميزا بالعمق والرحابة، وإن لم تخل نبرته من مرارة الظلم. كان الفاروقي متضلعا بتاريخ الديانة اليهودية وبتطور الحضارة الغربية، وقد وضع الصهيونية في ذلك السياق التاريخي، وتوصل إلى أن المسلمين يسيئون فهم أهم عدو لهم اليوم وهو إسرائيل، بالنظر إليها على أنها مجرد ظاهرة استعمارية غربية أو مجرد تكرار للحروب الصليبية، وهي كل ذلك وأكثر بكثير. ثم وضع ميلاد إسرائيل في سياق ثلاثة أفكار مهمة هي: عقيدة «الانتقال الوجودي للخطيئة» ontological passage of guilt في المسيحية، وتراجع وعود عصر الأنوار الأوروبية عن تحقيق المساواة لليهود، ثم المركزية العرقية في الديانة اليهودية. وهكذا اقتلع اليهودي جذوره من أوروبا وزرعها في فلسطين وهو محمّل بكل هذه الأثقال. لكن الحقيقة أنه فعل ذلك متأخرا جدا، وأن عمله هذا مجرد حل مؤقت ويائس لن يكون هو الحل

النهائي للمعضلة اليهودية. فتلك معضلة مسيحية غربية لا يمكن حلها على حساب أمة عظيمة تتقدم اليوم إلى مسرح التاريخ من جديد.

رحم الله الشهيد إسماعيل الفاروقي.. حامل همّ الشرق في الغرب. (٥)

علي عَزت بيغوفيتش.. إسلامي بأفق إنساني:

■ بواكير حياة واعدة:

ولد السياسي والمفكر المخضرم علي عزت بيغوفيتش عام ١٩٢٥ في بلدة «بوسانا كروبا» في شمال غرب البوسنة، لأسرة عريقة في تاريخ الإسلام بالبلقان. وكانت أمه على قدر من الورع والتقوى، ففرست في قلبه حب الإسلام. فعشق القرآن، وخصوصا سورة الرحمن، وهو صبي يافع. ثم أسس مع زملاء له في الثانوية نادي «الشبان المسلمين» وهو طالب، وتوسع النادي فيما بعد ليصبح جمعية ثقافية وخيرية، ويجتذب العديد من طلاب جامعة سراييفو التي درس فيها علي عزت القانون، وأدت الجمعية خدمات اجتماعية جليلة خلال الحرب العالمية الثانية. وحينما احتلت النازية الألمانية مملكة يوغوسلافيا وأحالتها جمهورية فاشية، قاطعت جمعية الشبان المسلمين النظام الفاشي، وضايقها هذا النظام فحرمها من الشرعية القانونية. تخرج علي عزت محاميا، وجهد في إتقان اللغات الأوروبية الأساسية، ومنها الألمانية والفرنسية والإنجليزية، كما بنى بجهده الخاص ثقافة رصينة في العلوم الاجتماعية والفكر الإسلامي والأدب حتى أصبح ضليعا بهذه العلوم، كما تشهد به كتبه، خصوصا «الإسلام بين الشرق والغرب» و«هروبي إلى الحرية».

■ متحدّي الزحف الأحمر:

بدأت محنة المسلمين في يوغوسلافيا تتعمق أكثر بعد الحرب العالمية الثانية، حينما استولى الحزب الشيوعي بقيادة جوزيف تيتو على السلطة، وفرض نظاما قمعيا مناهضا للإسلام، واعتقل عددا وافرا من قادة المسلمين وأعدم العديد منهم، أما جمعية الشبان المسلمين، ذات المنهج الثوري واللغة السياسية الصريحة، فكانت الوطأة عليها أقوى، فاعتقل منها النظام الشيوعي حوالي الألفين، منهم علي عزت، الذي مكث في السجون الشيوعية خمسة أعوام (١٩٤٩-١٩٥٤). وبعد خروجه من السجن بدأ علي عزت العمل محاميا عام ١٩٦٢، وواصل عمله الفكري الإسلامي، من خلال الكتابة المنتظمة في مجلة «تاكفين» التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين في يوغوسلافيا.

وقد صدرت مجموعة من مقالاته في كتاب بعنوان «البيان الإسلامي» عام ١٩٨١، فأثار الكتاب ثائرة السلطة الشيوعية التي رأت فيه نوعا من المناهضة للشيوعية، خصوصا بعنوانه المثير الذي يشبه المناقضة لعنوان «البيان الشيوعي» الذي أصدره كارل ماركس وفريديريك أنغلز عام ١٨٤٨، وأصبح إنجيل الحركة الشيوعية. حوكم علي عزت محاكمة صورية وحكم عليه عام ١٩٨٣ بالسجن لمدة أربعة عشر عاما، فمكث خمس سنوات كالحة في السجون الشيوعية للمرة الثانية. ومع انهيار الشيوعية عام ١٩٨٩ خرج من السجن بعد إعادة محاكمته وتبرئته، وبدأ العمل السياسي في أجواء الانفتاح الجديد، فأسس حزبا سياسيا، وفاز برئاسة جمهورية البوسنة طيلة عقد من الزمان (١٩٩٠ - ٢٠٠٠). ثم رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٣م، مخلِّفا ذكرى عطرة وأثرًا لا يندثر.

■ قاهر بربرية الحضارة:

تفاءل مسلمو البوسنة بسقوط الشيوعية خيرا، وحسبوا أنهم دخلوا عالم الحرية الموعودة التي طالما انتظروا إسفار فجرها على بلدانهم. بيد أن عدوا جديدا أطل برأسه القبيح، فكان أبشع من الشيوعية وأكثر دموية، وهو الفاشية الصربية، التي سعت إلى استئصال الإسلام من يوغوسلافيا، مدفوعة بأحقاد دفينة ترجع إلى ميراث العصور الخوالي من الصراع بين المسلمين الأتراك والمسيحيين السلافيين في البلقان. وقد تواطأت أوروبا مع الصرب بحصار المسلمين وحرمانهم من أي سلاح يمكنهم من الدفاع عن وطنهم المستباح. وبينما كان المسلمون يبادون كان بعض القادة الأوروبيين يتحدثون عن خطر وجود «دولة إسلامية» في أوروبا!! وكان على علي عزت أن يقود شعبه في معركة موت أو حياة، انتهت باستقلال البوسنة، لكن بعد تضحيات جسام، وبحور من الدماء في سربرنيتسا وغيرها.

كان علي عزت أبيًا في تواضع، صلبًا

في حكمة. صمد في السجن أمام الإغراء والإغواء، وصبر خارج السجن في البأساء والضراء. جمع بين العلم والعمل، بين الفكر والالتزام بالقضية. كان شديد الذكاء، عظيم الشجاعة، لكنه كان يقدر الشجاعة أكثر من الذكاء، وقد كتب يقول: «لم يغنِّ الشعب للذكاء، وإنما غنّى للشجاعة... لأنها الأكثر ندرة». وفي أحلك المحن التي واجهها ظل علي عزت ذلك الرجل ذا القلب الكبير الذي لا يحمل حقدا حتى ضد أعدى أعاديه. وقد كتب عن نفسه بحق: «لا كراهية لدي، وإنما لديّ مرارة»، «لا أتذكر بأني احتقرت أحدا». ولم يكن يرى العدالة انتقاما، بل إرجاعا للأمور إلى نصابها، مع العفو والصفح حالما يرتفع الظلم عن المظلومين. وفي ذلك يقول: «الطريقة الوحيدة للانتصار على الظلم هي التسامح... أليست كل عدالة ظلما جديدا؟». وبهذا العقل الواسع والقلب الكبير قهَر علي عزت بربرية الحضارة التي أرادت استئصال شعبه تحت سمع وبصر العالم.

■ عاشق الحرية السجين:

كان علي عزت عاشقا للحرية التي يراها جوهر إنسانية الإنسان، كما كان يرى الدكتاتورية أعدى أعادي الإنسان. وكان يعتبر ملكة التفكير مصدرَ قوة الكائن البشري ومنبعَ حريته التي لا تستطيع قوة القهر المادي سلبها. ولذلك كتب متحدثا عن نفسه في السجون الشيوعية: «لم أستطع الكلام، لكني استطعت التفكير. وقررت استغلال هذه الإمكانية حتى النهاية.» وقد حاولت السلطة الشيوعية استدراجه إلى نوع من المساومة على مبادئ الإسلام والحرية فلم تجد منه سوى الصدود والإباء. كتب في دفتره المخفي بالسجن: «اليوم هو ٢٧ شباط ١٩٨٧م: وهو يوم قليل الإثارة. طلبوني في الصباح لإدارة السجن واضطربتُ، لأنه لم يكن وقت زيارة. وفي غرفة اللقاءات وجدت ليلى وسابينا

كان علي عزت بيغوفيتش إسلاميا في العمق لكن بأفق إنساني رحب وكان يعتبر ملكة التفكير مصدر قوة الكائن البشري

«ابنتيّه» بوجوه مرحة. أرادتا فورا وربما على المدخل أن تقولا بأن لا شيء مكروها قد حصل. ثم تحدثتا لي كيف أن «نيقولا ستويانوفيتش» رئيس لجنة الاسترحام في رئاسة جمهورية البوسنة اقترح استدعاء للاسترحام، وسيتم الإفراج عني. وكان الوسيط «زدرافكو جوريتشش» سكرتير اللجنة آنذاك هو زميل ليلى في الدراسة، الذي كتب الاستدعاء. وقرأت النص، ولم أوقع، واستمر السجن». لقد طلبوا منه التوقيع على استرحام من سجانيه، وعلى التزام باعتزال السياسة والشأن العام، فرفض بإباء، ومكث في السجن عامين آخرين جراء ذلك.

وقد علّمتْه محنة السجن الكثير. وكان يكتب بعض الخواطر وهو سجين، ويخفيها عن أعين سجانيه. ونشرتْ هذه الخواطر فيما بعد ضمن كتابه «هروبي إلى الحرية». وهي تدل على إيمان راسخ، وعقل ثاقب، وفهم عميق للحياة وابتلاءاتها. وفي اثنتين من هذه الخواطر كتب: «السجن يقدم معرفة يمكن أن يقال عنها إنها مؤلمة للغاية»، «يعاني الإنسان في السجن من نقص في المكان وفائض في الزمان».

■ حامل الرسالة الإنسانية:

كان علي عزت بيغوفيتش إسلاميا في العمق، لكن بأفق إنساني رحب. ويحتار المطالع لتراثه من سعة اطلاعه على الثقافة الإنسانية. فهو ضليع في الفلسفة، والأديان، والقانون، والتاريخ، والأدب، والرسم. وتدل هوامش كتبه وثراء استشهاداته وملاحظاته على اطلاع مذهل على ثمرات الفكر الإنساني في الشرق والغرب، وعقل منهجي ناقد لما قرأ، متمثل له في ذاته. وكان يرى أن ركام المعلومات من غير هضم عبء على حامله، وليس من المناسب تسميته معرفة أصلا. وقد كتب في ذلك: «المعرفة المفرطة تخنق أحيانا الفكرة الإبداعية... يمكن للإنسان أن يمتلك المعرفة في عدة مجالات، لكن من غير تنظيم وبدون رؤيا... الكثير من المتعلمين عاشوا وماتوا بدون معرفة حقة... كومة من المواد الجيدة من دون مخطط، تبقى كومة فقط».

أسهم علي عزت إسهاما جليلا في الفكر الإسلامي والإنساني من خلال كتبه. وأهم هذه الكتب هي «الإسلام بين الشرق والغرب» و«هروبي نحو الحرية»، ثم «البيان الإسلامي». آمن إيمانا عميقا بالإسلام رسالة إنسانية، تحتاجها البشرية اليوم حاجة مُمضّة. وقد قدم الإسلام بصفته طريق الوسطية بين المادية العمياء التي تغلّف الأفق الإنساني وتحجب رؤيته، والروحانية العرجاء التي تؤصّل الانهزامية والانسحاب من معركة الحياة. فالإسلام هو «الطريق الثالث» كما يدعوه علي عزت.. الطريق الذي لا يشطر الذات الإنسانية شطرين، بل يصوغها صياغة متزنة، تجعلها قادرة على التوفيق بين واقعها المتناهي وأفقها اللامتناهي. فالروحانية الواقعية هي أهم سمات الإسلام، والإنسان الكامل في الإسلام - كما يراه علي عزت - ليس القديس، بل المؤمن الواقعي القوي، الملتزم برسالته الاجتماعية ودوره في الحياة. ولو فهمنا الإسلام حق الفهم - يقول علي عزت - فسنجد أن الإنسان الواقعي الملتزم أعظم من القديس، وأن ذلك هو السر وراء أمر الملائكة المعصومين بالسجود لآدم الخطّاء.

رحم الله علي عزت بيغوفيتش.. قاهر بربرية الحضارة بإيمانه الإسلامي وأفقه الإنساني.

كيف نجدد الخطاب الإسلامي؟

عصام تليمة

كثر في هذه الأيام الحديث عن الخطاب الإسلامي وتجديده، وبغض النظر عما تردد بعد أحداث سبتمبر من أميركا والدول الأوروبية من الدعوة لتجديد الخطاب الديني- على حد زعمهم- فإننا نود أن نقف وقفة مع خطابنا الإسلامي بعيدًا عن هذه المطالب المشبوهة، لننظر.. هل من الممكن أن يتجدد الخطاب الإسلامي؟ وكيف؟ وما المطلوب من خطابنا الإسلامي في عصرنا كي يؤتي ثماره، ويحقق أهدافه، من هداية الناس وتعريفهم بربهم سبحانه وتعالى، والالتزام بتعاليمه، والاهتداء بهديه؟!

وبداية نقول: إن تجديد الخطاب الإسلامي أمر مطلوب ومنشود بلاشك، فمن أهم خصائص الإسلام الحنيف أنه دين صالح لكل زمان ومكان، وهذه الصلاحية تقتضي أن يتجدد أسلوب عرض الإسلام حسب الزمان والمكان والأشخاص.

نلاحظ في القرآن الكريم التجديد في العرض حسبما يقتضي المقام، فنرى خطاب المشركين غير خطاب أهل الكتاب، ونرى خطاب الله تعالى للمسلمين يختلف أيضا من مرحلة لأخرى، ففي مكة كانت كل نداءات القرآن بـ «يأيها الناس» و«يا بني آدم» و«يأيها الإنسان»، أما في المدينة المنورة بعد أن أصبح للمسلمين دولة، وباتت لهم جماعة، فناداهم بنداء جديد بـ «يأيها الذين آمنوا»، بل حتى في القضية الواحدة يختلف أسلوب القرآن في حديثه عنها من وقت لآخر، خاصة في القضايا التي سيقف فيها القرآن الكريم موقف التحريم، فيتدرج في علاجها، فمثلًا نرى ذلك واضحًا في قضية تحريم الخمر.

وأيضًا من أدلة تجديد الخطاب الإسلامي: القراءات السبع أو العشر للقرآن الكريم، فكلها تدل على مراعاة لهجات العرب؛ كي يتناسب مع فهمهم للقرآن الذي هو عربي مبين.

الرسول ﷺ وتجديد الخطاب الإسلامي

كذلك كان النبي ﷺ يجدد من خطابه، ويغير من أساليبه، مراعيًا بذلك الزمان والمكان والأشخاص، فقد جاءه رجل وقال له: يا رسول الله، عظني؟ فقال: «لا تغضب» (رواه البخاري)، وجاءه آخر فطلب منه نفس الطلب، فقال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» (رواه مسلم)، فهو هنا راعى تغير الشخص في خطابه الدعوي، إذ رأى حاجة الأول لأن يسكن من غضبه ويحد منه، ورأى في الآخر حاجة لأن يعمق إيمانه بالله، ويستقيم على طريق الهداية.

كما كان يراعي تغير المكان واللهجة، فقد كانت لهجته ولغته ﷺ لهجة قرشية فصيحة، ومع ذلك لما أتاه وفد من حمير راعى اختلاف لهجتهم، فغير من خطابه الديني الدعوي معهم، وهم قوم ينطقون «الـ» التعريفية ميمًا، فمن أحاديثه ﷺ قوله: «ليس من البر الصيام في السفر» (رواه أحمد والنسائي وابن ماجة)، فلما خاطب وفد حمير تكلم بلهجتهم فقال: «ليس من امبر امصيام في امسفر» وهي لهجتهم.

كما كان ﷺ يراعي البيئة المحيطة، فلا يأتي بما هو مستغرب عنها ولا مستهجن، نرى ذلك في خطابه ﷺ عند ضربه للأمثلة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟»، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، فقالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «النخلة» (رواه البخاري ومسلم)، فالرسول ﷺ شحذ عقولهم، وطالبهم بإعمالها في التفكير في نبات أشبه ما يكون بصفات المسلم، فما هو هذا النبات؟ إنه النخلة، فلم يأت لهم بنبات بعيد عنهم، أو نبات لا يرونه في صحرائهم وبيئتهم، فأتى بنبات صحراوي يناسب بيئتهم ويرونه ليل نهار، بل وتعتمد عليه تجارتهم وحياتهم، وهكذا في كل

ليس من الواقعية في شيء أن يحدِّث خطيب أناساً فقراء عن زكاة الأسهم والسندات

داعية إسلامي

تشبيهاته ﷺ عند استخدام ضرب المثل في الخطاب النبوي.

وفي خطابه ﷺ للملوك، نلاحظ اختلاف الأسلوب كل على حدة، وخطابات العرب غير العجم، فراعى لكل منهم مكانته، مثل كتابه للمقوقس الذي بدأه بقوله: إلى المقوقس عظيم القبط، فراعى لكل إنسان ما يناسبه، بحسب استعداده لتلقي دعوة الإسلام، وبحسب مقامه.

نخلص من ذلك إلى أن النبي ﷺ كان يجدد في خطابه على حسب الموقف والزمان والمكان والأشخاص.

ماذا نريد من الخطاب الإسلامي؟

إننا نريد من خطابنا الإسلامي- في ضوء مستجدات العصر- متطلبات عدة حتى يؤتي أكله، ويستجيب له الناس، ويكون خطابًا محببًا إلى النفوس والقلوب، وحتى لا يكون خطابنا في واد والناس في واد آخر، مما يجعل الناس تعطي ظهرها للخطاب الديني، باحثة عن باب آخر يلبي رغباتها، وليس ذلك لعيب في الدين، ولكن لعيب فيمن يقدم هذا الدين.. وهذه المطالب هي:

١- **الواقعية:** لابد أن يكون خطابنا الإسلامي خطابًا واقعيًا، لا يحلق في أجواء من الخيال الحالم، ويبتعد عن واقع الناس المعيش، يعالج أدواءهم، ويحل مشكلاتهم، ويحدثهم عن أزمات الواقع وكيفية الخروج منها، أذكر- ونحن طلاب- داعية معروفًا قد عقدت له ندوة بجامعتنا، واحتشد له الشباب من كل صوب وحدب، فكان حديثه لهم عن «موجبات الغُسْل»، وذلك في أوج محنة المسلمين في البوسنة والهرسك!

وجلست مرة أستمع إلى داعية آخر يلقي محاضرة عن «ذكرى الهجرة النبوية» وقد ظل أكثر من ربع ساعة يعقد مقارنة بين: أي الغارَيْن أفضل: غار ثور أم غار حراء؟ ثم ظل يقارن بينهما ويقول:

أ- غار حراء نزل فيه قرآن، وغار ثور نزل فيه قرآن، إذن النتيجة التعادل (١-١).

ب - غار حراء وجد فيه النبي ﷺ، وغار ثور وجد فيه النبي ﷺ كذلك، إذن النتيجة التعادل (٢-٢).

ج - غار حراء نزل فيه جبريل عليه السلام، وغار ثور كذلك نزل فيه جبريل، إذن النتيجة التعادل (٣-٣).

د . غار ثور وجد فيه أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وغار حراء لم يأته أبوبكر الصديق رضي الله عنه، إذن النتيجة (٤-٣)، وأعلن المحاضر بذلك النتيجة بفوز غار ثور على غار حراء، بتفاضله عليه بأن وجد فيه أبوبكر الصديق رضي الله عنه!

فليس من الواقعية في شيء أن يقف خطيب بين أناس لا يجدون قوت يومهم، ويعيشون في العراء، ليحدثهم عن زكاة الأسهم والسندات، أو زكاة المجوهرات والذهب، وهم ممن يستحقون الزكاة، بل ممن تحل لهم الصدقة!

وليس من الحكمة والعقل كذلك ما نشاهده من بعض الدعاة الذين يذهبون إلى أميركا وأوروبا ويعقدون محاضرات عن «خطر الأضرحة على العقيدة» في بلاد لا يوجد بها ضريح واحد، ولا قبور للأولياء.

إن الخطاب الديني عندما يبتعد بالناس عن الواقع يصبح خطابًا فارغًا من قيمته وهدفه، ومن رسالته وغايته، فلابد أولًا أن ننزل على أرض الواقع، ونخاطب الناس بخطاب يناسبهم، ويناسب واقعهم المعيش.

٢. **الانفتاح لا الانغلاق:** فخطابنا الإسلامي لابد أن يكون خطابًا منفتحًا على الآخر، سواء أكان ذلك الآخر من داخل المسلمين أم من خارجهم، وأن ينظر إلى مجموع المسلمين على أنهم سواسية، أما نظرة الاستعلاء التي نراها في خطاب بعض المتدينين، كأنهم وحدهم المخولون بالخطاب الديني، وأن الدين نزل لهم، وأنهم فوق مستوى البشر، فليست من الدين في شيء، وحتى لا يكون خطابنا خاصًا بفئة معينة، بل لابد من التعامل مع الأمة على أنها أمة واحدة، متدينها وغير متدينها، وأن نتعامل معهم في خطابنا واضعين نصب أعيننا قول النبي ﷺ: «لا تعينوا الشيطان على أخيكم» (رواه البخاري)، فحتى عصاة الأمة هم من أبنائها، علينا أن ننفتح عليهم بخطابنا؛ لنعود بهم إلى الإيمان، لا أن ننفرهم من التدين بانغلاقنا.

ومطلوب أيضًا الانفتاح مع غير المسلمين بخطاب يحبب إليهم الإسلام، ويصحح صورته المشوهة في أذهانهم جراء الإعلام المشبوه، وحملات التشويه المتعمدة لتعاليم الإسلام، والتي يزيدها ويؤكدها في أذهانهم خطاب بعض الدعاة الذي يمتلئ تشنجًا ودعوة لإقصاء الآخر

ورفضه.

٣-تبني المنهج العلمي: فيجب أن يتبنى الخطاب الإسلامي المنهج العلمي، وذلك بأن نتكلم بمنهجية وعلمية، لا أن يكون خطابنا مرتجلًا وغير دقيق في المعلومات، إن غير المسلمين عندما يتحدث عن الحركات الإسلامية أو الإسلام يعد ويدرس ويرصد رصدًا جيدًا، وإن اختلف معنا في التحليل والمنهجية التي يبنى عليها، ولكنه يتعب في جمع مادته، يحكمه في ذلك منهج علمي، فلماذا نعتمد في خطابنا الإسلامي على المعلومة غير الدقيقة، وفي أحيان كثيرة غير الصحيحة؟ معتمدين بذلك على النقل عن الثقة، وحدثني الثقة، والنقل غير الدقيق وغير العلمي.

والقرآن الكريم تبنى منهجًا علميًّا في خطابه وتعامله مع الناس، فليسوا جميعًا في درجة واحدة، إنما لكل أسلوبه، فخطابه مع المشركين غير أهل الكتاب، كما أسلفنا القول، بل نرى القرآن يصنف الناس مستويات، حتى على مستوى الكفار والمشركين، فهناك «الذين كفروا» وهناك «الذين كفروا وظلموا» و«الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله»، ولذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿ليسوا سواء﴾ (آل عمران: ١١٣). فكثيرًا ما نرى في خطابنا الإسلامي قول البعض: الكفر كله ملة واحدة، وهذا الكلام ليس دقيقًا مائة بالمائة خاصة في التخاطب معهم، فالكفر درجات، وأهله كذلك درجات.

وكذلك النبي ﷺ في تعامله وخطابه، فكان خطابه يعتمد على المنهج العلمي والرصد الدقيق، ومعرفة مكانة ودرجة من يخاطب، فخطابه مع الملوك والحكام من أهل الكتاب غير خطابه مع كسرى عابد النار، غير

مطلوب في الخطاب الإسلامي ألاّ يغلّب العاطفة على العقل بل لابد من الجمع بينهما

خطابه مع العرب عباد الوثن، وفي صلح الحديبية نرى كيف قرأ النبي ﷺ الناس قراءة فاحصة، وأعطى كل إنسان مكانته، ووضع طريقة التعامل معه، فعندما جاء الأحابيش، قال لهم ﷺ: إن الأحابيش قوم في قلوبهم رقة، فقدموا الهدي، فقدم الصحابة الهدي، فكف الأحابيش أذاهم عنهم، ورجعوا من حيث أتوا، ولما أرسلت قريش من يتفاوض مع رسول الله ﷺ سأل الصحابة: من القادم؟ قالوا: فلان، قال: ليس بذاك، أي ليس رجل تفاوض، ولما جاء ثالث، سأل ﷺ: من القادم؟ قالوا: سهيل بن عمرو، قال ﷺ: سهل الله عليكم به، فهذه القراءة الدقيقة للأشخاص هي منهج علمي على الداعية المسلم في خطابه أن يتوخاها، وأن يكون ملمًّا بها.

٤-الجمع بين العاطفة والعقل: فمطلوب من خطابنا الإسلامي ألا يُغلب العاطفة على العقل، بل لابد من الجمع بينهما، فلو أننا سرنا وراء العاطفة وحدها لوقعنا في أخطاء لا حصر لها، وليس ذلك معناه إلغاء العاطفة من خطابنا، بل نعني بذلك ضبط العاطفة بالعقلانية والاتزان، فكم من خطيب يفلح في استثارة الجماهير، ويأتي من وراء استثارته ما يودي بمصير الدعوة إلى المجهول، ويفلت الزمام من يده، والسبب في ذلك أن خطابه خطاب عاطفي، يفتقد العقلانية والاتزان اللذين يضعان كل شيء في موضعه.

٥- إشاعة روح الأمل: ومطلوب من خطابنا الإسلامي أن يكون خطابًا ملؤه التفاؤل والأمل، مهما أصاب الأمة من الويلات والنكبات، فالمستقبل للإسلام، ولا يعني حديثنا عن محن الإسلام والمسلمين أن نؤيس المسلمين من نصر الله، لأن ذلك يؤدي بدوره إلى تخاذل المسلمين وتكاسلهم ويأسهم من الإصلاح، فكثيرًا ما نرى خطباء يصورون الواقع للناس على أنه واقع أسود، ولا أمل في إصلاح، ولا رجاء في دعوة، فالكفر في إقبال، والإسلام في إدبار، ولا يأتي على الإسلام يوم إلا والذي بعده شر منه، ولكن المطلوب مع الحديث عن واقع الأمة أن نربط ذلك بوعد الله بالتمكين لهذا الدين وأهله، مما يجعل الناس تنطلق للعمل ولا تخلد للراحة والدعة والخمول واليأس.

٦-خطاب وسطي معتدل: وأخيرًا مطلوب من خطابنا أن يكون وسطيًّا، لا يميل إلى التطرف ولا إلى الجمود، وسط بين الإفراط والتفريط، فالإسلام دين يمتاز بأنه دين وسطي، وقد جعل الله أمة الإسلام أمة الوسطية، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ومن لطائف الآية أنها تتحدث عن وسطية الأمة الإسلامية، وقد جاءت في وسط السورة تمامًا، فسورة البقرة (١٨٦) آية، والآية التي تحدثت عن الوسطية هي الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة، فنحن نريد بناء على ذلك خطابًا وسطيًّا، لا يجنح إلى الإفراط ولا إلى التفريط، يزن الأمور بميزان الإسلام الوسطي.

والأمر يحتاج إلى مراجعة وإلى إعادة تخطيط، وتعميق الاطلاع على تراثنا الإسلامي، بحيث ينظر الداعية بعين على التراث الإسلامي، وعين على الحاضر ليستشرف به المستقبل.

لغة وأدب

رفقًا بنا معشر الأدباء والنقاد.. رفقًا!

تَلُفُّ كثيرًا من الكتابات النقدية والأعمال الأدبية المتأثرة بالثقافة الغربية موجات متلاحقة من الغموض، ما قد يشمُّ منه رائحة التعمد والقصد، وكأنه قد ساد بين تلك الأوساط أنه كلما زاد التعقيد ارتقى العمل إلى قمة الجودة والإتقان، وهذا لعمري في القياس شنيع!

والمرء حينما يحاول سبر أغوار تلك الأعمال، تحول دون ذلك المصاعب والأهوال، إذ تدلهم الخطوب بمصطلحات خاصة تكاد تصل إلى حد الرموز والأحاجي، وبعبارات وألفاظ أشبه بخيوط كثيفة تداخلت أطرافها في أنصافها فتعقدت فأصبحت عصية الفض (الفهم).

لذا تتطلب هذه الكتابات النقدية، فضلًا عن الأعمال الأدبية، مذكرات تفسيرية مصاحبة! وربما كان النص الأصلي عذبًا رقراقًا فيُنْقد بشيء من هذا فيستغلق! ولو قرأ مبدعُ النصِّ نفسُه ذلك النقد ما وعى شيئًا! قد يقال العيب في قصور أفهامنا، وقد يكون ذلك صوابًا، لكن إليكم هذه الواقعة:

يروى أن كاتبًا ساخرًا سطَّر في ساعة واحدة من الزمن مجموعة أوراق لا تستقيم فيها جملة في سياق مع أختها، ولا تنتظم في ذاتها، خالية مما سوى الكلمات الممزق تركيبها.. لا رسالة ولا دلالة ولا أداء فنيًا ولا ولا... إلى آخر ما تعارف عليه أهل هذه الصناعة، وزعم أن هذا العمل ترجمة لرواية غربية، وأرسلها إلى إحدى المؤسسات الأدبية الناشرة التي بعثتها إلى طائفة من النقاد ليبدوا رأيهم فيها، بعد أن اختارت طائفة من ألمع نجوم النقد عندها، فإذا التعليقات مفجِّرة لضحك الكاتب الساخر، دالة أيما دلالة على ما قد انحطت إليه سوق الأدب والنقد، فمنهم من قال: «إن هذه الرواية تعبر بحق عن مأساة الإنسان الغربي»، ومنهم من قال: «هذه هي الدراما»... ثم فجر صاحب الترجمة المزعومة القنبلة وسط ذهول الجميع وتصبب عرق النقاد العباقرة... ولا عزاء للنقد!

رفقًا بنا معشر الأدباء والنقاد.. رفقًا!

المحرر

من ضروب البلاغة والبيان العربي المعجز

الاحتراس

د.رفيق حسن الحليمي
كاتب وأكاديمي فلسطيني

■ **تعريفه:** هو عند البلاغيين «الاحتراس» وعند المفسرين «التقييد» (١)، وكلا المصطلحين يؤدي الهدف، ويحقق النتيجة، ويظهر ما في الأساليب من ملامح بيانية معجزة، اختص بها اللسان العربي شعرًا ونثرًا.

وهو «أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه» (٢)، كأن تكون عبارة الشاعر أو الكاتب محتملة للطعن أو الذم أو الوقوع في مظنة الالتباس في الفهم أو الاعتقاد الفاسد، ولدفع ذلك كله يأتي الشاعر- زيادة على قوله- بكلمة أو جملة يتمم بها المعنى أو يقيده فتتجلي بها مقاصد الكلام.

■ **بين الاحتراس والجمل المعترضة:** هو أقرب شكلًا لا مضمونًا إلى الجملة المعترضة، فهو كما هي جملة قد توضع عند الكتابة بين قوسين أو بين شرطتين، غير أن مضمون الاحتراس مخالف للجملة المعترضة، فهو محصور في معنى الاحتراس من الزلل أو الطعن أو مظنة الفهم الخاطئ، وهذا في حد ذاته غاية يتغياها الكاتب، أما الجملة المعترضة فهي جملة عارضة وبدونها لا يختل المعنى، أما جملة الاحتراس فهي ضرورية ولازمة وبها تتجلي مقاصد الكلام وبدونها يفسد المعنى، وغالبًا ما تكون الجملة المعترضة للدعاء أو للإشارة إلى معنى آخر يريده الكاتب، مثل: «وكان - إلى جانب ذلك - حسن الخط جيد الضبط» فقوله: (إلى جانب ذلك) لا يختل المعنى إذا حذفت، ومنه قوله ﷺ: «فاظفر بذات الدين - تربت يداك»، ومنه قول النابغة الذبياني:

أتاني- أبيت اللعن- أنك لمتني
وتلك التي أهتم منها وأنصب

فجملة (تربت يداك) و(أبيت اللعن) معترضة للدعاء.

■ **أمثلة للاحتراس من الشعر:** منها قول عدي بن الرقاع (٣):

فسقى ديارك- غير مفسدها-
صوب الغمام وديمة تهمي

أراد الدعاء للديار بالسقيا والغيث، فذكر (صوب الغمام وديمة تهمي) أي: بمطر يتصبب بغزارة وديمومة، وفي هذا المعنى مطعن على الشاعر لأنه قد يفهم من قوله أنه دعا على الديار بالخراب والدمار ولا يدعو لها بالغيث لأن كثرة المطر سبب في الخراب وهو ما لا يقصد إليه فأتي- للاحتراس- بعبارة (غير مفسدها) التي دفعت عنه مظنة الطعن وأبرزت المعنى الحقيقي الذي قصد إليه وهو الدعاء للديار بالسقيا والغيث العميم، ولولا هذه العبارة لظل المعنى ملتبسًا محتملًا للطعن والنقد.

ومنها قول الشاعر (٤):

ومقام الغريب في بلد الذ
ل - إذا أمكن الرحيل- محال

الأصل في المعنى: مقام الغريب في بلد الذل محال، لكن هذا المعنى يحتمل الطعن، فقد يقول قائل: ولماذا المقام إذن ولماذا يكون محالًا؟ فاستدرك الشاعر دفعًا للالتباس بعبارة (إذا أمكن الرحيل) التي أبرزت المعنى الذي قصد إليه وأزالت كل لبس، فأصبح المعنى بعد الاحتراس عذرًا لمن لا يستطيع الرحيل، ولومًا وتقريعًا لمن يستطيع الرحيل ويقدر عليه ولا يرحل.

ومنها قول الآخر (٥):

فلا تأمنن الدهر حرًا ظلمته
فما ليل مظلوم- كريم- بنائم

فقوله (كريم) احتراس وتتميم للمعنى، لأن اللئيم الدنيء يغضي عن العار وينام عن الثأر، بخلاف الحر الكريم الذي يأبى الضيم وينهض لدفع الظلم عنه ولا ينام على ضيم أو ظلم لحق به حتى يحقق مراده.

ومنها قول الخنساء (٦):

يذكرني طلوع الشمس صخرًا
وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي
على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي
ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

فقولها: (يذكرني طلوع الشمس) قد يفهم منه أنها لا تذكره إلا عند الشروق، فأتمت المعنى- احتراسًا- بقولها (وأذكره لكل غروب شمس) الذي أفاد أنها تذكره أيضًا عند الغروب، فاكتمل المعنى في مبالغة طريفة كشفت عن مدى حبها لأخيها وحسرتها عليه وتأسيها على فقده بتذكره صباح مساء، وقد سئل الأصمعي (عالم لغوي ت ٢١٧هـ): لماذا خصت (طلوع الشمس وغروبها) دون أثناء النهار، فقال: لأن وقت الطلوع وقت الركوب إلى الغارات ووقت الغروب وقت قرى الأضياف، فذكرته في هذين الوقتين مدحًا له بأنه يغير على أعدائه وأنه يقري أضيافه.

ومنها قول ذي الرمة (٧):

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى
ولا زال منهلًا بجرعائك القطر

فقوله (ألا يا اسلمي) احتراس لطيف وضروري، قيد به المعنى الذي يفهم منه أنه دعا على الديار باستمرار المطر الغزير عليها (ولازال منهلًا القطر)، لأنه كلمة (لا زال) تفيد الدعاء بخلاف (مازال) التي تعني: ملازمة الخبر المخبر عنه (٨)، غير أن عبارة (ألا يا اسلمي) دفعت اللبس وأنقذت البيت من الطعن، وهذا البيت من الشواهد النحوية على نحو ما بينا.

ومما يحضرني البيت المشهور:

بلادي- وإن جارت علي- عزيزة
وأهلي- وإن ضنوا علي- كرام

فالأصل في المعنى: (بلادي عزيزة وأهلي كرام) وهذا معنى عام لا يميز الشاعر عن غيره في حب البلاد والأهل، لذلك احترس من مغبة هذا الفهم فزاد المعنى بقوله: (وإن جارت علي- وإن ضنوا علي) ليجعل من هاتين العبارتين اضافة خاصة به تميزه عن سواه، فهو رغم ما يلاقيه من ضن وعنت تبقى بلاده عزيزة عليه، ومهما يلاقي من جور وظلم يبقى أهله كرامًا عنده، وتتجلى القيمة الجمالية في هذا الاحتراس الذي جعل المحك الحقيقي للحب يكمن في احتمال كل شيء في سبيل الأهل والوطن.

■ **أمثلة من النص القرآني:** في القرآن الكريم أمثلة متعددة للاحتراس، وقد سماه النسفي في تفسيره (التقييد) تأدبًا مع كلام الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء: ٤٨)، فالشرك- والعياذ بالله- من أعظم الكبائر، وهو خطيئة لا يغتفر لها ويغتفر لسواها (ما دون ذلك)، وتأتي عبارة (لمن يشاء) لتقييد المغفرة بإرادة الخالق وحده الذي يطلع على القلوب الصادقة في توبتها، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير (٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن- كأن لم تكن بينكم وبينه مودة- يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾ (النساء: ٧٣)، فقد كشفت هذه الآية سلوك المنافق الذي ينتظر النتائج، فإذا انتصر المسلمون وأصابهم فضل من الله تمنى أن لو كان معهم ليفوز كما فازوا، واذا اصابتهم مصيبة حمد الله قائلًا (قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا)، وتأتي عبارة (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) لتبين أن الصلة بينكم وبينه تقوم من وجهة نظره على المصلحة والمنفعة، وهذا تقييد جعل من هذا المنافق في موقع الانتهازي الذي لا تهمه الا مصلحته بعيدًا عن الجماعة (١٠).

ومنه قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (الزخرف: ٣٩)، فقوله: (ولن ينفعكم) تقييد للمعنى، بحيث لا يفيدهم ولن يواسيهم اشتراكهم في العذاب مع من أغواهم من شياطين الإنسان والجن، لأن الاشتراك في المصيبة وفي عموم البلوى يخفف منها، فأعلمهم الله أن أول ما يعاقبهم به أنه لا يلهمهم التأسي باشتراك من أغواهم معهم في العذاب بسبب ظلمهم وكفرهم (١١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ (البقرة: ٢٢٣)، فكلمة (أنى) تحتمل معنى المكان ومعنى الكيف، فأتى- لإزالة الالتباس والفهم المخالف للفطرة- بكلمة (حرثكم) أي موضع الحرث فيهن، وهو مجاز لغوي، شبههن بالمحارث التي تنبت الزروع، وهن يلدن البنين، وقد حصرت كلمة (حرثكم) وبينت الموضع الذي يتأدى به الاستيلاد، وهو موضع الحرث لا الفرث (١٢).

● خاتمة: لعلنا بعد هذا العرض المفصل ندرك أن تكوين الجملة لا يتأتى دون مراعاة عدة جوانب، منها:

■ المتلقي الذي يستمع أو يقرأ الجملة، ولابد للكاتب من مراعاة الفروق الفردية بين المتلقين، لذلك لابد من وضوح العبارة ووضوح الدلالة بإزالة مظنة الالتباس في الفهم، وقد عد البلاغيون هذا الجانب من مقتضيات البلاغة.

■ اللغة، وهي بحر واسع، لابد للكاتب من معرفة اللغة ودلالات المفردات بدقة، فليست اللغة مجرد مجموعة من المفردات الصماء بحيث يختار الكاتب مفرداته بطريقة عشوائية اعتباطية، فلكل كلمة حقلها الدلالي، وتأتي عملية إدراك الدلالة اللغوية من الأولويات التي ينبغي أن يتمتع بها الكاتب حتى تكون لغته من الوضوح بمكان تجعله قريبا من القلوب والأذهان.

الهوامش

١- ويسميه البلاغيون أيضًا التتميم، ويشترطون أن يقع في وسط البيت، فإذا جاء في آخره سموه التذييل أو التتبيع، انظر: أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر ص٥٤، ط الأولى- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، وأما «التقييد» فهو عند المفسرين، نجده في مواضع من تفسير النسفي تحاشيًا لكلمة الاحتراس لما في دلالتها من معنى لا يليق مع النص القرآني.
٢- البديع في نقد الشعر ص٥٥.
٣- شاعر كبير من أهل دمشق كان معاصرًا لجرير والفرزدق وكان مقدمًا عند خلفاء بني أمية مداحًا لهم، توفي عام ٩٥هـ.
٤- البديع في نقد الشعر ص٥٦.
٥- نفسه: ٥٥.
٦- الخنساء: تماضر بنت عمرو، من بني سليم من مضر، عاشت أكثر حياتها في الجاهلية، وأدركت الاسلام، وفدت على الرسول ﷺ مع قومها فاستنشدها وأنشدته من شعرها وكان يقول لها: هيه يا خناس، كان لها أربعة أبناء حرضتهم على الجهاد فاستشهدوا في معركة القادسية، ولها في ذلك كلمتها المشهورة: «الحمد لله الذي شرفنا بقتلهم».
٧- البديع في نقد الشعر ص٥٦ (الجرعاء: الأرض الرملية لا نبت فيها).
٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ ص٢٦٦ط ٢٠ دار التراث - مصر ١٩٨٠م.
٩- انظر تعليل ذلك: تفسير النسفي ج١ ص٢٣٠.
١٠- تفسير النسفي ج١ ص٢٣٥-٢٣٦.
١١- البديع في نقد الشعر ص٥٥، تفسير النسفي ج٤، ص١١٩.
١٢- البديع في نقد الشعر ص٥٥، تفسير النسفي ج١ ص١١١.

الدور التأريخي للعنصرة في النتاج الخطابي

عامر أحمد عامر

يستطيع المتتبع للنتاج الخطابي للشيخ محمد حسان أن يقف على مرحلتين مهمتين، تأريخًا بعنصرة الموضوع التي تعد أبرز ما يلفت انتباه المستمع لأحاديث الشيخ بصفة عامة، وخطبه بشكل خاص، لتكون المرحلة الأولى هي «ما قبل العنصرة» والأخرى هي مرحلة «العنصرة»، ولن نتوقف كثيرًا أمام المرحلة الأولى، إذ تمثل الأخرى، بحق، اكتمال النضج الفني في بناء الخطبة عنده، ومغايرتها لغيرها من الخطب التقليدية المنتشرة.

المادة العلمية

يعتني الشيخ حسان بمادته العلمية عناية تسترعي الانتباه، فالأحاديث مخرجة تخريجًا دقيقًا، ليس بمتعال على المتلقي البسيط، ولا بمجحف لحقّ طالب العلم في الوقوف على مصدرها، والحكم عليها صحةً وتضعيفًا، إذ يشير الشيخ في كثير من الأحيان إلى الروايات المتعددة للحديث الواحد، ويوضح ما قد يعتري بعض الروايات أو الأحاديث من ضعف، ملمحًا إلى ما يحتاج إليه السياق أحيانًا مما يعرف بعلم الجرح والتعديل، وهو علم الحكم على رجال السند. ومواطن الاستشهادات كلها تقريبًا معزوة إلى مصادرها، ومنقولة بأمانة علمية جلية، وكذلك آراء المفسرين وأقوال العلماء والقصص ...إلخ.

وكثيرًا ما يطعم الشيخ حديثه بالقصص المأخوذ من واقع الحياة المعاصرة، والذي يحدث للشيخ شخصيًا أو يروى له من ثقة، ولا يخفى ما لهذا النوع من القصص من خلق ألفة بين الشيخ والسامع، فضلًا عن المتابعة الحثيثة لمجريات القصة وما يتركه القصص عمومًا من تأثير في النفس.

العنصرة

دأب الشيخ حسان على عنصرة موضوعه وذكر العناصر مجتمعة في البداية ثم التحدث في كل عنصر على حدة، في ربط عبقري بين هذه العناصر يبرزه ذلك الانتقال التلقائي الذي يجده المستمع حتميًا ومنطقيًا في كثير من الأحيان، فما إن ينتهي العنصر حتى تجد الذهن يقفز مباشرة إلى العنصر الذي يليه.

وتعد هذه العنصرة سلاحًا ذا حدين، فهي مع محافظتها على التسلسل التلقائي أو المنطقي الذي أشرنا إليه، تصيب الوحدة الموضوعية بالتفكك والضعف، إذ إن كل عنصر يعد وحده موضوعًا مستقلًا وإن صبت كلها في معين واحد أو تحدثت عن شيء بذاته، إذ من المفترض أن تكون هذه العناصر حاضرة في ذهن الخطيب دون أن يصرح بها، على أن يسهِّل على المتلقي تلمسها والوقوف عليها دون خلط أو اضطراب في عرضها.

وقد اختفت هذه العنصرة كثيرًا في المرحلة المتأخرة جدًا من خطاب الشيخ، وهذا يشي بأن أداءه في نمو متلاحق وفي تطوير مطرد.. زاده الله هدى وبصيرة، ونفع به وبعلمه (١).

العقل والعاطفة

ويتنوع حديث الشيخ بين العقلانية والعاطفية، فهو تارة هادئ يخاطب العقل بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، وتارة أخرى يخاطب القلوب ويهيج العواطف فترى المسجد أو المجلس كله وقد تحول إلى بكاء ونحيب، وهذا إنما يعكس ما أوتي الشيخ من إخلاص في دعوته إلى ربه سبحانه وتعالى، يؤكده النَّبْر والحدة والانفعال التي يتسم بها أداؤه الخلاب المميز، إذ تشكل عناصر الإلقاء هذه قناة دائمة تعبر خلالها الأفكار والأحاسيس في خطاب الشيخ.

اللغة

ربما كان من المفيد في الحديث عن اللغة عند الشيخ حسان الوقوف قليلًا أمام المرحلة الأولى التي سبق أن أشرنا إليها، وهي مرحلة ما قبل العنصرة، لا لشيء سوى أن يعلم الخطباء أن إتقان اللغة في الخطابة والحرص عليه ليس شيئًا عويصًا، فالشيخ في هذه المرحلة المتقدمة من نتاجه الخطابي كثيرًا ما كان يلحن دون التفات أو تصحيح لذلك اللحن- كما نرى في مرحلة النضوج- وعن هذه المرحلة يقول الشيخ في أحد البرامج إنه كان حريصًا على أن يحضر الخطبة أو يسمعها نفر من أهل اللغة ثم يلفتوا انتباهه إلى ما بها من أخطاء لغوية، فيقوم بتداركها في المرات المقبلة، بل معرفة القاعدة المتعلقة بهذا الخطأ.

أما في مرحلة العنصرة فليس ثمة أخطاء تذكر، بل يتجلى في خطاب الشيخ تمكن عجيب من اللغة وتوظيفها، وإذا وقع خطأ فسرعان ما يتداركه في التو واللحظة، بيد أن هناك

باحث لغوي

حرصًا، وإن كان قليلًا، من الشيخ على السجع الذي قد يأتي متكلفًا.

وثمَّ خلل جلي يتسرب إلى البناء الفني للخطبة عند الشيخ حسان، ليصيبه بشيء من الوهن، وهو الاتكاء على الإنشائية والتعبيرية أحيانًا، ما يبدو كأنه مجرد حشو لبضع دقائق، ويشكل فراغات في جدار الخطبة تدفع المتلقي إلى التوقف عن المتابعة خلال هذه الدقائق، وليس ذلك بكثير عند الشيخ، ولعل هذا ما يجعل القليل منه ملاحظا.

كما أن التقليدية وغياب الحيل الفنية في فن الخطابة كثيرًا ما يمسان بناء الخطبة عند الشيخ، لتصبح النتيجة النهائية للخطبة مجموعة من النصوص والتعليق عليها أو شرحها، ومع أن هذا من صميم عمل الخطيب، غير أن هنالك دروبًا أخر ومسالك شتى تُنتهج لبلوغ هذه الغاية، إذ ينبغي أن يُحصِّل المستمع من الخطبة ما ينمي ذوقه وحسه وعقله وفكره، ويغذي روحه ووجدانه، ونزر يسير من هذا يتحقق بالشكل التقليدي للخطبة، لا سيما أن النفس البشرية كثيرة الملل، تواقة إلى كل جديد، وهذا الجديد هو مهمة الحيل الفنية.

والمعذرة أن افتقرت هذه الأسطر إلى الشواهد والأدلة من خطب الشيخ على ما توقفت عنده، وقد دفعنا إلى هذا ما يتاح لهذا المقال من مساحة قليلة، وأن أكثر ما أشرنا إليه يكاد يتكرر في خطب الشيخ كلها تقريبًا، وليس بحاجة إلى جهد كبير لإخراجه.

الهوامش

(١) أضيفت هذه الفقرة إلى المقال بعد الاستماع إلى خطب حديثة للشيخ قد خلت من العنصرة ورأيت من الإنصاف إثباتها.

موقف.. وقصيدة وحبٌّ لا يدوم

عبدالعزيز العسكر

كان واصلاً لا ينقطع عن محبيه وأنا واحد منهم.. ثم فقدته زمنا وأرسلت إليه الأبيات الثلاثة الأولى.. فرد علي بأبيات لا تشفي غليلا ولا تقنع محبًا.. فكتبت بقية الأبيات:

لا ليس منّي من جفا أوطاني ... بذل النفيس لنا بكل مكان
وأضاعني في غمرة النِّسيان ... أنا ما فقدت سوى رسول هداية
ما كنت أحسب أنّ شهمًا مثلكم ... رفض الخضوع لمنطق «العلماني»
سيبيعني، وبأرخص الأثمان ... قال الحقيقة واهتدى بمنارها
أوهكذا تنسى شعوري نحوكم ... وأصاب منها موطن الإحسان
ونصيحتي في السِّر والإعلان ... أنا ما فقدت سوى صديق مخلص
الودّ يبقى إن تجَمَّع شملنا ... أعددته لحوادث الأزمان
والصَّحب للإنسان عمرٌ ثاني ... أنا ما فقدت معاشرًا قد أعرضوا
مهلًا أخيَّ ففي بعادك فرصةٌ ... وتشاغلوا بثقافة «الإعلان»
لمكائد في «مرقص» الشيطان!! ... أنا ما فقدت سوى الذي سعدت به
لولا غلاؤك ما كتبت رسالة ... أوطاننا، وتقدمت بأمان
ولما ذكرت لشخصكم أشجاني ... أما الشباب الغارقون بحمقهم
ولقد منحتك من ودادي خالصا ... في حمأة التقليد والألحان
وبمثله في سابق تلقاني ... العابدون اللاعبون بدينهم
قف يا «أسامة» والتفت لمعاشر ... المعجبون بعالم الهذيان
باعوا المحبة في مزاد هوان ... فلقد عرفت طريقهم ومصيرهم
تخذوا المصالح رابطا لودادهم ... وبه أتاني محكم القرآن
وتشدقوا بالعلم والعرفان ... اهجر سبيل الغافلين، وخلهم
إن المصالح لا تقيم علاقة ... واسلك سبيل العالم الرباني
لمحبة في شرعة الرحمن ... وإذا مررت بمجلس من لهوهم
إن المحبة غاية نسعى لها ... أعرض وقل إن الإله دعاني
وبها نقيم دلائل الإيمان ... لمجالس مشهودة قد زُينت
أنا ما فقدت سوى حبيب صالح ... بفضائل الآيات والفرقان
أفضاله كالغيث في الجريان ... تحيا الزروع إذا توالى سقْيُها
أنا ما فقدت سوى جواد نادر ... وتموت بالآفات والديدان

شاعر سعودي

قصيدة لا تصح نسبتها إلى الشاعر نزار قباني

د.محمد إقبال عروي

حمل إلينا باب «لغة وأدب» من مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» في عددها (٥٤٣)(١) مقالا بعنوان «نزار قباني في مدح الرسول ﷺ» للأستاذ عبدالهادي الصافي، وهو عبارة عن سياحة وجدانية دلالية في قصيدة مطلعها:

عز الورود.. وطال فيك أوام
وأرقت وحدي والأنام نيام

وتمثل الهدف من المقال الإشادة بالقصيدة وسلكها في تيار شعر الاعتذار والتوبة والاستعطاف، وإبراز الحالة النفسية للشاعر وهو يأمل في أن يجد القبول بين يدي الرسول الكريم بعد رحلة طويلة من الضياع وفقدان البوصلة الهادية.

ولما انتهيت من قراءة المقال، رجعت بي الذاكرة إلى زمن بعيد يعود إلى ثمانينيات القرن الماضي، حيث كنت اقترحت، في حينه، على بعض الشباب العكوف على تتبع القصائد التي قالها رواد شعر الحداثة والتيارات الفكرية المغايرة في مدح الرسول ﷺ، بغية إبراز إنسانية الرسول ﷺ وأثره في وجدان أهل الحداثة، اعترفوا بذلك أم كانوا له منكرين، وكنت مكنتهم من قصيدة رائعة للشاعر يوسف الخطيب في مدح الرسول الكريم مطلعها:

إني لحاسر رأسي غير منتعل
حاد لك التوق لم أبلغ ولم أصل(٢)

وهي قصيدة طويلة في ستة وستين بيتا، نشرتها مجلة «الأمة» التي كانت تصدر من قطر، وجعلها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من ضمن مختاراته في قصائد مدح الرسول ﷺ (٣).

وكنت أشرت على بعض الشباب البحث عن قصيدة للشاعر بدر شاكر السياب في مدح النبي الكريم تقع في حوالي أربعين بيتا بعنوان «مولد المختار»، يقول في مطلعها:

دموعُ اليتامى في دجى الليل تقطر
ونوحُ الثكالى عاصفٌ فيه يصفر

وأهتبل هذه المناسبة لأتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ الشاعر طلال العامر، فقد أمكنه البحث عن قصيدة السياب تلك، وإدراجها ضمن القصائد التي جمعها في كتابه «محمد صلى الله عليه وسلم.. ملهم الشعراء» (٤).

وفي هذا السياق، ذكر لي بعض الشباب أن لنزار قباني قصيدة في الموضوع.

ومنذ ذلك الحين والنفس متشوفة إلى دراسة القصيدة وتحقيق النسبة، لكن شواغل صارفة حالت دون إنجاز المأمول.

وعندما قرأت المقال المنشور بمجلة «الوعي الإسلامي»، حرصت، من جديد، على قراءة القصيدة المنسوبة إلى نزار قباني، رحمه الله وتجاوز عنه، ولمست أن في القصيدة خيطين يمكن أن يكونا مدخلا للحكم بأن القصيدة لا تجوز نسبتها إليه.

خيوط مساعدة على الشك في نسبة القصيدة إلى نزار قباني

فأما الخيط الأول فهو استعمال ألفاظ من معجم غريب اللغة، والقارئ لشعر نزار يدرك أنه بعيد عن ذلك المعجم. فقد ورد في القصيدة:

عز الورود.. وطال فيك أوام
وأرقت وحدي والأنام نيام
مدحوك ما بلغوا برغم ولائهم
أسوار مجدك فالدنو لمام

فلفظ «أوام» و«لمام» من الغريب، ولم يعهد هذا في شعر نزار.

وأما الخيط الثاني، فهو أن القصيدة نقد لاذع لأوضاع المسلمين، والغالب في شعر نزار السياسي توجهه لنقد العرب وحكامهم، ولم يشتهر عنده نقد المسلمين، يظهر هذا جليا في قصائده، وخاصة: «هوامش على دفتر النكسة»، و«تقرير سري جدا من بلاد قمعستان»، و«لماذا يتعب متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان».

هذا إضافة إلى نظم القصيدة نفسه، فقد وردت على النمط الخليلي (بحر الكامل)، ومع أن نزار قباني نظم في الشكل الخليلي، إلا أن الغالب على شعره أنه خاضع لشعر التفعيلة.

ويمكن أن ينضاف إلى ذلك طبيعة الصور الشعرية، فغير معهود في شعر

مستشار في وزارة الأوقاف الكويتية

نزار توالي الصور التشبيهية والاستعارية بهذا الكم المتوافر في القصيدة المذكورة.

فهذه بعض الخيوط التي يمكن أن تتحول إلى مداخل لمعالجة قضية نسبة القصيدة إلى نزار. وهو ميدان خصب يذكر بجهود علماء النقد الأدبي قديما ومساعيهم الحميدة لتحقيق نسبة العديد من القصائد إلى أصحابها الشرعيين من أمثال ابن سلام الجمحي والسجستاني والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم كثير...

ووصلت شهرة نسبة القصيدة إلى نزار حدا أن الناس صاروا يتداولونها في رسائلهم الإلكترونية، ومنتدياتهم الحوارية، ويشيدون بها وبقائلها الذي عبر، بنظرهم، عن صادق توبته وجميل أوبته إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد ألمح الأستاذ عبدالهادي الصافي في مقاله المذكور أعلاه إلى أنه باستحضار الشعر السياسي لنزار قباني الذي ينم عن « شعور ديني غامض أو نحوه من تقدير واعتزاز بالماضي الإسلامي المجيد، وذكر للمدن والعواصم الإسلامية التي لها دور كبير في التاريخ الإسلامي، وتوظيف للشخصيات الإسلامية... وتحسر دائم على ضياع الأندلس والقدس والحضارة العربية الإسلامية»(٥).. باستحضار هذا الشعر، تبين له «أن القصيدة من شعر نزار الذي لا يخطئه أحد»(٦). وقد ذكرت مجموعة من الخيوط التي تقوي عدم صحة نسبة القصيدة إلى نزار، وتضعف من احتمال نسبتها إليه لمجرد بروز الشعور الديني في بعض قصائده.

وليس هذا تهوينا من ذلك الشعور، أو استعظاما لاحتمال أوبته، لأننا نؤمن بأنه لا نزار قباني، غفر الله له وتجاوز عنه، ولا غيره من شعراء العربية والمسلمين بقادر على أن يكون خارج دائرة الإسلام، فكلهم مشمولون بقدر الله وحكمته

القصيدة للشاعر السعودي يحيى توفيق حسن وليست لنزار

ورحمته وعدله، وكل منهم يأخذ من رحيق هدايات الدين بقدر تعامله معه، وما التوبة إلا علامة قوية على رحمة الله بعباده، ولم ينصب الله النقاد حكما على عقائد الشعراء ومواقفهم الفكرية.

الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن هو ناظم القصيدة.

وفي يوم ٣ ديسمبر من سنة ٢٠٠٦م، نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها: (١٠٢٣٢) مقالا لصاحبه محمد صادق دياب بعنوان: «القصيدة اللغز بين نزار وتوفيق»، كشف فيه حقيقة الأمر، وأعلن أن النسبة الحقيقية للقصيدة إنما هي للشاعر السعودي يحيى توفيق حسن.. يقول: «وفي غمرة الضجة التي أثارتها هذه القصيدة، ظهر الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن ليقول للجميع إن هذه القصيدة قصيدته، وإنها موجودة في دواوينه منذ ١٣ سنة، كما أنها نشرت مرات في أكثر من صحيفة سعودية دون أن يلتفت إليها أحد» (٧).

والشاعر يحيى توفيق حسن من شعراء المملكة العربية السعودية، ولد سنة ١٩٢٩م بجدة، له مجموعة من الدواوين، منها: «أودية الضياع» و«سمراء» و«افترقنا يا زمن» و«ما بعد الرحيل» و«حبيبتي أنت» (٨).

والمقارن بين قصيدة «صلى عليك الله» وبين شعر يحيى توفيق يلمس العلاقة القوية بينهما على مستوى اختيار المفردة وصياغة الصورة وتشكيل الإيقاع، مما لا يدع مجالا للشك في صحة نسبة القصيدة إليه.

وإزاء هذه النتيجة، فالأمر يستدعي صياغة بيان ينشر في العديد من المواقع الإلكترونية والمنتديات الحوارية لفصل المقال فيما بين القصيدة ويحيى توفيق من الاتصال.

وأشير، هنا، إلى أن الشبكة العنكبوتية تتضمن موقعا محترما لرابطة أدباء الشام (HYPERLINK «http://www.odabasham.net» www.odabasham.net)، وقد لاحظت وجود القصيدة المنسوبة خطأ إلى نزار قباني فيه، ولعل الوضع يقتضي حذفها منه، أو الإبقاء عليها مع تصحيح النسبة إحقاقا للحق ونشرا للعدل.

والله الموفق للفلاح.

الهوامش

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الكويتية، عدد:٥٤٣، ذو القعدة ١٤٣١هـ، نوفمبر٢٠١٠، ص: ٥٤.

٢- مجلة «الأمة» القطرية: قصيدة الطريق إلى محمد ﷺ، يوسف الخطيب، عدد:٥٤، مارس ١٩٨٥.

٣- «مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول ﷺ»، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار المعرفة، دمشق، ط:١، ١٩٨٨، ص: ٧٠-٧٥.

٤- « محمد ﷺ... ملهم الشعراء»، الأستاذ طلال العامر، سلسلة «روافد»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد:٣١.

٥ - مجلة «الوعي الإسلامي»، مرجع مذكور، ص:٥٥.

٦- نفسه.

٧ - www.aawsat.com

٨:- انظر الموقعين الآتيين HYPERLINK «http://www.azaheer.com/vb/showthread.php?t=١٧٥٥٨» http://www.azaheer.com/vb/showthread.php?t=١٧٥٥٨

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh٢erdoWhat=ssd shid=٥٨٣

ماذا ينبغي علينا تجاه لغتنا العربية؟

ليلى محمد

أقام المجتمع العلمي الفرنسي الدنيا وأقعدها من أجل وجود كلمة انجليزية في لغته تسللت إبان الحرب العالمية، وفرضت فرنسا- أخيرًا- وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة على من يترخص في ذلك ويستخدم ألفاظًا من لغة أجنبية!

وثمة سؤال (موضوعنا): «ولكن ماذا ينبغي علينا تجاه اللغة العربية؟ لغة الدين الطاهر، والأدب الباهر، وديوان الفضائل والمفاخر، لغة التنزيل، ووعاء الفكر الإسلامي، والشريان الذي يربط بين أواصر الأمة، وأحد أسس الوحدة العربية ودعامتها، والأداة الحية للأدب والثقافة العربية، وعامل تجميع المسلمين، وتوحيد صفوفهم وقيام روابط قوية بينهم.

هذه اللغة التي كادت أن تتغلب اللغات الأجنبية والعامية عليها لدى ملايين المسلمين، ولاسيما مع تفشي الجهل من حيث الاهتمام باللغة العربية والجهل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ لدرجة أننا نجد بعض الأفكار التي ترى ان اللغة العربية اختفت واختفت حروفها وقواعدها، نظرًا للواقع المؤلم الذي يشهده تاريخ المسلمين الطويل من انحسار اللغة العربية وضعف الشعور باحترامها وتقدير منزلتها، ولاسيما مع ضعف الحافز الإيماني، والوعي الإسلامي بضرورة تعلمها، وانتشار الأخطاء اللغوية في بعض الصحف والمجلات والكتب.

إن هذه اللغة تتميز بمنزلة كبيرة، وتتمتع بخصائص منحتها قدرة عظيمة على الصمود أمام التحديات حية قوية، بعض هذه الميزات تنبع من إمكاناتها الذاتية التي وهبها الله لها من خلال

اللغة العربية جزء من منهاج الله وفقرة من بند المنهاج الرباني

مراحل تاريخها ونموها، ومنها نعمة الله عليها وعلى المسلمين وعلى الناس كافة حين اختارها لغة رسالته إلى عباده ولغة دينه، وتعهد بحفظ دينه وقرآنه وسنة نبيه ﷺ.

ونزل الوحي الكريم من عند الله باللغة العربية، لتستقر بها قواعد الإسلام وآيات الكتاب المجيد وأحاديث الرسول ﷺ.

وجاء القرآن الكريم ليبين منزلة اللغة العربية من خصائص منهاج الله وأنها منه: ﴿الر. تلك آيات الكتب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ١-٢).

هذه اللغة تواجه خطرًا يتهددها ويهدف إلى إضعافها من خلال نشر لغات أجنبية وتغذيتها، وعزل العربية في معظم ديار المسلمين، واللجوء إلى ترويج الدعايات التي تدعو لتغيير حروف اللغة العربية وتغيير قواعدها وأسس بنيانها وبلاغتها.

والأخطر من ذلك، إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن سنة نبيهم ﷺ، لأن غياب اللغة العربية أو ضعفها يضعف صلة الإنسان بمنهاج الله أو على الأقل يجعلها مضطربا، وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله، وإذا ضعف التلقي من منهاج الله ضعف الإيمان والتوحيد، وبالتالي يرتبط هذا الخطر بقضية مصيرية في حياة الإنسان، إنها قضية الإيمان والتوحيد وتلقي رسالة الإسلام، قرآنا وسنة تلقيًا أمينًا دقيقًا، وأي تنازل عن اللغة العربية إنما هو التنازل الذي يؤدي إلى هجران الكتاب والسنة، والتنازل عن الدين وعن البلاد، لكي تفرق الأمة الإسلامية في ظلام الفواجع والمآسي.

لذا من واجب كل مسلم أن يسعى لدراسة اللغة العربية وإتقانها في حدود وسعه وطاقته حتى يُحسن التلاوة ويصدق في التدبر.

وأما مسؤولية الدعوة الإسلامية والدعاة وعلماء المسلمين وأولي الأمر منهم فتكمُن في وضع النهج والخطة لمعالجة الواقع الحالي، لإعادة اللغة العربية إلى منزلتها، وهذا النهج يظل قابلًا للنمو والتطور كلما صدقت النية والعزيمة.

ومن ملامح هذا النهج:

- اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله، وفقرة من بند المنهاج الرباني.
- لا يجوز التحدث في منهج لقاء المؤمنين إلا باللغة العربية الصحيحة ومصاحبة منهاج الله مصاحبة منهجية.
- جعل اللغة العربية اللغة الأولى في العالم الإسلامي أثناء الموتمرات

باحثة إسلامية

إسلامنا يسع الجميع

سليمان الأهدل

هذي الكويت وشعبها المعطاءُ
مـاذا أراه؟ أجنـةٌ فيحـاءُ؟
وأنـا أطيـر إليـك كـان تلهفي
لأراك لكـن هـزّنـي الإغـراءُ
كم زرت قبلك يا كويت فلم أجد
سحرًا كسحرك إنك الحسناءُ
إذ عشت فيك وإنني في مربعي
والأهـل أهـلـي ألـفـة ووفـاءُ
أيّامـيَ الجذلى بربعك نسمة
رَيَّـا وسـاعـاتـي عـليـك ثـنـاءُ
وإذا تغنّى الشعر أي قصيدة
لكويت فهي قصيدة عصماءُ
انـظـر إلـى أبـراجـهـا مـتـأمّلًا
لشموخها فيها سنًى وسناءُ
إن زرتهـا أدركـت حكمة أهلها
وطموحهم هم للسمو سماءُ
أشـيـاء تـلـمـسـهـا تـــدُلّ دلالـة
أن الطّريق إلى البناء فضاءُ
عرفوا الطريق فشمروا عن ساعد
للجدّ حَقّق ربّنـا مـا شـاءوا
من مربع العلما زبيد أتيتكم
لأقـول بـاسـم الـلـه طـاب لقـاءُ
ومهّنئًا لأميـركم إجماعكم
شعب الكويت صباحكم وضّاءُ
خبر الحياة وغاص في أعماقها
مـتـواضـع لـبـلاده بـنّـاءُ
شـاءت قيادتكم هنا ألا ترى
إلاّ المحبة كي يسود صفاءُ
شعب الكويت وراءها متماسك
وإلـى الـتـوحـد قـاده العـقـلاء
ووزارة الأوقـاف خطت مسلكًا
وسطا كما تهوى هنا العلماءُ

من أجل جيل مؤمن متوحد
وسطيـةً سـادت هـنـا وإخـاءُ
أنتم ضمير الشعب أنتم صوته
وبكم تنال العزّة القعساءُ
ويمـوت كـلّ تـشـرذم وتـفـرّق
ويـسـود حـبٌّ صـادق ووفـاءُ
انظر أوروبا كم فوارق بينها
كم سال في تلك الربوع دماءُ
نسيت خلاف الأمس صارت كتلة
مـرهـوبـة وتـوحّـد الـفـرقـاءُ
إنّـا لأولـى بـالـتـوحّد منهم
يـأيّـهـا الـوعـاظ والخـطـبـاءُ
ولِمْ يفرقنا اختلاف الرأي في
فهم النصوص وتلكم الآراءُ
مهما اختلفنا في الرؤى لا ينبغي
أن تستخف بعلمنا الأهـواءُ
ويكون للشيطان فينا جولة
مـردودهـا يسعى لـه الأعـداءُ
قـد قـال عنها ربّنـا في آية
خـطـرٌ ونـارٌ نـقـمـةٌ وشـقـاءُ
إسلامنا يسع الجميع وهديه
نـورٌ بـه تـتـبـدد الـظـلـمـاءُ
والنّاس في الدنيا المليئة بالأسى
عطشى وبين يدَيكم الإرواءُ
الناس حيرى لا يرون طريقهم
إلاّ بـكـم فـلـديـكـم الأضـواءُ
وقلوبهم مرضى فمن ذا يا ترى
سيُطبُّها وتـعـالـجُ الأدواءُ
النّاس في أرجائها تبع لكم
ولما يقول العالم المعطاءُ

● ألقيت ضمن فعاليات المؤتمر الثاني للأئمة والخطباء، في الحفل الافتتاحي بالكويت الشقيق يوم السبت ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ٢٢/٤/٢٠٠٦م.

قصة قصيرة

المسافرون

محمد عبدالشافي القوصي
ناقد أدبي

ما أطوله من يوم وما أخلده، وما أبعده من سفر مملوء بالمفاجآت.. لكن ما أعجبها من رحلة جمعت الأضداد معًا في موكب «المَلِك» الذي كانت الوحوش تسير عن يمينه، والجن عن يساره، والشياطين من خلفه، وكانت الطيور تظله من أعلى، والريح تقلّه إلى أيّ مكان يريد، في الوقت الذي يريد.. كيفما يريد!

عند مفترق الطرق؛ لاحتْ «نملة» ذكية وبليغة.. استوقفت «المَلِك» وأطالت الحديث معه.. وعلى الرغم من جرأتها؛ فإنها نملة عادية، فلا هي مثقفة بالمعنى الأكاديمي، وليس لها دراية بالنظريات ولا بالفلسفات الحديثة، ولم تسمع عن عالم الكتب ودور النشر من قريب أوْ بعيد!

وقد تضاربت الأقوال حول سر هذا اللقاء المفاجئ، خاصة في أوساط «الليبراليين» الذين كانوا ضمن الركب، فقد ظنوا أنها ستتحدث نيابة عنهم في موضوع «الدولة المدنية» ومخاطر «الدولة الدينية»، ومسألة «الحجاب والنقاب»، ومكافحة «الارهاب» و...!

حتى بلغ الفضول بأحدهم أنْ تسلل من الخلف، واسترقَ السمع، ليقف على الحقيقة! لكنه اسود وجهه في الحال! ونكص على عقبيّه، عندما رأى «النملة» تبكي بكاءً حارًا، وهي تسأل عن البعث، والميزان، والصراط، وتطاير الصحف، وأهوال المحشر!

وكان «الهدهد» ضمن أفراد الرحلة، فأصابته الحُمّى، فقال: يا إلهي.. عافني!

فنُودِي في سره: مَنْ أنتَ حتى تتكلم في مُلكي وتختار، وأنا أعرف تدبير مُلكي أحسن منك، فاختر اختياري، ولا تُظهِر نفسك باختيارك!

ولما عَلِمَ «المَلِك» بهذه الحكاية الطريفة؛ نَظر إلَى الهدهد، وقال مبتسمًا: الحمد لله؛ أنني لم أشْكُ ولم أتضجّر مثل غيري!

فخجل الهدهد من نفسه خجلًا شديدًا، ورجع إلى مؤخرة الركب.. رويدًا رويدًا حتى اختفى بعيدًا عن الأنظار! لكنه عاد قُبيْل الغروب، وقد بدا عليه الإرهاق والتعب الشديد.. فسأله المَلِك: ما الذي أخّرك عنا؟

فبكى، وقال: لقد رأيتُ قومًا فقراء.. لا يجدون شيئًا يأكلونه إلا ورق الشجر، وأحيانًا لا يجدونه.. فيواصلون الصيام!

فقال: اذهب إليهم، وقل لهم: يا

معشر الفقراء، إنكم تُعرَفون بالله، وتُكرَمون لله.. فانظروا كيف تكونون مع الله، إذا خلوتم به!

فلما ذهب الهدهد إلى هناك، وجدهم وقد فارقوا الحياة جميعًا! لكنهم تركوا وراءهم خشبة صغيرة مكتوبًا عليها: لا خير في البقاء بعدما افتُضِحَ أمرنا.. وانكشف السر!

فعاد الهدهد إلى سيده مضطربًا حزينًا، وقبل أن يروي ما حدث.. قال الملك: أيها الهدهد، منذ زمن بعيد لاحظتُ عليكَ شيئًا استعصى

عليّ فهمه، واستشكل عليّ تفسيره؛ أنك كثيرًا ما تختار العزلة، وتستغرق في التأمل الطويل والتفكير العميق، وأحيانًا تصيبك رعشة قوية، ثم تغرق في بحر من الدموع!

فقال: سلني- يا سيدي- شيئًا آخر غير هذا، فأجيبك.

كلا، بلْ أجبني عن ذاك فقط.

فقال: آه .. لوْ رأيتَ بعضًا مما رأيته؛ لعذرتني أيها الملك العظيم!

إذن؛ قُصّ عليّ مَا رأيتَ أيها الهدهد الحبيب.

أخشى ما أخشاه يا سيدي.. أن يتسلل الحزن إلى قلبك، أوْ يصيبك بعض ما أصابني!

ابتسم «الملك» وقال: لا .. لأنك لا تعلم أكثر مما أعلمه، ولن تسمع أكثر مما سمعته.. حسبي ما أخبرني به «مَلَك الموت» من تصاريف الدهر، ومشاهد الغيب، وعجائب الأقدار، وطوارق الليل والنهار ...!

رجع الهدهد إلى الوراء بضع خطوات، وصمت ولم ينطق بكلمة واحدة.. ثم انهمرت منه دموع غزيرة بللت جسده النحيل! فأشفق عليه المَلِك، وقال: ماذا أصابك أيها الهدهد؟

فقال: أيها المَلِك العظيم.. ألا ترفق بي، وتعذرني عن عدم الجواب؟

لا أعذرك أبدًا.. بلْ أخبرني بكل ما رأيت!

فقال: يا سيدي؛ إنني شاهدتُ «آدم» لحظة هبوطه من أعالي الجِنان، وكان «عدوه» يضحك ساخرًا، ويتمايل بزهو وشماتة! ورأيتُ «يونس» في ظلمات الليل بين أمواج البحار، وهو يتقلب يمينًا وشمالاً في بطن الحوت! وأبصرتُ دموع «الخليل» تهطل على رأس «الذبيح» قبل أن يضع السكين على عنقه! ورأيتُ «ابن يعقوب» يُساق إلى السجن؛ وحيدًا غريبًا! وعاينتُ «الكليم» مطاردًا خائفًا جائعًا حافيًا! وشاهدتُ ...

وعندئذٍ .. انهمرت دموع «المَلِك» بلا توقف، وجثا على ركبتيه، وصاح بأعلى صوته: حسبك.. حسبكَ- أيها الهدهد- أوشكتَ أن تحرقني بنار أحاديثك، ولهيب أخبارك!

أطرق الهدهد هنيهة مشفقًا على سيده الذي لم يتمالك نفسه، ثم استدار إلى الخلف حزينًا أسِفًا.. فرأى الجميع قد فارقوا الحياة! ولم يبقَ في الموكب المهيب سوى «العلمانيين» الذين ظلوا يلوكون ألسنتهم بالحديث عن «الفرانكفونية» و«الحداثة» و«البنيوية» و«التفكيك» و«حرية الإبداع» و«الدراما» و«خطوط الموضة» و«مسرح العبث» و«مسرح اللامعقول» و...!

كتاب جديد للدكتور إبراهيم أبومحمد

الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة

أميرة إبراهيم

طالب رئيس مجلس إدارة المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية ورئيس إذاعة القرآن الكريم باستراليا د.إبراهيم أبومحمد في أحدث كتاب صدر له تحت عنوان «الشرق والغرب.. حوار لا مواجهة» بضرورة قيام المنصفين في الشرق والغرب بالعمل على تحصين الشعوب الإنسانية؛ حتى يكونوا في مأمن من الخيانة الثقافية والاغتيال العقلي اللذين كثيرًا ما يمارسان انطلاقًا من أجندة خاصة لبعض الفئات المتطرفة التي تسعى دائمًا لتأزيم المواقف وتخويف الناس وخلق عدو وهمي، حيث أوضح من خلال صفحات الكتاب وفصوله أن العالم اليوم يواجه مشكلات خطيرة للغاية، ناجمة عن وجود متطرفين في الشرق والغرب، مؤكدًا أنه مع الإحساس الحقيقي بالخطر الذي يحمله الواقع والدعوة إلى صراع الحضارات نفض الإنسان عن نفسه شعور الانفصال، وبدأ يحل محله شعور بضرورة الاتصال للبحث عن وسائل حقيقية للإغاثة والإنقاذ، ولم يجد بدًا من أن يمد يده للآخر.. يحاوره ويتداول معه هموم الحاضر القلق، والقادم المرعب الذي لا يكن خيرًا للبشر، ويدفعهم دفعًا للفتنة والصراع، وكقطيع من الغنم يجب أن يتفرقوا ويتمزقوا حتى تتوزع قواهم ويمكن قيادتهم والسيطرة عليهم، ومن ثم تردد كثيرًا مصطلح حوار الثقافات وحوار الأديان، ثم حوار الحضارات، وأنشئت له مراكز علمية وبحثية، وتخصص فيه أكاديميون من كل التخصصات في محاولة لوقف زحف الدمار الذي يمكن أن يحدثه الصراع الدولي.

أكد الدكتور إبراهيم أبو محمد على أهمية أن يبدأ الحوار بين الشرق والغرب متحررًا من ثقافة الكراهية التي يحملها كل طرف للطرف الآخر، وكذلك بعيدًا تمامًا عن لهجة الاستعلاء، مبينًا ضرورة أن تكون هناك منهجية علمية تدرك ببصيرة نافذة قيمة ثوابتنا الدينية، وتتفاعل أيضًا بوعي كامل مع كل متغيرات الزمان والمكان، وتقدر جهود العقلاء بين أطراف الحوار من أجل إيجاد صيغة محترمة للعلاقات الدولية، تعمل على تفعيل القواسم المشتركة للعيش بين جميع الأطراف، كذلك ترفض أصوات الذين يسعون لإشعال نار الصراع والخلافات، مهما تعالت تلك الأصوات ومهما كانت قوتها، فهم لا يسعون إلا لغرس بذور الخلاف والتناحر وإشعال الفتن والحروب، ويسعون دائمًا لأن يكون التوتر والعداء الحاد هو سمة العلاقة بين الإسلام والغرب.

ثم وضح ضرورة العمل الجاد للوصول إلى الحقائق، وإزالة أي غيوم ضبابية تحجب الرؤية لدى أي طرف، وينجم عنها سوء فهم في العلاقة بين الشرق والغرب، وهذا العمل يتطلب قدرًا كبيرًا من البحث الدؤوب في طبيعة تلك العلاقة التي تختلط فيها القوة العسكرية بقوة الفكر فنًا وثقافة، كما تختلط فيها تراكمية العداء والصراع بتراكمية الثقافة والحضارة، وتلاقح المعرفة بين أخذ وعطاء، ورغبة وتمنع، فهناك مراحل متعددة شهدت مدًا وجزرًا، وتحولات في المواقف والمواقع، تحول فيها الزمن فانتقلت البوصلة ومعها مركزية الحضارة من منطقة إلى منطقة أخرى، ومن الشرق إلى الغرب في دورات حضارية رفعت أقوامًا وخفضت آخرين.

ممارسة دور مشبوه

يبين د.أبومحمد أن بعض مراكز القرار والإعلام في الغرب تمارس دورًا مشبوهًا انطلاقًا من أجندة خاصة لها دور مفضوح، تركز فيه لا على الإسلام كبديل منطقي وصحيح لبعض القيم التي أضرت بالغرب، بل على الإسلام كبديل عن الغرب كله، ومن ثم تقدمه على أنه عدو جديد لا هداية، وتصوره على أنه بعث جديد من أعماق

الزمان لغزو صحراوي زاحف يهدد الحضارة ويعيد البشرية إلى عهود الظلام والتخلف.

ويلحظ الباحث لما يجري في دول الغرب، رصدًا ومتابعة، أن حجم الأكاذيب يفوق أحيانًا قدرة الإنسان على العد والإحصاء، ففي داخل الغرف السوداء لدوائر المكر السيئ تفرخ الأكاذيب أكاذيب جديدة، وكثيرًا ما تلفق القصص و«تفبرك» الروايات في الصحف، فضلًا عما تقوم به التكنولوجيا الحديثة في عالم السمعيات والمرئيات من عمليات قص ولصق، وإذا كان بعض الساسة قد تفوه ببعض الحقائق ونطق بعض الكلمات تطييبًا لخاطر المسلمين في زيارة خاصة، أو بعد ضجة كبيرة تحدثها الإساءات المتكررة، فإن ذلك كله عكس ما تبديه مراكز القرار والأجهزة التابعة لها من وسائل صياغة رأي العالم بأنواعها، بالإضافة إلى الندوات والمؤتمرات والبحوث المختلفة التي تتناول موضوع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وتحاول تلك المراكز في تفسيرها لطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أن تركز على التناقضات الأساسية والثقافية لا على نقاط الالتقاء والمصالح المشتركة، مؤكدًا أنه عند الحديث عن فئة المثقفين والعلماء والباحثين في الغرب لابد من التفريق بين تيارين: تيار وظف ملكاته ومواهبه لخدمة اليمين المتطرف، فهم «مثقفون تحت الطلب»، وهؤلاء غالبًا ما يكون صوتهم أعلى وضجيجهم أكثر وأشد، لكنهم لا يشكلون أغلبية في الوسط العلمي، وهناك تيار آخر يشكل أغلبية تنظر إلى الأمور بعيون مبصرة، ولم تنطل عليهم الألاعيب التي مارسها اليمين المتطرف من قبل في تبرير حروبه العبثية، وقد بدأ هذا التيار في مبادرات للتعرف على الحقائق، بل بدأ بعضهم يكتب كاشفًا ما كان يمارسه اليمين المتطرف من وسائل في التعمية على الشعوب وخداعها، وهؤلاء لا يكتفون بما يقدمه الإعلام الغربي عن الإسلام، بل يشكون فيه، ويعرفون أن أغلب ما يقدم إنما يصدر عن رؤية كارهة ومغرضة؛ ولذلك فهو في نظرهم يفتقد الموضوعية والحياد، فبعض هؤلاء يحرص على القراءة عن الإسلام،

الكتاب يؤكد ضرورة أن ينطلق الحوار بين الشرق والغرب متحررًا من ثقافة الكراهية وبعيدًا عن روح الاستعلاء

ويبحث عن الكتاب الإسلامي باللغة التي يجيدها من المصادر المضمونة والقريبة منه فلا يجده، وربما يحاول تعلم اللغة العربية حتى لا يقع ضحية الفكر المغشوش والثقافة المسمومة التي تملأ الأسواق عن الإسلام والمسلمين.

خطط العدوان

ويشير د.إبراهيم أبومحمد إلى أن الإنسان الغربي برغم كل ما يقال له لا يزال لديه من رصيد الفطرة ما يمكنه من تقبل الحقيقة إذا عرضت عليه بذكاء، وقدمت له في صورتها النقية، ويقول: كما أن مساحة الحرية المدنية التي تربى عليها وإن كانت قد تقلصت كثيرا بعد أحداث ١١ سبتمبر إلا أن المتبقي منها تجعله يدافع عن الفكرة التي يؤمن بها، بل ويرتفع صوته في وجه حكومته بالاعتراض، مستخدمًا كل الوسائل المتاحة في الضغط، فهو إيجابي في قضايا الهم العام ولا يكتفي بالفرجة من بعيد، وصحيح أن الحكومات ومصادر القرار قد لا تستجيب لضغطه، كما حدث في حرب العراق، غير أن المظاهرات التي قادها الغربيون زلزلت الحكومات وشكلت ضغطًا عليها، بل وأسقطت بعضها في أقرب انتخابات، كما حدث في أسبانيا وإيطاليا وبريطانيا وأميركا وأيضًا في أستراليا.. وهنا يوضح المؤلف أن كل ذلك يعني أن الغرب كشعوب ليس لدينا معهم مشكلة أبدًا، ويقول: حتى محاولات الغرب السيطرة وتأزيم المواقف لم تنجح رغم كل أجهزة الكذب التي تروج لها، فشعوب الغرب قد اكتشفت الخديعة وعرفت أن خطط التآمر والعدوان ترتبط بمصالح أخرى هي السيطرة على منابع الثروة، ولا ترجع لحالة الإسلام أو مواقف المسلمين، وأن لدى الغرب كمركز للقرار منظومة إعلامية تتعمد تشويه الآخر وتحط من قدره، وتحاول إشاعة الخوف منه وتلصق به أبشع الاتهامات، ولا تكف عن الهجوم عليه، واستعداء الشعوب ضده.

خارطة جديدة للحوار

يؤكد د.أبومحمد أن العودة إلى الذات تتطلب قدرًا من الثقة تزول معه حالة الالتباس وسوء الظن بين السياسة وبين الثوابت والمتغيرات، ويقول: لابد أن تتضح الفروق بين الوحي المعصوم قرآنًا وسنة، وبين المخزون الفكري والثقافي لعلمائنا، على أن يتم التعامل معه بقدر كبير من الاحترام والتقدير، وبعيدًا عن القداسة والعصمة التي لم تثبت لغير القرآن والسنة، وليس مقبولًا أو معقولًا أن ننكفئ على الذات مكتفين بالماضي، ذاكرين أنه قد كان لنا مكان الصدارة في يوم ما، وكنا نحن العالم الأول، كما أنه ليس مقبولًا ولا معقولًا أن ننطلق في حوارنا مع الآخر متجردين من ثوابت هويتنا العقدية والثقافية، وهي ثوابت حية في وجدان وشعور شعوبنا، فنتخلى عنها وكأننا ريشة في مهب الريح لا جذور لها ولا تاريخ لديها، في الوقت الذي نستجيب فيه لمطالب أطراف أخرى تحاول إحياء تراث ميت وثقافات ميتة وسخافات تتحدث عن شعب مختار وشعوب خلقت للهوان والخدمة، لابد أن تكون تلك الاستجابة مؤطرة بسقف معرفي، ولذلك فإن المضي في طريق الحوار مع الآخر يحتاج إلى خارطة جديدة تقوم على أن الفطرة قاسم مشترك بين البشر، وأن الحضارات تراكمية وبينها تلاقح وأخذ وعطاء، وأن التفاعلات في الأفكار والثقافات، وما لذلك من تأثير في نسق القيم السائدة، كل ذلك ينتقل من عصر لآخر ومن بلد إلى آخر ومن حضارة إلى حضارة أخرى.

ويضيف: الأمر يتطلب تبني خطة عمل مشتركة مع الشخصيات المنصفة ذوي الحيثيات العلمية والإعلامية في الغرب، وكذلك المؤسسات الإنسانية كمنظمات الحقوق المدنية والمنظمات المماثلة للعمل على تفويت الفرصة على الذين يثيرون روح الكراهية والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين، وتكوين هيئة علمية تكون معنية بشؤون الجاليات المسلمة تضم متخصصين من الداخل والخارج في شؤون الحضارات ممن يجيدون اللغات المختلفة، تهدف إلى إيجاد واختيار آليات وأساليب من الشرق والغرب مناسبة للتعامل مع الآخر بعد فهم بواعثه ودوافعه وهضم مفرداته الثقافية، على أن تضع هذه الهيئة خلاصة خبراتها تحت تصرف أي مسؤول ليكون على دراية بكل أبعاد الواقع في القضية، أو المناقشة والحوار عندما تقتضي الحاجة ذلك.

شبكة الإنترنت إحدى وسائل الدعوة الإسلامية

أحمد محمد القزعل

أصبحت التقنية الحديثة أحد أهم مقاييس قوة الدول وتطورها، ففي الماضي كانت تقاس قوة الدول بما تملكه من عدد سكان ودخل ونمو اقتصادي... أما اليوم ومع التقدم المذهل في التكنولوجيا فإن عناصر القوة اختلفت، وتغيرت كثيرًا، فمن يملك تكنولوجيا الاتصالات الآن من انترنت وأقمار صناعية وقنوات فضائية هو الأقوى والأقدر على نشر دينه وحضارته، وقيم مجتمعه، ومن خلال هذه الوسائل يستطيع كسب الرأي العام العالمي، ويقنع الناس بقضاياه، ولعل شبكة الإنترنت هي الوسيلة الأهم القادرة على إيصال صوتنا لبني البشر، مخترقة بذلك حدود الزمان والمكان، فالإنترنت مجموعة ضخمة من شبكات الاتصال المرتبطة بعضها ببعض، وهذه المجموعة تنمو باستمرار على قدر ما يضاف إليها من شبكات وحسابات، وهي سلاح ذو حدين، فإما أن تحصن المجتمع بالفضائل والقيم النبيلة إذا أحسن استخدامها، وإما أن تفتت المجتمع، وتهدم أسس بنيانه إن كانت الأخرى.

ما آلت إليه شبكة الإنترنت الآن يختلف كثيرًا عما كانت عليه في بداياتها المبكرة في نهاية العقد السابع من هذا القرن، فقد كانت حكرًا على مؤسسات عسكرية ومن ثم جامعية معينة، أما الآن فما من بيت تقريبًا إلا ويستخدم الإنترنت ولساعات طويلة، وتجاوز الأمر ذلك بتفعيل خدمة الإنترنت على الجوالات العادية، فأصبح بإمكان الأفراد تصفح الإنترنت في كل وقت وحين، وما من أحد يستطيع أن ينكر دور شبكة الإنترنت الإيجابي، وفي الوقت نفسه ما لها من سلبيات، وذلك بحسب الشخص المستخدم لهذه الوسيلة، ولاشك أننا نستطيع توظيف الإنترنت في مجال الدعوة إلى الله، واحترام الإنسان، وتنوير المجتمعات بصورة الإسلام الحضارية وقيمه وأخلاقه النبيلة.

وكما هو معروف فالدعوة إلى الله فريضة واجبة نص عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقال سبحانه:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(النحل:١٢٥)، وقال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، ولما كانت الدعوة الإسلامية واجبة بنص كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن وسيلتها واجبة أيضًا عملًا بالقاعدة الفقهية: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فباستطاعة المسلمين اليوم الاستفادة من الانترنت لإيصال الدعوة لمن لا يعرفها أو لمن هو بحاجة إلى التذكير بها، ومن خلال هذه الشبكة نعرض قيم إسلامنا وتاريخ أمتنا وأخلاق ديننا من دون تشويش أو منع من أحد، فكل فرد كما هو معلوم يستطيع نشر ما يشاء على صفحات الإنترنت، ولا سلطة عليه غير ضميره، وإذا قمنا بذلك نكون قد أبلغنا الدعوة الإسلامية لملايين الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولقد رأينا أصحاب الديانات المختلفة من يهودية ونصرانية يستخدمون الإنترنت لخدمة معتقداتهم، فهناك مواقع مخصصة للتبشير ونشر المسيحية، فضلاً عن مواقع اليهود، والطوائف الغريبة كعبدة الشيطان، وغير ذلك، ولابد للقادرين على حمل الإسلام إلى العالم في صورته المضيئة المستنيرة من أن يسدوا الفراغ الروحي عند الشعوب التي تشققت أكبادها من المادية والجدلية الطبيعية، ولنتذكر أن نور الإسلام يوم أفاض المحبة بين الناس وغمر القلوب بيقين الهداية أمات في هذه القلوب مسافة البعد واليأس وجعل الدين للكل والرب الواحد للجميع.

باحث سوري

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

مكانة العلماء

عندما سادت المادية أرجاء حياتنا، واتجه الناس إلى زخارف الدنيا وزينتها، متكالبين عليها، نسوا أو تناسوا حق العلماء على كل مسلم غيور على دينه، فساءت حالتهم، وهان أكثرهم على نفسه وعلى غيره، ووقع الاستخفاف بهم.

والمتأمل في التاريخ الحضاري للأمم يجد أن محوري التغيير والإصلاح دائمًا ما ينطلق من الحكام أو العلماء، وهذا ما نفتقده اليوم على مستوى القيادات أو الشعوب في أمتنا الإسلامية.

ولعل قدرة العلماء في التأثير والتغيير، وتحريك الشعوب، ودفع المجتمعات نحو الخيرية، وتوجيه الأمة بأسرها.. كل ذلك يسهم بلاشك في وضع شريحة العلماء ضمن دوائر الخطر بالنسبة لأعداء هذا الدين.

لذا نجد الاستهزاء بهم في الجد والهزل، حتى في الروايات والتمثيليات والفضائيات، والسعي الحثيث إلى تفقير العلماء وقهرهم للتخلص من قدراتهم في معارضتهم حتى بات كثير من شعوبنا لا يعبأون بهم.

ويمكن القول: إن هذا الأمر لم يعد مستغربًا على من عادى الله ورسوله ﷺ، وبالتالي يحرصون كل الحرص إلى مواجهة هذه القوة الربانية التي إذا تحركت نهضت الأمة، خاصة فيما يتعلق بالرزق ولقمة العيش.

وانظر إلى موقف شيخ اسمه عبدالحميد عندما استدعاه المندوب السامي الفرنسي وقال له: جئنا لطمس معالم الإسلام، إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنودًا لقفل المسجد الذي تنفث منه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتكم المنكرة، فأجابه الشيخ عبدالحميد قائلًا: أيها المسيو... إنك لا تستطيع ذلك، لأنني إذا كنت في عرس علَّمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتم وعظت المعزين، وإن جلست في قطار علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين، وخير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها.

هذا الموقف يبين حجم القلق والخوف لدى أعداء هذا الدين من علماء الأمة باعتبارهم المصدر الرئيس لإحياء الدين وتجديده في قلوب المسلمين، وهذا مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (رواه أبوداود)

وبات واضحا للعيان مخططات هؤلاء في تفقير العلماء وتهميشهم وملاحقتهم، والتقليل من شأنهم، وتكوين قدوات سيئة منهم باستمالة بعضهم بالمال والمناصب، وتربية نفر منهم على الذل والخنوع.. وهذا موجود في كثير من مجتمعاتنا اليوم.

إن علماء الأمة الربانيين هم مصدر عزة الأمة ورفعتها، فما استهان قوم بعلمائهم إلا لقوا من أزلام الباطل من الهوان والضياع والتشرذم، وما قدر قوم علماءهم إلا ربط الله على قلوبهم، ورفع قدرهم، وارتقى بمكانتهم، وجعلهم خير خلفاء في الأرض.. والله ولي التوفيق.

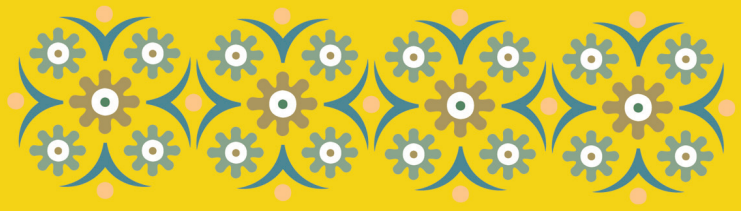

أسـرتـي

الفكرة التربوية

كثيرة هي المدارس التربوية في عصرنا الحديث، فكل فكرة باتت تمثل منهجا منفصلا عن بقية المناهج في تربية الأبناء، وصار كثير منها ينتسب لأساليب التربية الإسلامية الحديثة، وهو في الأصل أبعد ما يكون عن الدين، فأي فكرة تربوية لا يسجلها الحديث النبوي أو تطبيقات السلف ومسالك الأئمة المربين من أهل العلم لا تمت بصلة إلى المنهج الإسلامي.

فالتربية مسؤولية عظيمة على أكتاف الأبوين، لذا ينبغي الحرص كل الحرص على تجنب تشويه هذه الجوهرة المكرمة (الطفل)، ولابد من بذل الجهد والعمل الدؤوب لإصلاح الأطفال وتصحيح أخطائهم، وتعويدهم على الخير، فقد دعا سيدنا نوح ابنه إلى الإيمان، ووصى سيدنا إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده.

ويقول الشيخ محمد الخضر الحسين- رحمه الله: لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفا في مصاف الرجال القوامين، لكن جرت سنة الله ألا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئا فشيئا، ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدرج.

التحرير

حياتنا مظاهر

مليكة محمد الحامدي

إن الحديث عن المظاهر بشكل تفصيلي أو تحديد مدلولاتها هو ضرب من المجازفة العلمية واللغوية، إذ إنها من المواضيع الفضفاضة والمتشعبة والمهمة. تتعدد في تعريفها وتفسير أحوالها الآراء، فتختلف فيما بينها في جوانب معينة، وقد تتفق في مواطن يحكم عليها التراث والتاريخ والعلم والمنطق.

أحاول هنا وبايجاز إلى حدّ ما، أن أسلط الضوء على جوانب مهمة من المظاهر التي باتت سمة لعصرنا، وسببًا لانحلال الروابط الإنسانية فيه، علّنا نضع معاً أيادينا على مشكلاتنا اليومية، فنمسح عنها غبار التصنع والزيف والخداع، وننطلق إلى رحاب أوسع وأجمل من الحرية والبساطة والقناعة، فأقول:

المظهر لغة: ما يظهر من الشيء خلاف مخبره، جمعها مظاهر.

والمظاهر بتعريفي المبسط: هي جملة مكتسبات فنية وتقنية يفرزها مجتمع معين ضمن قواعد مادية تأخذ مع مرور الزمن شكلًا جوهريًا.

وللمظاهر أشكال كثيرة في حياة الإنسان منذ قرون بعيدة وحتى يومنا هذا.

وكلما قطعت البشرية عقودًا من الزمن، كلما اتسعت دائرة المظاهر، فشملت جوانب كثيرة من حياتنا، مما أفقد الإنسانية جوهرها وضاعت بين القشور وواقعنا الحالي يثبت ذلك، لكن التساؤلات الخطيرة التي تطرح نفسها اليوم هي:

ما مدى مصداقية العمل التمثيلي الذي نقوم به في حياتنا اليومية؟

لطالما زعزعت المظاهر أواصر زوجية وشتت علاقات أسرية وتسببت في إنهيار اقتصاديات منزلية

وما المسافة التي تفصل بين مضموننا الوجداني وظاهرنا؟

ومتى تصبح المظاهر جوهرًا ومضمونًا؟

لو قمنا باستعراض سريع لمجالات عديدة في حياتنا باتت المظاهر هي شعارها المرفوع، لأدركنا تمامًا أننا نعيش في بحر من الأوهام والشتات النفسي الحقيقي تتلاعب بنا أكف المظاهر في كل ساعة.

في المجال الديني

تتجلّى المظاهر بأبشع صورها في بعض الرجال الذين اتخذوا الدين ذريعة لهم لنيل مبتغاهم من مال وشهرة وقضاء حاجات غير شرعية، من خلال «الزي الديني» بدءاً من إطلاق اللحية إلى حمل «السبح»، إلى ارتداء الجلابيب المرقعة أو المزخرفة حسب الحاجة والهدف، إلى ارتياد المساجد وممارسة طقوس دينية معينة... الخ لإضفاء مسحة اللاهوتية على شخصياتهم، وبالتالي كسب ثقة العامة السذج وإقناعهم بأنهم «أهل الله» وأهل لثقتهم في حل مشكلاتهم وتيسير أمورهم، وما أكثرها سمعنا وقرأنا ورأينا ما حالت إليه أحوال الأفراد والأسر من نعيم إلى جحيم حين سقطوا في أيادي هؤلاء المستترين بمظاهر لا يقبلها الدين الإسلامي الحنيف أصلًا إن كانت مخالفة لمضمونها.

قال جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).

في المجال الأسري

في أي منزل تلج إليه ترى أشكال المظاهر المختلفة قد اعتلت فوق الطبيعة والفطرة الإنسانية، فيبوح لك كل ركن فيه عن سر التفكك الأسري رغم المظهر الساطع و«الأبهة» وسعة الحال.

فهذا الأب مشغول في أعماله، مُنهك الجسد، ليس لديه الوقت للتفكير في مصالح أسرته الدينية والأخلاقية والتربوية، غير آبه، ولا مُبال، بما يدور حوله سوى تلبية الحاجات المظهرية له ولأولاده.

باحثة أسرية

وهذه الأم المتشبثة بأقنعة مبهرة وتافهة، تقضي جُلّ وقتها في الزينة والتبرج واقتناء أحدث ما تنتجه مصانع التجارة بالعقول من وجوه مظهرية تخفي خلفها نفسية معقدة متوترة همها الأول الظهور بمرتبة الأولى بين النساء، ضاربة عرض الحائط هي الأخرى بأصول الدين والتربية والأخلاق، ناهيك عمن يعتمدن على الخادمات في أغلب الأمور التدبيرية في المنزل إن لم يكن كلها.

وذاك الابن الذي اتخذ الوسائل الالكترونية (الحاسوب- الهاتف المحمول... الخ)، أخلاء له لا يفارقونه في حلّه وترحاله.

وتلك الابنة التي جعلت الشبكة (الانترنت) أنيسة لها في وحدتها الطويلة ومكمن أسرارها.. وقس على ذلك الكثير.

وكم من وراء ذلك كله تزعزت أواصر زوجية، وتشتتت علاقات أسرية حميمة وانهارت اقتصاديات منزلية، قال الله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (طه:٨١)، وقال أيضًا ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت:٤١).

في مجال العمل والوظيفة

لا تخلو الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة، وحتى المدارس والمعاهد والجامعات من زوابع المظاهر القائمة على أشدها.

حيث تسعى الغالبية للمناصب الأعلى سواء المهنية أو المعنوية، باللجوء إلى المظهر المزيف والمخادع

من خلال الثياب الفاخرة، أو اقتناء وسائل الرفاهية الحديثة أو التلفظ بلغات أجنبية، أو الافتخار بالأهل والأصدقاء ذوي النفوذ والاعتماد عليهم أحيانًا.. كل ذلك وأكثر أدى إلى تفشي الوساطة والرشوة والابتذال والمساومة وإقامة علاقات محرمة لو اضطر الأمر للوصول الى قمة المظاهر المنشودة.

فلينظر أحدنا كم ساهم في ارساء دعائم الغش والاستهتار بخيرات وطنه من أصحاب الكفاءات العلمية والفكرية والإصلاحية والادارة الجيدة في كل مجالات الدولة والوطن الأم، قال العزيز الحكيم: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٨)، ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيجُ فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغُرور﴾ (الحديد:٢٠).

في مجال الإعلام

في أغلب وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة نجد الكثير من المظاهر الخداعة والمغلفة بشعارات براقة توحي لمتابعيها بأنها ذات مضمون إنساني هادف، لكنها في الواقع ليست سوى وسائل ابتزاز للمشاعر والثقافة والأموال، مما صعب على المتابعين لها التمييز بين الغث والسمين منها والجيد من السيء، فكان لها من الآثار السلبية الجمّة علينا ما لا يحصرها عشرات المقالات.

قال العزيز الجبار: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٢-٣). ﴿من كان يُريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يُريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ (٢٠: الشورى).

خلاصة

إننا في الحقيقة أصبحنا نجهل الكثير من سجايانا الجوهرية، وما فُطرنا عليه من أخلاق ورغبات وحاجات نفسية وجسدية وعقلية ومعنوية، حجبتها عنا الحضارة بتياراتها المختلفة. حتى أصبحت مجتمعاتنا مصادر لنماذج مظهرية مختلفة ومنوعة، منها الجيدة ورفيعة المستوى، ومنها الرديئة والممجوجة، ومنها بين ذلك، وما علينا نحن بني البشر إلاّ أن نتسابق ونتعارك لنحصل على نموذج أو عّدة نماذج (حسب حاجاتنا) المهم أن نكون كملايين الناس الذين يدخلون مسرح الحياة

علينا تقريب المسافة بين ظاهرنا وباطننا ثم نمثل الدور المناسب لوجداننا الذاتي وضمائرنا الحية

الاجتماعية (التمثيلية) المزيفة.

فهناك من الناس من يمثل الدور الذي يرغب فيه عن قصد وتدبير لتحقيق مآربه الشخصية.. وهناك من يجسدون أدوارًا معينة ليكونوا مقبولين اجتماعيًا.

وأيضًا من الناس من تجده يتقمص دور «الكمبارس» في مسرح الحياة المعاصرة ويظن بأنه الشخصية البطولية التي تدور حولها الأحداث.

والأسوأ أن تجد بين أولئك من يبالغ في التمثيل ويندمج في الدور الذي اتخذه فتراه يمارس دوره المخادع حتى في منزله ومع عائلته.

مثل هؤلاء الناس لا أقول أنهم يعانون أمراضًا نفسية أو عقلية، إذ إنني لستُ طبيبة ولا محللة نفسية، إلا أنهم وبلا شك يعانون عقدًا اجتماعية تختلف معاييرها من شخص لآخر، وهنا أقول إنه لا يستطيع أحد أن يبرئ نفسه من اجتياحات المظاهر (البروتوكولات) في جوانب معينة من شخصيتنا، لكن هناك فرق كبير وواضح بين المظهر الذي تخدع به نفسك أولاً ثم تخدع به الآخرين، وبين المظهر الجمالي الذي جعله الله تعالى في خدمة الإنسانية ونبهنا إليه في آيات كثيرة في القرآن الكريم.. قال الخالق المبدع ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملا﴾ (الكهف: ٤٦).

وأيضًا في بدايات سورة النحل نتلو من الآيات الحكيمة جانبًا مهمًا من ذلك أيضًا.

فنحن ننظف منازلنا ونرتبها ونقتني أثاثًا جميلًا، ونتلفظ بألفاظ منمقة جميلة نخفي خلفها مشاعرنا الباطنية التي قد تكون عكس ظاهرنا بعض الشيء، لكنّ تلك المظاهر أصبحت بمرور الزمن طبعًا فنيًا (أي جوهرًا) رسختها الأطر العرفية في مجتمعاتنا، واكتسبناها بعد رحلة طويلة من التمارين والتعاليم التي تلقيناها في البيت أو المدرسة أو المجتمع، ولا ضير من ممارستها إن لم يكن لها تداعيات سلبية علينا وعلى الآخرين.

- إنني لا أطالب اليوم بالعودة إلى التراث بعاداته وتقاليده وثقافاته وبساطته، إذ إن الإنسان المعاصر اليوم يواجه تيارًا جارفًا من الماديات والتكنولوجيا التي لا مجال لتجاهلها أو الابتعاد عنها.

لكن إذا عُدنا قليلًا إلى الطبيعة الإنسانية، وتعاملنا مع هذه الحضارة ببساطة وتواضع فسنكون حتما أكثر نجاحًا وتفوقًا في حياتنا العلمية والاجتماعية، وأكثر اتزانًا وطيبة وسماحة في حياتنا النفسية والعقلية، وأكثر صحة ونشاطًا في حياتنا الجسدية وإذا كان لابد من مواجهة الزمن الحضاري المادي بمواكبة «عصر التمثيل» فعلينا أن نعمل جاهدين على تقريب المسافة بين ظاهرنا وباطننا ثم نمثل الدور الذي يناسب وجداننا الذاتي وضمائرنا الحية، ويناسب حضارتنا الإسلامية العريقة حتى لا تكون أدوارنا ممجوجة ومدعاة للسخرية، فنخسر بها كرامتنا في الدنيا وظل الله تعالى في الآخرة، والعياذ بالله.

الاضطراب الأسري.. وبدانة الأطفال

د. محمد عيسوي الفيومي

بدانة الأطفال قد ترجع لأسباب وراثية أو لعادات غذائية خاطئة، والوقاية منها ممكنة، والتخلص من السمنة لدى الأطفال ممكن أيضًا، وللأم دور كبير في ذلك، هذا ما توضحه د.هدى عبدالرحمن أخصائية التغذية بكلية التربية النوعية التي تُعرِّف السمنة عند الأطفال بأنها: زيادة الوزن على المعدل الطبيعي نتيجة تراكم الدهون في مناطق مختلفة من الجسم، وزيادة الخلايا الدهنية.. وهي تختلف عن الضخامة التي تحدث نتيجة زيادة حجم الهيكل العظمي، وتحدث السمنة عادة بين ٩: ١١ عامًا، وترجع أسبابها إلى عدم الاستقرار العاطفي بين الوالدين مما يؤدي إلى عدم إنشاء علاقة ودية وثيقة بين الطفل وبين والديه أو بسبب شعور الطفل بأنه منبوذ وغير مرغوب فيه في محيط الأسرة، ووسط زملائه فينصرف إلى الأكل والحلويات والأطعمة الدسمة كبديل عن الصداقة أو بسبب انشغال الطفل بالواجبات المدرسية مما يدفعه للإكثار من الأكل.

جاء عن الرسول ﷺ قوله «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلا، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

وترجع أيضًا إلى دخول الطفل مرحلة المراهقة إذ يتطلب نموه السريع الإكثار من الأكل إلا أنه من المرجح أن الشعور بالانعزال يلعب دوره في هذه المرحلة حيث يلجأ إلى الأكل كوسيلة ترفيهية عوضًا عما يعانيه من متاعب نفسية نتيجة عدم ملائمة المناخ الأسري.

إن العامل الوراثي للإصابة بالسمنة لدى الأطفال قد يصل إلى ٥٠٪ إذا كان أحد الوالدين بدينا، ويرتفع إلى ٨٠٪ إذا كان أحد الوالدين بدينين، وتتأثر هذه النسبة بالعوامل السلوكية، ومن أهم الخطوات التي تتبع في التعامل مع الأطفال البدناء البدء بإجراء فحص مستمر في العيادة ومقارنة أوزانهم بأطوالهم، وعلى الطبيب المعالج إقناعهم بخطورة السمنة والتوعية بكيفية العلاج واضعًا في الاعتبار قول الحق: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾، وعلى الأم ألا تشعر بالذنب لحرمانها طفلها من الأكل الزائد لأنها بذلك تفيده، ولحماية الطفل من السمنة المحتملة يجب اهتمام الأم بتنظيم الغذاء بالتقليل من إعداد أصناف الحلويات وعدم شراء الحلويات والأطعمة المضرة كالبطاطس والمشروبات الغازية، والإكثار من تقديم الفاكهة لأفراد العائلة، والتقليل من الأطعمة الدسمة التي يفضلها البدناء، ويستحسن ان يذهب الطفل إلى عيادة الطبيب لتحديد نظام غذائه بحيث يولد لديه الاعتزاز بنفسه وقوة ارداته وعدم مكافأة الأطفال عند القيام بالأعمال المطلوبة بمنحهم الحلويات والأطعمة الدسمة، ذلك لأن السمنة تسبب كثيرا من المتاعب والأمراض مثل السكر وضغط الدم وأمراض القلب وأمراض الجهاز الهضمي والتهاب المفاصل وغير ذلك من الأمراض.

ومع كلمة أخيرة، ينصح بتغيير السلوك الخاطئ المصاحب لعملية إنقاص الوزن، ولا ينصح بتناول الأكل أمام التلفزيون، ويفضل الأكل ببطء، ومضغ الطعام جيدًا، ووضع الطعام في أطباق صغيرة، وتناول الفاكهة والخضراوات بين الوجبات، وعدم الأكل بسرعة، والاحتفاظ في المنزل بمجموعة من الأطعمة الصحية لتناولها عند شعور الطفل بالجوع، مع تعويد الطفل على الحركة، وممارسة الرياضة، مع تناول كمية كبيرة من المياه لأن ذلك يساعد على الاحتراق وتقليل السعرات الحرارية لأن الجسم لا يستفيد بكل ما يلقى فيه من طعام، بل يأخذ قدر حاجاته ويجد صعوبة في التخلص من الزائد حيث تسلم الجهاز الهضمي إلى العديد من الأمراض، فينبغي تهيئة مناخ الأسرة الصحي المتسم بالود والألفة والمحبة ليشعر الصغار بالأمن والأمان والعطف والحنان، فالأسرة السوية هي التي تمد المجتمع بالأبناء الأصحاء، والتعليم وما ينفق على التربية هو من أفضل أنواع الاستثمار الذي لا يتأثر بتقلبات الأسواق، فالثروة البشرية من أفضل الثروات قاطبة فينبغي أن نحيط الأبناء بالعناية والرعاية منذ سنواتهم الأولى ونقدم لهم القدوة فهي أقوى أثرًا في السلوك.

اختصاصي دراسات نفسية

الإهانات الزوجية

أميرة سليمان أبوجبة

هل يختلف وقع إهانة الزوجة لزوجها عن وقع إهانة الزوج لزوجته؟ وماذا يجب أن يفعل كل منهما عندما يتعرض أحدهما للإهانة من الآخر؟ وهل مقدر للزوجة أن تتحمل عبء الإهانة الزوجية دائمًا؟

إن مبدأ الإهانة مرفوض في الحياة الزوجية بين الطرفين، لأن العلاقة الزوجية قائمة على الاحترام المتبادل وتقدير المشاعر المتبادلة بين الطرفين والتضحية والاحتمال وتقديم التنازلات، وليس على التراشق بالألفاظ والعنف اللفظي والتجريح بالتقليل من الشأن وعدم الاحترام وعدم التقدير، وأكثر شيء يهين الزوجة هو الطعن في شرفها أو كرامتها وعزة نفسها وأنوثتها، أما أكثر شيء يهين الرجل (الزوج) فهو معايرته بعدم قدرته الجسدية أو عدم قدرته على تحمل المسؤولية لبيته والإنفاق عليه، فالرجل الشرقي لا يحتمل إطلاقًا الإهانة من زوجته، وإذا حدث ذلك تكون الخسائر أفدح في كل شيء، ولذا يجب التحلي بالعقلانية والهدوء وقت نشوء الأزمة والتوقف عن الكلام عندما تتصاعد الأزمة، ومحاولة البحث عن أسباب هذا التصعيد بالحوار والمناقشة من دون انفعال، فإذا لم يكن هناك استعداد لتقديم التنازلات والمغفرة والتسامح والمودة تتحول الحياة الزوجية إلى جحيم وتبوء بالفشل عاجلًا أم آجلًا.

إن إهانة الشخص والتقليل من شأنه يمكن أن يحدث بالنظرة أو بالكلمة أو بالإشارة أو العنف، إن الإهانة شيء جارح للشخص وعندما يهين أحد الزوجين الآخر ويرد له الإهانة فلا ينصلح الموقف بالإهانة.. بل إن تكرارها يمكن أن يؤدي إلى الطلاق العاطفي أو الفعلي.

والمعتاد في مجتمعنا الذكوري أن الرجل هو الذي يهين زوجته، أو هو الذي يبدأ بالإهانة لأن في الموروث الثقافي الرجل لا يهان والزوجة لابد أن تتحمل وإذا أهانت زوجها فهذه الطامة الكبرى.

وتشدد خبيرة العلاقات الزوجية على أنه يجب على الطرف المخطئ أن يبادر بالاعتذار ويعد بألا يكرر الإهانة مرة أخرى على الإطلاق حتى لا تتحول الإهانة إلى درجة من درجات العنف ورد فعل مماثل من الطرف المهان وتصعيد الموقف، وقد يصل إلى حد العنف أو القتل.

ولم تنس د. فاطمة أن تلفت نظر الأزواج والزوجات إلى أن يتجنبوا الشجار أمام الأبناء، وخاصة الأطفال منهم، فليس من التربية السليمة للنشء أن يشهدوا مثل هذه المواقف.

ويحلل أطباء علم النفس طبيعة العلاقة الزوجية وما يشوبها من مواقف طارئة ويقولون: كل من الزوج والزوجة يرى نفسه من خلال الآخر، فالرجل حتى لو كانت صورته سلبية لدى زملائه في العمل أو غيرهم ولكنها ايجابية لدى زوجته، فإنه في هذه الحالة سيكون أكثر قدرة على التوافق وتكون لديه قدرة أكبر من حيث الصحة النفسية، والشيء نفسه بالنسبة للزوجة فالإنسان يرى صورته من خلال من يحبهم أو المقربين له، فإذا كانت ايجابية كان شعوره بالسعادة والرضا والتفاؤل، وإذا كانت سلبية أصبح الأمر عكس ذلك ، وهذا هو المبدأ العام بالنسبة للزوج أو الزوجة.

وعند المقارنة بين الزوجين نجد أن المجتمع وثقافته وأسلوب التنشئة الاجتماعية يعطي وزنًا أكبر للرجل مقارنة بالمرأة التي لابد أن تعتبر زوجها «سي السيد».

فالتنشئة الاجتماعية تكيل بمكيالين، فهي تعطي للزوج حرية أكبر في نقد زوجته، بل تعطيه درجة من درجات التطاول عليها مما يجعلها ترفض هذا الأسلوب وتتمرد عليه، ولعل المرأة في هذا الجانب هي الجاني والضحية في الوقت نفسه، فالأم تطلب من ابنها أن يكون «سي السيد» على زوجته، ولكن الزوجة تريد أن تكون الند للزوج، وهنا تكون الزوجة ضحية للأم.

ولكن من المبادئ الأساسية لإقامة علاقة زوجية سليمة ألا يلعب أحد الزوجين دور الضحية حتى لو لقي نوعًا من الشاء من الآخرين، ولذا يجب من البداية رسم حدود في التعامل بين الزوجين، فالسكوت على الإهانة

من الطرف المهان يجعله شريكًا في استمرارها.

وتعترف استاذة علم النفس بأن المرأة هي الضحية دائمًا في مسألة الإهانة الزوجية لأن السياق الاجتماعي يعطي هذا الحق للرجل بشكل عام سواء الأب أو الأخ أو الزوج وهذا نشهده في كثير من الطبقات الاجتماعية، حيث تطيع الأنثى شقيقها حتى لو كان أصغر منها وهذا أحد أشكال التخلف الحضاري، لذا يجب توعية الآباء والأمهات بضرورة المساواة بين الذكر والأنثي في التنشئة الاجتماعية وأن يقتصر تمييز أحدهما عن الآخر وفق عوامل موضوعية وليست بناء على النوع.

ويعلل اطباء علم النفس ما يحدث من إهانات بين الزوجين بأسباب عدة

أولها: عدم وجود الاحترام المتبادل بينهما بالاضافة إلى تراكم المشكلات السابقة والتي لم تحسم إلا من خلال الإهانة في كل مرة وأيضًا لغياب القدوة بالنسبة للزوجين، فليس هناك كبير يلجآن إليه أو يتدخل هو من تلقاء نفسه لفض المشكلة، هذا بجانب غياب الوازع الديني.

إنه ليس هناك فرق بين الإهانة من الزوجة لزوجها والعكس، ولكن القيم الشرقية هي التي جعلت بينها فرقا وأدت الى التضخيم وجعلت الإساءة للزوج جريمة كبيرة جداً باعتباره رب الأسرة، والقيم التي توجد في المجتمع تشجع على ضرب الزوجة والنتيجة حياة مليئة بالنكد والبرود العاطفي والنقاط والثغرات التي تفرق أكثر مما تجمع، وبالتالي تكون حياتهما قائمة علىالضغينة والنكد الأسري.

وينصح الأطباء أي زوجين تصدر إهانة من أي منهما للآخر أن يبتعدا عن بعضهما لفترة بسيطة حتى يراجع كل منهما نفسه، ثم يلجآن إلى الأهل، وإذا لم يوجد فهناك مكاتب للاستشارات الأسرية ومكاتب تدعيم الأسرة، وكلها تقدم خدماتها للأسرة بأسلوب علمي متخصص، وأهم من ذلك كله ما أوصت به كافة الأديان السماوية من كظم الغيظ والعفو عند المقدرة.

ومسك الختام دائما رأي الدين، فكما يقول استاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر د.عبدالهادي عبدالقادر إن المنهج الخلقي أن تكون الأسرة قائمة على الرفق والتراحم والود المتبادل بين أفراد الأسرة، فإذا تجاوز أحد الزوجين حدوده فالقياس أن يقابل الطرف الآخر بالصفح والصبر والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وكما قال الرسول ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بلد خيرًا أدخل عليهم الرفق»، وقال أيضًا: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» والخطاب هنا موجه للزوج والزوجة فيجب على الزوج أن يكون خيرًا بأهله ويجب على الزوجة أن تكون خيرة بأهلها.

إن مقابلة الإساءة بالإساءة تجعل الحياة جحيمًا وتتحول الأسرة من وحدة استقرار الى وحدة تنافر ولا يظن أحد الزوجين أنه إذا ضغط أو أذى الآخر أنه سيكون قد أخذ حقه أو فرض سيادته وإنما سيكون هو نفسه في قمة الضيق والإرهاب العصبي، فإذا ضايق أحد الطرفين الآخر في الصباح فيظل طوال النهار في ضيق وفي نكد، أما إذا كان الأمر بالعكس بأن يقابل الزوج الزوجة بالحلم أو قابلت الزوجة إساءة زوجها بالحلم فإن الإنسان يظل سعيدًا طوال وقته ويجني ثمرة الحلم والاستقرار في البيت وفي حياة أسرته، فالشرع يوصي بتبادل الود والرحمة حتى تستقر الأسرة وتصبح مكان استقرار، ومكان سعادة.

دور الأسرة في التربية

أ.د محمد بنعزوز

التربية لغة: جاء في لسان العرب في مادة «رب» مما يتعلق بموضوعنا:
«ورَبَّ ولَدَه والصَّبيَّ يَرُبُّه رَبًّا ورَبَّبَه تَرْبِيبًا وتَرِبَّةً، بمعنى: رَبَّاه، وفي الحديث: لكَ نِعْمةٌ تَرُبُّها، أَي تَحْفَظُها وتُراعيها وتُرَبِّيها، كما يُرَبِّي الرَّجُل ولدَه، وفي حديث ابن ذي يزن: أَسْدٌ تُرَبِّبُ في الغِيْضاتِ أَشْبالا أي تُرَبِّي، وتربيبه وارتبه ورباه تربية وتَرَبَّاه: أَحسَنَ القيامَ عليه وَوَلِيَه حتى يُفارِقَ الطُّفُولِيَّةَ كان ابْنَه أَو لم يكن، والسحاب يربُّ المطر أي يجمعه وينميه، والمطر يَربُّ النبات والثرى وينميه.

الرباني: العالم المعلم، الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها، وقيل: «هو من الرب بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها»(١) نستنتج من التعاريف اللغوية لكلمة تربية ومشتقاتها المعاني الآتية:

الحفظ والرعاية وحسن القيام والولاية والتنمية والتدرج في التعليم من الجزء إلى الكل والوصول بالمربي إلى مرحلة التمام.

أما زمن التربية فهو الطفولة أي تهيئ الصبي لمرحلة الشباب والرجولة وتحمل مسؤوليته بنفسه. ويمكن تقسيم هذه المعاني إلى قسمين:

قسم مرتبط بالرعاية والولاية وما تعلق بها من حفظ وحسن قيام.

وقسم مرتبط بالتنمية عن طريق التدرج في التعليم حتى يصل إلى حد التمام.

والتنمية تقتضي أصلا التدرج، ولكن صعودا لا نزولا من نواحي مختلفة.. جسمية وعقلية ونفسية وروحية وإيمانية.

كلمة تربية في القرآن الكريم

وقد وردت بعض مشتقات كلمة تربية في القرآن الكريم، من ذلك قوله

المدرسة الأولى للإنسان في حياته هي مدرسة الأسرة.. التي ترعاها في المقام الأول «الأم»

تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢).

ونستشف منها ما يأتي:

أ- أمر الولد بالترحم على والديه، وهذا مظهر من مظاهر البر والاعتراف بالجميل.

ب- التربية قام بها الوالدان معا.

ج-زمن التربية هو الصغر.

وقد فسرت هذه الآية بما يأتي: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣). والإنسان أحوج ما يكون إلى الرحمة وهو صغير، لأنه حينها يكون ضعيفا. ومن ثم فالرحمة في حد ذاتها عنصر من عناصر التربية البناءة، لا يجب إغفاله بحال من الأحوال، بل هو أول عنصر من عناصر التربية التي تزرع أصلا في قلب الأم بعد وضعها لمولودها فتلقمه ثديها وتحوطه برعايتها وحنانها وعطفها، وهذه الأفعال كلها مشتقة من معنى الرحمة.

يقول تعالى حكاية عن فرعون وهو يعاتب موسى عليه السلام: ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ (٤) نلاحظ من خلال هذه الآية ما يأتي:

١- التربية قام بها فرعون ومن معه، أي زوجته في المقام الأول، وهذا ما أخبر عنه القرآن الكريم حينما اعترضت على قتله، كما يقتل باقي أبناء بني إسرائيل- خشية أن يبعث منهم رسول من لدن الله يحررهم من العبودية لفرعون، ويقضي على ألوهيته المزعومة- يقول الله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٥).

٢- زمن التربية: بعد الولادة، أي بدأ بتربيته الجسمية بالخصوص مباشرة بعد ولادته حينما ألقت به أمه في اليم تطبيقا لأمر الله كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

٣- الوسط وهو ما أشارت إليه الآية بكلمة «فينا»، وله تأثير كبير على تربية الإنسان. أما بالنسبة لموسى عليه السلام فلم يكن له تأثير سلبي في حياته. وهذا استثناء خاص بأحد رسل الله سبحانه.

فموسى عليه الصلاة والسلام رباه

أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن طفيل- القنيطرة- المغرب.

فرعون الظالم الذي يدعي الألوهية، ومع ذلك كان صالحا ونبيا مرسلا.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر موازنا بين موسى الرسول وموسى السامري الكافر، فالأول رباه فرعون والثاني رباه جبريل عليه السلام:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيدًا مِنَ الْأَزَلِ
فَقَدْ خَابَ مَنْ رَبّى وَخَابَ الْمُؤَمِّلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ
وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ

ومن هذين البيتين يتبين لنا أن الغاية من التربية هو السعادة، أي وصول المربَّى إلى كماله «الجسمي والإيماني والعاطفي والنفسي والعقلي...» حتى تحصل له السعادة في الدنيا، ومن حصلت له السعادة المبنية على الإيمان والإسلام حصلت له السعادة في الآخرة بفضل الله وكرمه.

التربية اصطلاحا

لايختلف التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي، بل إنه استمد منه أصلا، إلا أن الاصطلاحي أكثر بيانا وإيضاحا وتفصيلا وتخصيصا.

يقول الراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ) في مفرداته:

«الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام» (٦)

وقريب من هذا التعريف تعريف القاضي البيضاوي «المتوفي سنة ٦٨٥ هـ» في تفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» الذي يقول فيه:

«الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا» (٧).

ويرى د. علي أحمد مدكور أن التربية هي:

«إيصال الإنسان شيئا فشيئا إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها، وبذلك يستطيع القيام بحق الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله» (٨) وفي هذا التعريف، الذي انطلق مما وصل إليه الأقدمون، نوع من التفصيل والتخصيص الذي يخرج بالتربية من المفهوم العام إلى المفهوم الخاص المرتبط بالتصور الإسلامي الذي يجعل منها تربية إسلامية.

بناء الشخصية المسلمة

إن الهدف الأساس للتربية الأسرية هو بناء الشخصية المسلمة ولن تتمكن الوسائل التربوية الأخرى كالمدرسة والمجتمع من تحقيق هذا الهدف الأسمى.

«فالبيت هو المؤثر الأول، وهو أقوى العوامل التربوية جميعا «المدرسة والشارع والمجتمع»، بحكم التصاق الطفل به، وقضائه أطول فترة من طفولته في داخله، وبحكم أنه هو أول من يتسلم خامة الطفل ويؤثر في تشكيلها» (٩). فالأسرة أو البيت عامل ثابت في حياة الطفل لا يتغير، فأبواه وإخوانه وأقاربه هم هم، أما العوامل الأخرى فهي متغيرة ومتحولة بتغير الأمكنة والأشخاص، ولضعف الارتباط الموجود بين الطفل وبينها.

إن المدرسة الأولى للإنسان في حياته هي مدرسة الأسرة.. التي ترعاها في المقام الأول «الأم» التي تسهر على الحضانة والرعاية الأولى والتربية، وقد عد حافظ إبراهيم الأم نفسها مدرسة كاملة تنهض بمهمة عظيمة حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم مدرسة

لذا يفترض في الأم أن تكون معدة لهذه المسؤولية الكبيرة ألا وهي التربية، بأن تكون هي نفسها قد تلقت في صغرها تربية إسلامية كاملة تخولها تلقينها إلى أولادها وتربيتهم على غرارها، ففاقد الشيء لا يعطيه، لذا اشترط الإسلام عند اختيار الزوجة أن تكون ذات دين وخلق، حتى يرضع أبناؤها منها حسن الخلق قبل أن تلقنهم إياه، يقول الشاعر:

وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

يقول الله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج

إلا نكدا﴾ (١٠) والبيت كالبلد، فالبيت المؤمن الطيب يعطي أولادا مؤمنين طيبين صالحين والعكس صحيح. من هنا يظهر أثر البيئة والوسط في التربية. فالأسرة هي التربة الخصبة للتربية البناءة المثمرة.

فالأسرة مسؤولة عن توجيههم والأخذ بيدهم، فهم أمانة في عنقها، ونعمة من نعم الله على الأسر ولكنها نعمة مشفوعة بتكليف وهو التربية. ولولا هذا التكليف لكانت نعمة الأولاد عبثا من العبث، والإنسان مسؤول يوم القيامة عن هذه النعمة هل حافظ عليها أم ضيعها؟ يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١١).

ويقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (١٢).

الصياغة العقدية والنفسية

إن الأسرة مسؤولة عن الصياغة التي تصوغ عليها أولادها من الناحية العقدية والنفسية والعاطفية. فهم يولدون كالصفحة البيضاء سليمة من كل خدش أو وسخ أو عيب، إنهم يولدون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فطرة مهيئة لعبادة الله واتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه، فطرة مسلمة مؤمنة، فطرة لها القابلية لفعل الخير والابتعاد عن الشر.

فالفطرة كالجهاز المبرمج على طريقة خاصة، إما أن يحافظ أصحابه على برمجته وينموها ويطوروها، وإما أن يضيعوها ويخربوها. فكما أن الطفل مهيأ أصلا لتعلم اللغات لتوفر وسائل التعليم عنده من سمع وبصر ولسان وقدرة فطرية خلق عليها كامنة في عقله تمكنه من تداول ما يتداوله الناس من كلام، وإبداع أسلوب خاص في الكلام والكتابة أيضا، أو ما يسميه علماء اللغة المعاصرون بإنتاج كلام جديد. فكذلك فطرة الطفل مهيأة للإيمان بالله سبحانه كأنما برمجت في السابق، ولاشك في ذلك، ما دام الله سبحانه قد أشار إليه في أكثر من آية من القران الكريم.

يقول الله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٣).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١٤).

الأب والأم والدور المشترك

ولكي تتحقق الاستجابة لمطالب الفطرة، لابد من أداء الأسرة، ممثلة في الأب والأم، دورها والقيام بمسؤوليتها التربوية الإيمانية. يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (١٥).

نستنتج من هذا الحديث النبوي ما يأتي:

١- أن المسؤول عن تربية الولد هو الأب والأم وليس أحدهما.

٢- أن المولود يولد على فطرة سوية مهيئة للإسلام.

٣- أن الأبوين اليهوديين يهودان مولودهما حينما يدرك ويميز، كذلك يفعل الأبوان النصرانيان أو المجوسيان مع ابنهما أو ابنتهما.

٤- أن تغيير فطرة المولود ليس محصورا في هذه العقائد الثلاث، بل جيء بها فقط للتمثيل، أما لائحة العقائد الفاسدة فهي كثيرة كالهندوسية والسيخية والبوذية والكونفوشيوسية والوثنية، تضاف إليها العقائد والمذاهب الحديثة كالشيوعية والليبرالية والعلمانية.

٥- أن مدار التربية البارز هو الجانب العقدي، أي المحافظة على فطرة المولود الأصلية وهي الفطرة المهيأة للإيمان والإسلام.

أما التربية الجسمية من إطعام ورعاية مادية وتهيئة لكسب القوت فإن جميع الحيوانات والطيور تقوم بها تجاه

صغارها. وهذا لا يقلل من شأنها بل هي ضرورية كذلك.

٦- أن الآباء اليهود أو النصارى أو المجوس يغيرون فطرة أبنائهم وينحرفون بها عن نهجها الأصلي، فتنشأ معوجة غير مستقيمة، منحرفة غير مستوية.

أما المطلوب فهو المحافظة على الفطرة وتزكيتها بالتربية الإيمانية وتنميتها حتى تنهض بفضائل الأعمال.

إذا كان الهدف الأسمى للتربية الأسرية من منظور الإسلام هو بناء الشخصية المسلمة القوية الفاعلة، فإن ذلك ينطلق من بداية حياة الإنسان، مرحلة الصبا والطفولة بالمحافظة على الفطرة من خلال التربية الإيمانية والتربية الخلقية والتربية النفسية والتربية العاطفية والتربية العقلية والتربية الجسمية.

ما المقصود بالشخصية المسلمة؟

إنها الإنسان كما يريده الله سبحانه وتعالى أن يكون، مؤمنا مسلما صالحا مجاهدا داعيا إلى الله آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر.

إنه من تحقق فيه الهدف من التربية، وهو السعادة في الدنيا. ولا يمكن أن تتحقق هذه السعادة إلا باتباع ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ. فكتاب الله منهاج حياة، منهاج دين وأخلاق وتربية، فباتباعه ينجو الانسان من مهالك الدنيا والآخرة، ولذلك خاطب الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ بقوله: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (١٦).

وإذا أمعنا النظر في فاتحة الكتاب نجدها تتضمن منهجا تربويا مهما يتمثل فيما يأتي:

أولا: الإيمان.

ثانيا: العبادة.

ثالثا: منهج الحياة.

«لقد ذكر ابن عمر رضي الله عنهما في أثر صحيح محدثا عن حال الصحابة

الأسرة مسؤولة عن الصياغة التي تصوغ عليها أولادها من الناحية العقدية والنفسية والعاطفية

قال: لقد عشنا برهة وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وقد ذكر الله في الفاتحة العقائد أولا، ثم ثنى بالعبادة، ثم ذكر مناهج الحياة مما يدل على أن مناهج الحياة الصحيحة تكون أثرا عن عبادة وعقيدة صحيحة، من هاهنا فنحن نركز على العقيدة أولا ثم على العبادة ثانيا ثم على مناهج الحياة» (١٧).

وهذا الخطة التي سارت عليها الفاتحة تصلح خطة لتربية الأولاد تربية إسلامية، فيجب في البداية أن نعرفهم بعقيدتهم حتى يؤمنوا بها، ثم نحثهم على التطبيق والممارسة الإيمانية من خلال أداء بعض العبادات خاصة الصلاة ثم التدرب على الصيام والمعاملات الإسلامية التي يمكن أخذها عن الوالدين نظريا وتطبيقيا من خلال سلوكهما «أي القدوة الحسنة»، وحينما يجمع الولد بين الأمرين «العقيدة والعبادة» فإنه سيكون قد تلمس طريق الهداية والاستقامة ومنهجه في الحياة وذلك حينما يصير شابا يافعا يعتمد على نفسه في المقام الأول.

وإذا أردنا أن نجمل أهداف التربية التي يجب على الأسرة المسلمة أن تقوم بها، فإننا سنحصرها فيما يأتي:

١- المحافظة على فطرة الطفل التي فطِرَ عليها، وهو أنه ولد مهيأ للتوحيد.

٢- تقوية عناصر هذه الفطرة فيه، بتربيته إيمانيا وروحيا.

٣- تهيئته لكي يكون مسلما صالحا نافعا، يقوم بدوره في المجتمع، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله.

٤- هذه التهيئة تتمثل في تكوينه تكوينا يشمل كل كيانه: جسميا وعقليا وإيمانيا وخلقيا ونفسيا.

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

الهوامش

١- لسان العرب، المجلد ٣، ص١٤-١٥. دار صادر- بيروت. ط١. ١٩٩٧م.
٢- سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
٣- تفسير الجلالين، ص٣٥٩. دار الكتب العلمية- بيروت د.ت.
٤- سورة الشعراء، الآية: ١٨.
٥- سورة القصص، الآية: ٩.
٦- المفردات في غريب القرآن، ص١٩٠. دار المعرفة- بيروت. ط١. ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٧- نقلا عن كتاب: أصول التربية وأساليبها، لعبدالرحمن النحلاوي، ص١٣. دار الفكر- دمشق .ط١. ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٨- منهج التربية في التصور الإسلامي ص٢٦٥. دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٠.
٩- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق القاهرة بيروت ١٤١٧-١٩٩٧.ص٩٤.
١٠- سورة الأعراف، الآية ٥٨.
١١- سورة التحريم، الآية: ٦.
١٢- رواه البخاري.
١٣- سورة الروم الآية: ٣٠.
١٤- سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
١٥- متفق عليه.
١٦- سورة طه، الآية ١-٢.
١٧- انظر كتاب: «كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر» للشيخ سعيد حوى. دار عمار- بيروت- عمان. ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص:٤٩٩.

دراسة تؤكد: ٣٤٪ من الأزواج يتم ضربهم بمعرفة الزوجات!

من يحمي الأزواج من عنف الزوجات؟!

تحقيق: نجاح إبراهيم

في العهود الماضية، كنا نسمع صراخ النساء من تسلط الرجال عليهن، حتى ظهرت دعوات في كثير من بلاد الله تنادي بحماية المرأة من عنف الرجل، وهذا صار عرفا عالميا، غير أنه في الآونة الأخيرة، تعالت الأصوات المطالبة بحماية الرجل من عنف المرأة، خاصة بعد الحوادث والجرائم التي اقترفتها «حواء المعاصرة» في حق الرجل المسكين، فمن يحمي الرجل الآن من عنف النساء؟!

في تقرير أعدته «منظمة حقوق الإنسان الدولية» عن الأحوال المعيشية بمصر أكد التقرير ارتفاع نسبة قضايا الأحوال الشخصية التي يرفعها الأزواج عن إصابتهم بإصابات مختلفة.

حيث أكدت دراسة ميدانية أن أكثر من ٣٤٪ من الأزواج يتم ضربهم بمعرفة شريكة حياتهم، وأن هذه الظاهرة متفشية في الأحياء الراقية، خاصة في القاهرة بينما تتراجع هذه الظاهرة في الأرياف لتصل إلى أقل من ٢٠٪.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: من يحمي الرجال من عنف النساء؟!

عرضنا هذا الموضوع على أهل الاختصاص من علماء النفس والاجتماع والدين.. فماذا قالوا؟ وما هي رؤيتهم للعنف من النساء ضد الرجال؟ وما هي أسباب هذه الظاهرة المرضية الشاذة؟ وكيفية التخلص منها أو القضاء عليها؟

التفكير المضطرب

إن جرائم المرأة غالبًا ما تحدث إما نتيجة اضطراب في شخصيتها مثل الإصابة بمرض الانحراف السيكوباتي للشخصية والذي يتصف بالميول العدوانية ضد المجتمع، والرغبة في التخريب والإيذاء مع السعي وراء المكاسب الشخصية، وهذا ما أكده د.فريد عثمان، أستاذ الطب النفسي بالقاهرة، وقال: قد يكون عنف المرأة نتيجة لإحساسها بالضعف وفقدان الحنان، فهي تدافع بجريمتها عن كيانها ووجودها، وتحاول أن تثبت ذاتها وتنعم بشرفها وكرامتها، وقد تكون جرائم المرأة نتيجة لأمراض نفسية أخرى مثل حالات الفصام العقلي، حيث يحدث اضطراب في التفكير ومعتقدات خاطئة وهلوسات سمعية أو بصرية تأمرها بفعل الجريمة، وقد تكون نتيجة لمرض التخلف العقلي أو في حالات الهياج الحركي الشديد في بعض الأمراض الوجدانية مثل الهوس أو حالات الجنون.

وأضاف يقول: ليس بالضرورة أن تكون المرأة التي تقدم على الجريمة في حالة مرضية نفسية، فربما تكون سليمة وسوية من الناحية العقلية، وإنما يكون هناك دوافع اجتماعية وأسرية هي التي سببت حدوث الجريمة.

وجريمة المرأة عمومًا تأخذ الشكل المعنوي من حيث دوافعها، بمعنى أنها تكون بدافع الغيرة أو الشك أو الحب أو الحقد أو الحسد أو الخوف أو القلق.

ويؤكد د.فريد عثمان أن الدين له

فريد عثمان : ليس بالضرورة أن تكون المرأة التي تقدم على الجريمة في حالة مرضية نفسية

الجيوشي : العلاقة الزوجية في الإسلام ليست استرقاقاً بل شراكة بالمعروف

دوره البنّاء في علاج مثل هذه الحالات بالذات، فهو يدعو لتماسك الأسرة، ونشر الفضيلة، وبث روح العقيدة في نفوس الأفراد، وهو يؤكد على أهمية الترابط بين أفراد الأسرة ويحدد ضوابط العلاقة بين الزوجين، ومن ثم معدل الجريمة عند الأسرة الملتزمة دينيًا يصبح أقل بكثير من غيرها، لأن الوازع الديني هو صمام الأمان لأي عمل شاذ فيه أذى للآخرين.

المظاهر الإجرامية

ومن جانبها، ترى د.عزة كريم، الأستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن المظاهر الإجرامية تتغير وتتقلب عند فقدان الوعي الديني، لأن الدين هو الوازع لعدم ارتكاب الجرائم أو الاعتداء على الحرمات، فالمؤمن لا يقتل ولا يسرق ولا يكذب ولا يزني، وعمومًا فمعظم ما نعانيه من جرائم وتهديد للقيم هو شيء طبيعي لبعدنا عن الدين.

وتؤكد د.عزة: أن الدين الإسلامي وضع العلاج لهذه الجرائم، والجرائم التي ترتكبها المرأة في حق نفسها وأسرتها أنواع وقد وضع الإسلام علاجا لكل حالة، فالزنا عالجه الإسلام بمثل حديث الرسول ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (متفق عليه).

والدين الإسلامي يدعو المرأة إلى التحشم والبعد عن الإثارة والإفساد حيث قال تعالى: ﴿يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (الأحزاب: ٥٩)، ولو كان هذا الوضع الإسلامي قائمًا والتزمت به المرأة لحفظت نفسها وحفظت أسرتها ولما أساءت إلى بيتها وزوجها.

وتؤكد أن تبنينا للنظم الغربية وتقليد المرأة لها جعلها تتمرد على مجتمعها الملتزم والمتدين وجعلنا نواجه العديد من المشكلات التي غالبًا ما نعجز عن حلها.

أزمة المجتمعات المعاصرة

أمّا علماء الدين فهم يرون أن تمرد المرأة وعصيانها وعنادها على الأسرة وزوجها يرجع في المقام الأول لقصور التربية الدينية داخل الأسرة، فلو أحسنا التربية السليمة للأبناء والبنات لما حدث ما يحدث الآن من جرائم.

فالدكتور عبدالمعطي بيومي، الأستاذ بجامعة الأزهر، يؤكد أن المجتمعات المعاصرة التي تخلت عن مواريث القيم والأخلاق والأعراف الحميدة تدفع الآن ضريبة التربية الخاطئة والثقافات المنحرفة المستوردة من الشرق والغرب، متجاهلين لتراثهم العربي والإسلامي الكفيل بضمان أمنهم واستقرارهم.

علاقة المودة والتراحم

هذا، ويشير د.محمد إبراهيم الجيوشي، العميد السابق لكلية الدعوة الإسلامية بالأزهر، إلى أن العلاقة الزوجية في الإسلام بين الرجل والمرأة ليست استرقاقًا، بل هي شراكة بالمعروف تختلط فيها المصالح ويندمج بها كل طرف مع الآخر وتلتقي رغباتهما في الحاضر والمستقبل وتأكيدًا لذلك قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ (النساء: ١٩)، وتحت مدلول هذه الآية يندرج كل ما من شأنه أن يغرس المودة والتراحم بين الزوجين بحيث تكون الأسرة مستقرة ومطمئنة في كل شأن من شؤونها وقد حدد الإسلام بعض الواجبات تحديدًا واضحًا حيث حدد ما يتصل بالنفقة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧).

والرجل ليس مكلفًا بالنفقة في كل ما تهوى المرأة وتشتهي حقًا كان أو باطلًا، وإنما يعطي بالضروريات للمأكل والملبس والمسكن وأيضا كالخادم أو السيارة وبعض النفقات التي تتناسب مع الوضع الاجتماعي الذي يقرره الشرع الحكيم من مراعاة لقدرة الزوج المادية.

تأسست سنة (٦٧٦هـ)

المكتبة الظاهرية في دمشق الشام

تركي محمد النصر

تعد المكتبات في الحضارة الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون، وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية بين المسلمين، ولقد استوعب المسلمون الإنتاج المعرفي الذي قدمته الحضارات التي سادت قبلهم، وترجموا إلى اللغة العربية جزءاً كبيرًا من تراث الأمم من يونان وأقباط وهنود وغيرهم، وقد يصح القول إن الحضارة الإسلامية حضارة كتب ومكتبات. وقد أحب المسلمون الكتب حبًا ملك مشاعرهم، يقول الكاتب ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة): «لم يبلغ حب الكتب في بلد آخر من العالم - إلا في بلاد الصين في عهد منغ هوانغ - ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر».

تأسست أول مكتبة أكاديمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وتطورت المكتبات وازدهرت في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وبلغت ذروتها في القرن الرابع.

وبنيت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة بيت الحكمة التي كانت مركزًا مهمًا لترجمة الكتب التي جمعها المسلمون من خزائن الكتب في مختلف أرجاء العالم، واجتمع فيها عدد كبير من العلماء والباحثين كحنين بن إسحق، والخوارزمي، وسهل بن هارون، وسعيد بن هارون، وعرفت لاحقًا المكتبات العمومية وكان من أشهرها المكتبة الظاهرية في دمشق الشام.

تمهيد

في قلب المدينة العريقة دمشق القديمة وبالقرب من الجامع الأموي الكبير، وفي نهاية سوق البريد المتفرع من سوق الحميدية الشهير توجد المكتبة الظاهرية التي تعتبر أقدم مكتبة عامة في بلاد الشام حيث تأسس بناؤها قبل حوالي ٧٠٠ سنة، وقد ذاع صيت الظاهرية كثيرًا لأنها كانت تعتبر من أكبر المكتبات في العالم، وكذلك للدور الكبير الذي لعبته في تعريب العلوم، وللعدد الكبير من المخطوطات والكتب التي تحتويها هذه المكتبة الفريدة والتي استفاد منها آلاف الباحثين والعلماء من داخل سورية وخارجها. ومازالت الظاهرية حتى يومنا هذا تؤدي دورًا كبيرًا في تقديم الخدمات العلمية والثقافية لروادها من الباحثين وطلاب العلم الدارسين في الجامعات، وأصبحت أيضًا تشكل منارة علمية وسياحية وأثرية هامة حيث تتميز أبنيتها المعمارية الجميلة بروعة هندستها، حيث تضم المكتبة بناءين أثريين هما من الأوابد الأثرية والمعالم السياحية في دمشق ويعتبران نموذجين لطراز العمارة والهندسة البنائية في العهدين الأيوبي والمملوكي.

في سنة (٦٧٦ هـ) أمَر الملك «السعيد أبوالمعالي ناصر الدين محمد بركة خان» ابن الملك الظاهر بيبرس ببناء مدرسة «الظاهرية» لتكون مدرسةً للشافعية والحنفية ودارًا للحديث، وتُربةً لوالده، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي، وكانت قصرًا للأيوبيين يقعُ من دمشق في حيّ العمارة بين بابَي الفرَج والفراديس؛ تجاه المدرسة العادلية؛ بينهما طريقُ باب البريد المُفضي إلى الجامع الأموي، ولعلّهُ توخّى من ذلك أن يجعل هذين الصّرحين المتقابلَين مُنسجمَين كلّ الانسجام كوحدة عمرانية يكمل جمال الأول روعةَ الثاني، وقد أفلَح في مسعاه فالمدرستان نهضَتا مَنارًا للثقافة العربية والإسلامية، وربضَتا وجهًا لوجه بروعة وجلال تروعان كلّ ناظِر، لتكونان فيماً بعد المكتبة الظاهرية.

عمَارتها وافتتاحها

بدأت عمارة الظاهرية يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة (٦٧٦هـ)، واستمرّ العملُ في بنائها حتى يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنة (٦٧٧هـ)، وافتُتحت قبل إتمام بنائها وبُدئ التدريس فيها، حيث ألقى الدّرسَ الأولَ في الإيوان الشرقي الشيخ رشيد الفارقي مُدرّس الشافعيّة، فيما ألقى مُدرّس الحنفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي العز في الإيوان القبلي الدرس الأول أيضًا.

وتعتبر المكتبة الظاهرية من الأبنية التاريخية التي مازالت تحتفظ بالكثير من النقوش والكتابات على جدرانها وأبوابها، ولعل واجهتي الظاهرية من أجمل ما بنى المماليك، فهما مشيدتان بالأحجار المنحوتة وفي أعلاهما كوى

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

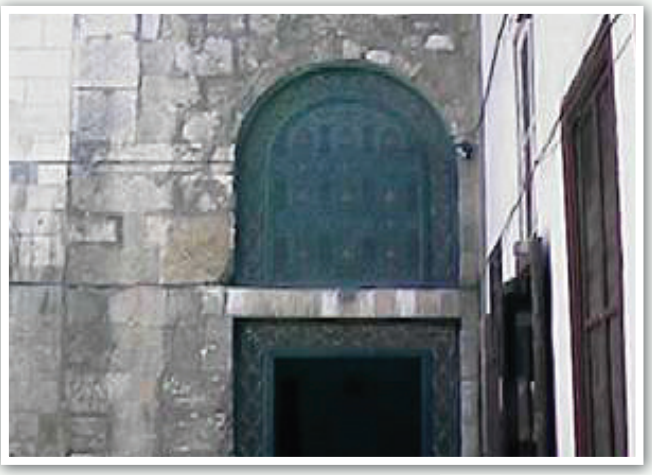

مستديرة تحيط بها زخارف هندسية.

أما المدخل الرئيسي فهو مبني بأحجار بيضاء وصفراء، وأما قاعة الضريح للظاهر بيبرس التي أقيمت حولها خزائن الكتب فهي مربعة الشكل وتكسو جدرانها زخارف مرمرية ملونة من الفسيفساء الزجاجية الرائعة.

محتوياتها

تضم المكتبة ثلاث قاعات:

١. قاعة الأمير مصطفى الشهابي.

٢. قاعة الشيخ طاهر الجزائري.

٣. قاعة خليل مردم.

أما قاعة «مردم» فهي خاصة بالباحثين والمؤلفين حيث توضع تحت تصرفهم كافة المراجع والمخطوطات والكتب القيمة لإنجاز أبحاثهم، فيما خصصت قاعتا الشهابي والجزائري للطلاب من المرحلة الإعدادية وحتى الجامعية، ويبلغ عدد رواد المكتبة في العام الواحد وسطيًا حوالي ٤٥ ألف طالب علم، وتبلغ عدد الكتب المُعارة في السنة الواحدة ٣٠ ألف كتاب، كما بلغ عدد الكتب الموجودة في المكتبة الظاهرية ٧٨ ألف كتاب وما يقرب من ٨٥ ألف مجلة مقسمة إلى أصول وفروع، أما قسم المخطوطات فقد بلغت محتوياته حوالي ١٣ ألف مخطوط قديم ونادر، وتضم المكتبة كذلك قسمًا خاصًا بالصحف والمجلات وأمهات الكتب

إذا ذُكرت المكتبة الظاهرية ذُكر العلامة المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني

والدوريات والمعاجم.

أما المبنى الثاني من المكتبة الظاهرية والمقابل للمدرسة الظاهرية حيث يفصل بينهما زقاق فقط هو المدرسة العادلية التي ظلت على مدى سبعة قرون ونصف تدرس اللغة العربية كما شهدت أحداثًا هامة، وقد قسمها الملك العادل إلى قسمين.. قسم الفقه، وقسم القراءات والعلوم العربية، وفي عهد نور الدين زنكي الملقب بالشهيد صارت مقرًا للعلماء والفقهاء، وفي عام ١٩٢٠ ميلادي تأسس فيها المجمع العلمي العربي وظل يشغل المدرسة حتى انتقاله لمقره الجديد قبل حوالي ربع قرن في حي المالكي بدمشق.

موارد الظاهرية

كان للمدرسة أوقافٌ كثيرة من القُرى والبساتين والعقارات التي مَكّنَ رَيعُها الوفير من تمويلها وتأمين احتياجاتها، وحاجات القائمين عليها، وطلبة العلم المُقيمين فيها، الذين كَفَتهُم مؤونةَ العَيش، لِتستمرّ ردْحًا من الزمن مَثابةً للعلْم وطُلّابه، وتتمكّن- بسبب رَيْع هذه الأوقاف- من تقديم صُنوف العلْم والمعرفة لبضعة قرون امتدّت من أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة.

الظاهرية داركتب

في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة تضاءل شأنُ المدرسة الظاهرية بعدَ عزّ وبعْد صيت بسبب ضياع أوقافها ونقْص مَواردها، وساء حالها، وبخاصة بعد أن أقامَت الحكومة التركية فيها مدرسةً ابتدائية رسمية، وكادت تلفظ أنفاسَها لولا أن سخر الله لها ثلة من العُلماء أعضاء الجمعية الخيرية التي ألّفها الوالي العثماني مدحت باشا، وأسنَدَ إليها أمْرَ العناية بالتعليم والمدارس في البلاد، إذ أشاروا عليه بجمْع كنوز المخطوطات الموقوفة على مدارسَ دمشق صَوْنًا لها من الاختلاس والسرقة والضياع، فكَتَبَ بذلك إلى السلطان عبدالحميد، وحصل منه على مرسوم في شهر شباط من سنة ١٢٩٥هـ بجمْعِ المخطوطات في مكتبة عامة يكون مَقرُّها في تربة الملك الظاهر الكائنة ضمن المدرسة الظاهرية لِمتانتها ولياقتها لتلك الغاية.

مرحلة الجَمْع

في العام ١٢٩٥هـ، ١٨٧٧م، وبإذن من والي الشام مدحت باشا، شمّر مفتش

التعليم العام في دمشق الشيخ طاهر الجزائري وصَحْبُهُ عن ساعد الجِدّ وانطلقوا إلى مكتبات دمشق يجمعون ما فيها، ولقي الشيخ طاهر وصحبه ما لقوا ممن استحلّوا أكل الكتب والأوقاف، وتحمّلوا منهم مقاومةً شديدة حتى هدّدوا الشيخ بالقتل إن لم يرجع عن قصْده فما زادوهُ إلا مَضاءً، وجمع وصحبه نفائس الكُتُب المخطوطة والمطبوعة من تراثنا العربي والإسلامي من عشْر مكتبات أساسية ومما زُوِّدت به المكتبة من المؤسسات الرسمية، ومن العلماء الخيّرين الغيورين. وأُحْصِيَت المخطوطات والكُتب وصُنِّفت وفُهرِسَت، ووضِعَت في خزائن قُبَّة الملك الظاهر حول الضّريحَين، وتحوّلت إلى مكتبة عامة سُمّيت بـ«المكتبة العمومية»، وفتَحَت أبوابها للمُطالعين سنة ١٨٨١م؛ وأينَعت في دوحتها ثمار العِلْم والمعرفة.

وظلّت الظاهرية مثابةً للعلم وطُلّابه؛ تؤدّي رسالتها العلمية والثقافية وظلّ ينبوعها الفيّاض على رُوّادها بالعلم والعطاء والمعرفة، ورفَدَت مكتبةَ الأسد الوطنية- حين تأسّست- بجميع مخطوطاتها، وبالكثير الجمّ من عيون كُتُبها ودورياتها، فنقصتَ خزائنها، وشحّت مواردُها.

ترميم المكتبة الظاهرية

قيّض الله للمكتبة الظاهرية في الآونة الأخيرة مَن يُحْيي عمارتها، وبدأت فيها أوسع وأدق عملية ترميم، لإعادة مبناها إلى أصول عمارته التراثيَّة الأولى. وبدأت أعمالُ التدعيم والترميم فيها في التاسع عشر من نيسان من عام ٢٠٠٧م.

هذا وقد وضَعت إدارة المكتبة خطةً شاملةً لإحياء المكتبة الظاهرية، وتحقيق الغايات المأمولة منها على الوجْه الأمثل، والارتقاء بمديريّاتها ووسائلها وأجهزتها وأنظمة تصنيف وفهرسة كُتُبها؛ بما يتلاءم مع رُقيّ الطراز المعماري الرفيع

الذي سيؤول إليه صَرْحُها بعد الفراغ من ترميمه، والخطة التي رُسمت لإعداد المكتبة كالتالي:

١. إدخال جميع عناوين الكُتُب التي لم تُدخَل بعدُ إلى الحاسوب مع تفاصيل نشْرها.

٢. تدقيق جميع العناوين المُدخَلة سابقًا، وبيان مدى مطابقتها للبيانات المدوّنة في سجّلات التزويد.

٣. استلال الكُتُب الأجنبية من مستودعات الكتب العربية، وإحالتها على مواضعها وأرقامها في سجلات الكتب الأجنبية، وإيداعها مستودعات خاصة بها حسب اللغات المُصنّفة فيها؛ تمهيدًا لفَهرستها وتصنيفها من اللجان المُختصّة.

٤. السّعي الحثيث لتزويد المكتبة الظاهرية بما تفتقر إليه من الكتب والمراجع في مختلف فنون التراث العربي والإسلامي، وبالكتب الصادرة حديثًا في مختلف العلوم وبخاصة علوم العصر.

٥. إعادة فهرسة وتصنيف الكتب حسب نظام ديوي العشري المُعدّل؛ لعدم ملائمة التصنيف القديم المعمول به فيها، وذلك بالتعاون والتنسيق مع مكتبة الأسد الوطنية، واستغرق هذا المشروع الضخم البالغ الأهمية قرابة سنة كاملة بعد أن حُشِدَ له العدد المناسب من المؤهّلين أو من ذوي الاختصاص.

٦. فَرْز الكتب النادرة في المكتبة الظاهرية عن سائر الكتب، وتجهيزها لإيداعها مستودعًا تتوافر فيه جميع الشروط الفنية اللازمة لحِفْظها وصيانتها.

علماء في الظاهرية

من العلماء الذين يذكرون إذا ذُكرت الظاهرية العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ت: ١٩٩٩م، أحد أعلام دمشق حيث أمضى فترة من الزمن في المكتبة الظاهرية وهو يقوم بفهرسة كتب الحديث فيها، وألف كتابًا بعمله أسماه فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية، ويذكر الألباني في كتابه هذا أن ما دعاه إلى فعل ذلك هو البحث عن ورقة ضائعة من مخطوط لكتاب ذم الملاهي للحافظ ابن أبي الدنيا، حيث مر ودقق آلاف المخطوطات من أجل العثور عليها إلا أنه في النهاية لم يتمكن من ذلك.

المصادر

١- المكتبة الظاهرية.. صورة التاريخ في الحاضر، لسمير الزعبي.
٢- موقع الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني على الشبكة العنكبوتية.
٣- موقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا).
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

كيف تجذب الأصدقاء إليك؟

د.ناني علي كشك

● هل أنت لبق في حياتك؟

● الطريق إلى الحديث الجذاب.

يجد بعض الشباب مشكلة بسبب عدم انجذاب الآخرين لحديثهم أو عدم الاهتمام بمتابعة ما يقولونه- كما يجدون صعوبة في مناقشة مسألة مهمة أو تبادل الآراء المختلفة بصورة سلسلة وبلا خوف أو إحراج.

وهناك طرق عديدة وسهلة تساعدك على أن يكون كلامك حلوا وجذابًا تشد الآخرين إليك.

● اهتم بأن يكون لكلامك معنى لديك ولدى الآخرين وألا يكون مبهما أو موجهًا لصديق واحد دون الآخرين حتى لا يتضايق بقية الأصدقاء نتيجة عدم فهمهم.

● تجنب أن يكون حديثك دائمًا بلا هدف أو أن يكون بغرض تسلية الآخرين فقط لنيل رضاهم فهذه الطريقة تصرف الناس عن الاهتمام بحديثك أو متابعته.

● إذا وجدت أن أصدقاءك لا يهتمون بحديثك أو لا يعيرونك الانتباه الكافي فهذا يرجع لعدة أسباب منها أن يكون موضوع حديثك غير جذاب لهم أو لا يهمهم أو هو موضوع قديم ملوا الحديث فيه وضاقوا بمناقشته فأبحث أولًا عن سبب انصراف الناس عن متابعتك.

● اهتم بأن يكون كلامك جادا وطريقتك جادة مادام الموضوع جادًا لا يحتمل الاستخفاف به فلا تقحم فيه بعض النكات أو التعليقات بدون مناسبة أو ظنا منك أن هذا الأسلوب يشد الآخرين ويفرحهم.

● لا تختلق قصصًا أو مغامرات لم تحدث لك لكي تشد بها إنصات وإعجاب الأصدقاء، إذ سينكشف سريعًا أن كلامك وقصصك غير حقيقية، وهنا سيصعب على اصدقائك الوثوق بكلامك مرة اخرى.

● تجنب أن تكون كلمة «أنا» هي أكثر الكلمات في حديثك فتكرارها يشير إلى الأنانية والانفصال عن الآخرين.

● لا تفرض رأيك على الآخرين إذا لم يقتنعوا به، ولا تدَّع معرفتك بكل الأمور أو بكل التفصيلات، ولا تطالب اصدقاءك ألا يصدقوا أحدا غيرك.

● الحديث الجذاب لا يعني أن تستحوذ على الجلسة كلها أو ألا تعطي فرصة لصوت آخر غيرك فإذا رغبت أن يستمع لك اصدقاؤك أو اخوتك فيجب عليك أن تستمع أنت أيضا لهم، وأن يكون الحديث مشتركًا بعيدًا عن العصبية أو التكلم بصوت عال للفت النظر.

● لا تقاطع من يتحدث لكي تعترض أو توافق على ما يقول وانتظر حتى ينتهي من كلامه لتعبر أنت عن رأيك.

● لا تستخف برأي الآخر أو تكذبه حتى لو كنت تعرف أنه غير صادق حتى لا تحرجه ويمكنك أن توضح الصورة الحقيقية بعد ذلك بطريقة لبقة ودون الاساءة لأحد.

● تجنب الدخول في مناقشات غير مجدية أو قد تسبب حدوث شقاق وحرج بينك وبين اصدقائك واحرص على احترام رأي الآخر حتى لو لم تقتنع به.

● لا تتحيز لصديق معين أو لكل ما يقوله على حساب الآخرين فتظل تمتدح في ارائه وفي طريقة تفكيره.. فهذا الأمر يجعل بقية الأصدقاء يتجنبون الحديث معك.

● لا تجرح مشاعر أحد حتى لو كنت تعرف أشياء أو أسرارا عن أحد الأصدقاء فلا تصرح بها لأحد وتجنب أن تجرح مشاعره وإذا شعرت بالالتزام أو بالواجب نحوه فليكن حديثك مع الصديق على حدة.

● كن لبقًا عندما يقاطعك أحد أو يختلف معك في الرأي فلا تحرج أو تصمت، بل قل إن هذا رأيه أما رأيك أنت فهو... وهكذا تتجنب حدوث صدام أو حدة في الكلام.

● إذا حدث واختلف صديقان في الرأى واحتدت مناقشتهما امامك فحاول تهدئة الجو بينهما باستخدام بعض التعليقات الخفيفة أو بمحاولة إنهاء هذه المناقشة ومحاولة لفت نظرهما لشيء آخر لصرفهما عن مناقشاتهما.

● إذا طلب منك اصدقاؤك إبداء رأيك في موضوع لا تعرفه أو تعرف أن رأيك قد يغضب الآخرين منك فلا تتحرج من إخبارهم انك لا تعرف أو أنك تفضل الاحتفاظ برأيك، ولا تتسرع بالادلاء بأي رأي إرضاء لهم.

باحثة في التنمية البشرية

الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع «يرحمه الله»

يعتبر الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، أحد كبار علماء منطقة الجزيرة العربية في القرن الرابع عشر الهجري، وممن ذاع صيتهم في المنطقة وكان لهم جهود مباركة في نشر العقيدة السلفية والفقه المبني على الدليل من الكتاب والسنة والإجماع، وبيان البدع والأخطاء وردّها. ارتحل الشيخ خلال طلبه للعلم إلى العديد من الدول العربية حيث درس على عدد كبير من كبار العلماء في تلك الفترة والذين أثرّوا فيه كثيرًا. قام الشيخ بدور كبير في بداية التعليم النظامي الحديث في دولة قطر ويعتبر مؤسس أول مدرسة رسمية في قطر، وقد خرّجت العديد من رجالات الدولة الذين تقلدوا أرفع المناصب وخاصة في المحاكم الشرعية والشؤون الدينية وقد ترك الشيخ عددًا كبيرًا من المصنفات العلمية والتحقيقات والحواشي لكتب العقيدة السلفية والفقه الحنبلي.

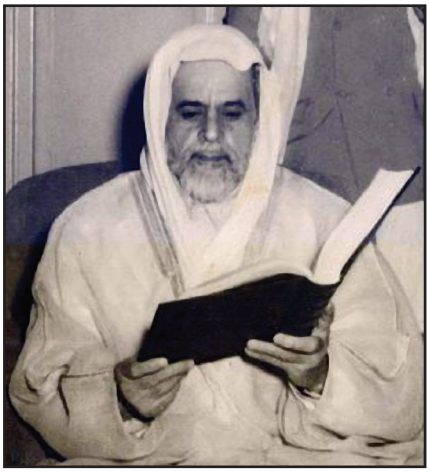

اسمه ونسبه

هو العلامة الحافظ الفقيه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهبي التميمي، ولد في عنيزة بنجد سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة في بيت علم ودين وورع وتقوى حيث كان والده وجده من علماء عنيزة وقضاتها، أدخله والده في مدرسة تحفيظ القرآن عند بلوغه السابعة، وتوفي والده وهو صغير، استمر في حفظ القرآن بعد ذلك حتى ختمه، ثم شرع في قراءة مبادئ العلوم الشرعية على علماء بلدته. درس على يد كثير من العلماء في عنيزة منهم:

الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل.

الشيخ صالح العثمان القاضي.

الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر.

حيث درس عليهم العقيدة والفقه الحنبلي واللغة العربية.

رحلته في طلب العلم

سافر رحمه الله في طلب العلم إلى بريدة فدرس على علمائها كالشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، في الحديث والمصطلح والقرآن ثم سافر إلى بغداد حيث اتصل بالشيخ محمود شكري الآلوسي فقرأ عليه مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي المعاني والبديع والبيان كألفية ابن مالك وشرح السيوطي، والعقيدة السفارينية، كما التقى بالشيخ علي بن السيد نعمان الآلوسي فقرأ عليه في النحو والصرف والفقه والفرائض والحساب، ثم رحل إلى الزبير ودرس على الشيخ محمد العوجان في الفقه الحنبلي والفرائض والحساب.

ثم سافر الشيخ إلى دمشق ولازم علامة الشام جمال الدين القاسمي، وسمع عليه صحيح البخاري، كما حضر عند الشيخ بدر الدين الحسني محدث الشام في الجامع الأموي، وحضر دروس علامة دمشق محمد بهجة البيطار.

حياته العملية

ترأس الشيخ نادي البحرين الذي أُنشئ للرد على الحملات التبشيرية التي انتشرت في تلك الفترة في أطراف الجزيرة العربية، وفي عام ١٩١٥م، طلبه حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني فولاه القضاء في قطر والتدريس والخطابة، فمضى في هذا العمل لمدة ثلاثة وعشرين عامًا ارتحل خلالها عدد كبير من الطلاب للدراسة عنده في المدرسة الأثرية من الدول المجاورة.

وفي عام ١٩٣٩م طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود فولاه التدريس في المسجد الحرام، ثم عينه رئيسًا لثلاث هيئات، وهي هيئة تمييز الأحكام الشرعية، وهيئة الأمر بالمعروف وهيئة الوعظ والإرشاد. ثم في عام ١٩٤٥م صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديرًا عامًا للمعارف وأسندت إليه رئاسة دار التوحيد، ثم عُين وكيلًا لوزارة المعارف، حتى عام ١٩٥٤م حيث عاد إلى قطر بطلب من حاكمها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الذي عينه مستشارًا للشؤون الدينية، حيث أشرف على تحقيق وطباعة الكثير من الكتب في سائر علوم الشريعة وكانت توزع بالمجان على أهل العلم.

دوره في تطوير التعليم في قطر

كان نظام التعليم في قطر يعتمد على الكتاتيب التي بلغ عددها في العام ١٩٠٨م عشرة كتاتيب، حيث يقوم شيخ الكتاب بتدريس أبناء القرية مبادئ القراءة

والكتابة والحساب والقرآن الكريم.

وفي العام ١٩١٣م أوكل الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر إلى الشيخ ابن مانع إنشاء أول مدرسة في الدوحة، وبالفعل فقد تم افتتاحها عام ١٩١٣م وأطلق عليها اسم: «المدرسة الأثرية»، وأحدثت هذه المدرسة نقلة كبيرة في المسار التعليمي في الخليج بشكل عام وفي قطر بشكل خاص، وكان منهجها الدراسي يتكون من المواد الشرعية والفقه واللغة والبلاغة والأدب، واستمرت هذه المدرسة لمدة خمسة وعشرين عامًا، أي حتى العام ١٩٣٨م، أي بعد أن انتقل الشيخ ابن مانع للعمل في السعودية كمستشار ديني للملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد حظيت المدرسة الأثرية بالرعاية الكاملة من الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني، وقد كانت المدرسة تشجع الطلاب على البحث والدراسة من خلال طريقة حل المشكلات، في مجال علوم الدين أو اللغة ويطلب منهم البحث عنها في الكتب والمراجع فيبدأ الطلاب بجمع المعلومات ثم يقوم الشيخ بطرح ما جمع من المعلومات وعرضها للمناقشة والتحليل والتعليق حتى يصل مع طلابه إلى معرفة أطراف المشكلة وطريقة حلها، بهذه الطريقة تخرج على يديه طلبة مؤهلون للتدريس من بعده وكان يدربهم كذلك على إلقاء خطب الجمعة والدروس، كما حرص على توفير المراجع والكتب المهمة لطلابه بتكوين مكتبة في المدرسة احتوت على عدد كبير من الكتب جمعها أو اشتراها من المتبرعين وأهل الخير.

كان للشيخ ابن مانع دور كبير في السماح للنساء بالتعلم في قطر، حيث إن افتتاح أول مدرسة للبنات في قطر لقي معارضة من معظم العائلات القطرية التي رفضت السماح لبناتها بالذهاب للمدرسة للتعلم، فأصدر الشيخ ابن مانع فتوى موجهة للشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر يؤيد فيها تعليم البنات وأن هذا لا يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي.

آثاره العلمية

للشيخ رحمه الله العديد من المؤلفات والتحقيقات والتعليقات والحواشي على كتب العقيدة والفقه ومازال بعضها مخطوطًا، ومن أهم الكتب التي قام الشيخ بتأليفها:

«إقامة الدليل والبرهان بتحريم الإجارة على قراءة القرآن، تحقيق النظر في أخبار المهدي المنتظر، إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب، سبيل الهدى شرح شواهد قطر الندى، الكواكب الدرية شرح الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، جامع المناسك الثلاثة الحنبلية، مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد، القول السديد فيما يجب لله على العبيد، وله العديد من الحواشي على كتب العلم منها حاشيته المشهورة على كتاب دليل الطالب لنيل المطالب في الفقه الحنبلي، وتعليقه على رسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وحاشيته على العقيدة الطحاوية، وحاشية على رسالة المذهب الأحمد في مهذب الإمام أحمد، وحاشية على عمدة الفقه لابن قدامة المقدسي» وغيرها كثير.

تلاميذه

درّس الشيخ خلال تنقله في دول المنطقة عددًا كبيرًا من الطلاب الذين لازموه سواءً في بلده عنيزة أو في البحرين أو بعد ذلك في قطر، ومن أبرز تلامذته:

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، علّامة القصيم وصاحب التفسير المعروف، والشيخ عثمان بن صالح القاضي، والشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، والشيخ عبدالله بن زيد المحمود رحمه الله، رئيس محاكم قطر، والشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري رحمه الله تلميذه ابن عقيل مدير الشؤون الدينية في قطر، والشيخ عبدالعزيز بن حسن بن عبدالله آل الشيخ الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف في المملكة العربية السعودية، وغيرهم كثير من أهل العلم والصلاح.

مرضه ووفاته

أصيب الشيخ رحمه الله بمرض «البروتستاتا» بعد أن جاوز عمره الرابعة والثمانين، فسافر إلى بيروت لإجراء عملية جراحية وقد توفي عقب العملية بالمستشفى يوم الخميس ١٤ رجب ١٣٨٥هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٦٥م، وقد صلي على جثمانه في بيروت، ثم نقل إلى الدوحة حيث صلّي عليه بجامع الشيوخ يوم السبت وقد صلى عليه جمع غفير من قطر والسعودية على رأسهم حاكم قطر وولي عهده، ودفن في المقبرة الشرقية بالدوحة، كما صلّي عليه في الحرمين الشريفين بالسعودية.

ترك الشيخ ثلاثة أبناء ذكور، أكبرهم «عبدالعزيز» الذي تتلمذ على يد والده وهو فقيه ومؤرخ كان يحب جمع المخطوطات، وعمل مديرًا لمكتب وزير المعارف في المملكة العربية السعودية ثم رجع إلى قطر مع والده. و«عبدالرحمن» وهو فقيه شغل منصب مدير كلية الشريعة بمكة وكان يؤم المصلين في الجامع الكبير في الدوحة، وابنه «أحمد» وهو باحث له اهتمام بالمخطوطات النادرة عمل كمستشار ثقافي في السفارة السعودية بالقاهرة ويقيم في المملكة العربية السعودية.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

المصادر

١. الأعلام لخير الدين الزركلي.
٢. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الشبكة العنكبوتية.

جراحات الأطفال وخصوصياتها

د. ناصر أحمد سنة

لجراحة الأطفال Pediatric Surgery خصوصيات متعددة، فجراحاتهم تختلف ندرة، ونوعًا، وأسبابًا، وأعراضًا، وتشخيصاً، وعناية، وتجهيزًا، وتخديرًا وتدخلًا، ومتابعة، وتعاملًا مع الأطفال علي اختلاف جنسهم (ذكورًا أم إناثًا)، وأعمارهم (خُدّجًا، وحديثي ولادة، ورضعًا، وصغارًا، ويافعين... الخ)، ومع ذويهم في آن معًا.

إجمالًا، من أكثر جراحات الأطفال شيوعًا: الفتوق بأنواعها، والخصية المُعلقة، والتشوهات الخلقية والشذوذات الولادية، ومشاكل الجهاز الهضمي، والجهاز البولي التناسلي.

وتفصيلًا، من مشكلات وجراحات الأطفال التخصصية: الشفة الارنبية المفردة والمزدوجة، والشق الخلقي المكتمل للحلق، ووجود كيس مخاطي أسفل اللسان، وضيق المريء، والانسداد الخلقي المعدي والمعوي لحديثي الولادة (اقل من شهر) وللرضع، وانسداد القناة المرارية، وإصلاح جدار البطن المحدود، وانسداد فتحة الشرج، أو السقوط والناصور الشرجي، واستئصال الغدة النكفية، أو الدرقية، أو أكياس ليمفاوية بالرقبة، أو الطحال، أو المرارة ، أو القولون والمستقيم ، أو لحمية شرجية، أو كيس جلدي، أو تورم دموي، ورم بالأمعاء، ناصور سرى (معوي أو بولي)، عمل فتحة قولونية، فتق بالحجاب الحاجز، ناصور القصبة الهوائية، توسيع لفتحة مجرى البول، استكمال جدار المثانة برقعة معوية، الانسداد الخلقي للكلى والحالب، استئصال ورم بالكلى أو الغدة فوق الكلى، استئصال جزئي للكبد، واستكشاف البطن، واستكشاف الأعضاء التناسلية لمرضى التخنث... الخ.

باحث أكاديمي

الفتق السري

يُلاحظ، بعد الولادة، وجود كيس (يختلف حجمًا) يكبر مع بكاء الطفل، ويصغر تلقائيا، وغالبا ما يختفي بدون جراحة، وقد ينتج فيما بعد بسبب التهاب مكان السرة، يجب مراجعة الطبيب في اقرب وقت، أو فورًا، إذا استمر الطفل في البكاء مع حدوث قيء، وتضخم في هذا الكيس..

الخصية المعلقة

في المرحلة الجنينية تتكون الخصيتان داخل تجويف بطن الجنين، ثم تنزلان في رحلة أثناء النمو ليخرجا من الفتحة (القناة الإربية Inguinal canal) إلى كيس الصفن Scrotum، وهو الموضع الطبيعي للخصيتين. ولهذه المرحلة مشكلات خِلقية منها: أن تبقى الخصية في موضع ما دون الطبيعي، فتنتج مشكلة الخصية المُعلقة (نسبة حدوثها عالميا ما بين ١,٥ -٨٪)، وقد ترتبط بمشكلات أخرى، وغالبا ما يكون معها فتق، ويجب التدخل الجراحي قبل مرور عامين من عمر الطفل، وذلك للمحافظة على وظيفتها، وعدم ضمورها في مكانها غير الطبيعي وتعرضها لتكوين أورام خبيثة مستقبلا.

الفتق الإربي

في رحلة النمو تلك.. قد ينزلق جزء صغير أو كبير من المساريقا، فيكون كيسًا

إربيًا (يمثل حدوثه نحو ٤٪ في المواليد)، يظهر عند الولادة عند منطقة العانة، ويجب إصلاحه في أقرب فرصة، وخاصة في حالة عدم ارتجاعه (اختناقه)، وقد يبقى هذا الكيس كامنا وينتج عنه فتاق اربي في عمر ما خصوصًا مع حدوث ضغط متمثل في: كحة شديدة، حزق شديد من إمساك أو بكاء، أو حمل أشياء ثقيلة.

القلية المائية

تتشابه مع حالات الفتق الإربي، فقد يتكون كيس الفتق ولكن ينغلق الجزء الداخلي منه، بينما يبقى جزء حول الخصية في كيس الصفن تتجمع فيه بعض السوائل المتسربة من تجويف البطن ويجب مراجعة الطبيب.

التشوهات الخلقية

هي إصابة الجنين (نحو ٣٪ من الأطفال يولدون بتشوه خلقي) بخلل شكلي ظاهري أو وظيفي لعضو ما أو خلل شكلي ووظيفي معًا. وهي تقسم إلى نوعين أحدهما مهدد للحياة، والآخر غير مهدد للحياة، وتعود أسباب التشوهات الخلقية إلى اضطرابات وخلل

جيني وراثي، وعوامل بيئية (فيزيائية: وبيولوجية، وكيميائية: هرمونية وغير هرمونية) وأخري غير معروفة حتى الآن. ومن أبرز التشوهات الخلقية: التوائم الملتصقة، وعمليات تصحيح التضاعف، وتشوه خرطوم الفيل الذي يصيب المثانة بالانشقاق، وكذلك الأعضاء التناسلية والشرج وتصبح كلها كتلة واحدة يجب فصلها وإعادتها لمكانها الطبيعي، وعمليات تصحيح الجنس، وتشوهات الأعضاء التناسلية الخثوية أو الذكرية أو الأنثوية. عمليات غياب جدار البطن وانفتاق الأحشاء الداخلية خارج البطن في إشكالها المتعددة.

كيف تشخص التشوهات الخلقية قبل الولادة؟

تشخص بالفحص السريري، وبالأشعة فوق الصوتية والمقطعية، والرنين المغناطيسي، وبذل السائل الامينوسي، وفحص دم وبول الجنين، ودم الأم (فحص دم الأم الحامل في بداية الثلث المتوسط للحمل يساعد بالكشف عن متلازمة داون واضطراب الصبغات الأخرى).

الطهور الملائكي

هناك أطفال يولدون دون الحاجة إلى ختان (طهور)، وهو ما يسمى مجازًا «الطهور الملائكي». ففي الغالب يولد الأطفال مع تشوه معين في العضو التناسلي Hypospadius، فلا يوجد ما يتم ختانه من جلد زائد. كما أن هناك تشوهًا في فتحة البول التي لا تكون في مكانها الطبيعي (في الطرف الأقصى من العضو الذكري) بل تكون إلى الأسفل منه. مما يتطلب إجراء عملية تقويم جراحي لدى مختصين.

اللسان المربوط

يكون الرباط تحت اللسان قصيرًا مما يقيد حركته فيسبب صعوبة في الرضاعة، وصعوبة أخري في النطق

من أكثر جراحات الأطفال شيوعاً الفتوق بأنواعها والتشوهات الخلقية

والكلام فيما بعد، فهذا الرباط يمنع الأطفال من نطق أحرف معينة. وفي هذه الحالات يُفضل إجراء تصليح عبر قص الغشاء المربوط باللسان، ويتم في سن مبكرة (٦-١٢ شهرًا)، وقبل أن يبدأ الولد بالنطق.

موية الرأس

تجمع السائل السحائي داخل الدماغ مما يؤدي إلى زيادة في حجم الرأس، وعادة يصاحب هذه المشكلة مرض الشوكة المشقوقة.

الشوكة المشقوقة

عيب ولادي.. يحدث نتيجة لعدم اكتمال نمو الأنبوب العصبي مما يؤدي لعدم تخلق الفقرات العظمية ويؤدي ذلك إلى وجود كيس سحائي بظهر الطفل.. يحتوي على نخاع شوكي مشوه، ويؤدي ذلك إلى ولادة طفل يعاني من شلل الاطراف السفلى وتشوهًا بالإضافة إلى عدم المقدرة على التحكم في التبول والتبرز. ويحدث هذا العيب نتيجة لنقص فيتامين «فولك اسيد Folic AcidA» لدى الحوامل. ويوجد هذا الفيتامين بكثرة في الخضروات والفواكه والكبد وهي أغذية غير متوافرة لمعظم الأمهات الحوامل في الريف.

الأورام والأكياس

توجد أنواع من الأورام والأكياس يمكن تشخيصها قبل الولادة منها: الورم العجائي العجزي، الكتل الرقبية، الكسية العصبية بالظهر، العنق الجابي، الورم الرئوي، فقر جدار البطن، الاحتباس البولي الجنيني، وبعض تشوهات جهاز الرحم، وأكياس المبايض.

تخصصات وجراحات دقيقة ومتقدمة في الأطفال

ثمة تخصصات وجراحات دقيقة ومتقدمة في المخ والأعصاب وجراحة المناظير والمسالك البولية للأطفال، فضلًا عن التدخل الجراحي بالمنظار في حالات: الخصية المهاجرة غير المحسوسة بالبطن، واستئصال الزائدة الدودية الملتهبة، حالات رفع المرارة الصفراوية المصابة بتكون الحصوات، واستكشاف البطن رفع الأجزاء المصابة من الأمعاء، واخذ عينات من الأورام وترقيع الفتحة الفؤادية للمعدة وغيرها.

كما أن هناك بعض الجراحات للأجنة داخل الرحم، وتجرى للأمراض التي يتوقع شفاؤها إذا عولجت أثناء هذه الفترة، من هذه المشاكل: المكتسبة النخاعية السحائية، وانسداد عنق المثانة البولية، وبعض الأمراض الرئوية والمناعية.

في الختام ينصح دومًا بالابتعاد عن عوامل مولدات التشوه كالأشعة والمواد الكيماوية والحذر من تناول الأدوية (بالشق الأول من الحمل) إضافة إلى:

- الوقاية من الأمراض الفيروسية التي تسبب تشوهات، وتناول اللقاحات الخاصة بها.
- الاستشارة الجينية (الصبغية) قبل الحمل على الأقل.
- التقيد ببرنامج متابعة الحمل.
- وجوب إجراء الجراحة للأطفال حديثي الولادة في مراكز متقدمة وعلى أيدي جراحين متمرسين في جراحة الأطفال.
- تنفيذ برنامج المساعدة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.
- بالنسبة للسمنة لدى الأطفال ثمة برامج متكاملة خاصة بهم، مع استمرار برامج التوعية المجتمعية بخطورتها.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٥/٣٨ع/٨٩اختلاط الذكر بالرقص والترنم

فتوى رقم«١٧١٤»

١- ما حكم النقود التي تقدم إلى قبور بعض الصالحين عبارة عن نذور وما حكم القيام على جمعها وحيازتها وأكلها؟

٢- ما حكم ما يسمى بالذكر وهو عبارة عن ضرب الدفوف والترنم بها قاصدين التقرب لله بذلك؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

هذه كلها بدع منكرة ولا تجوز شرعًا، وقد جاء الإسلام لتحرير العقول من هذه البدع والخرافات، وما أكل من المال عن طريقها فهو سحت محرم. والله أعلم.

١/١٣ع/٨٩ المسح على الجوربين بدون بلل اليدين

فتوى رقم«١٧٢٦»

من عادتي حين الوضوء أن أمسح على جوربي وتكون يدي «ناشفة» أي لا أبلها بالماء، ومضى وقت طويل وأنا أصنع ذلك. فما الحكم في ذلك؟ وما أصنع فيما مضى من الصلوات؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

لم يصح وضوء السائل الذي كان حينما يتوضأ يمسح على جوربيه ويداه «ناشفتان»، وعليه أن يقضي الصلوات التي أداها بذلك الوضوء الناقص، ويجتهد في تقدير عدد تلك الصلوات بما يغلب على ظنه براءة ذمته به. والله أعلم.

١/٥٣ع/٨٩ المسح على الجبيرة في الوضوء

فتوى رقم«١٧٢٧»

ما كيفية غسل الرِّجْل المجبّرة أو التي عليها جبس في الوضوء أو الغسل أو غير ذلك؟ وما الحكم إذا وضعت الجبيرة على أحد أعضاء الوضوء ومسح عليها، هل يعيد الصلاة إذا أزيلت الجبيرة أم لا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان على أحد أعضاء الوضوء أو الغسل جبيرة بسبب كسر أو جرح يجوز المسح على الجبيرة مادام غسل العضو يسبب ضررا، ومن مسح على الجبيرة في وضوء أو غسل أو تيمم وصلى ثم برئ فلا إعادة عليه.

٥/٢٥ح/٨٤حق الورثة في صندوق الضمان الاجتماعي

فتوى رقم«٣٧٣»

توفي والدي، رحمه الله، وكان مشتركًا في صندوق الضمان الاجتماعي في إحدى الوزارات، ولديه زوجة وتسعة أولاد، وأوصى بصرف الضمان الاجتماعي لزوجته وأولاده القصر وهم من الورثة الشرعيين.

الرجاء- جزاكم الله خيرًا- إفادتنا في كيفية صرف قيمة الضمان.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

أولا: إن هذه وصية لبعض الورثة دون البعض.

ثانيا: إن هذه وصية بمعدوم، ذلك أن الوصي لم يكن مالكًا حين الوصية لما أوصى به. وبالنسبة للأول فإن الإنسان إذا أوصى لوارثه فلم يجزها باقي الورثة لم تصح، لا خلاف بين العلماء، وإن أجازها باقي الورثة فهي صحيحة نافذة، وإن أجازها بعضهم دون البعض نفذت في نصيب من أجازها.

وبالنسبة لكون الموصى به لم يكن موجودًا وقت الوصية فلا يمنع ذلك من صحة الوصية، فإن الوصية بالمعدوم جائزة، فإنه يُملَك، فلم يعتبر وجوده وقت الوصية، ولأن الوصية أجريت مجرى الميراث، ولو مات إنسان وتجدد له مال بعد موته ورثه ورثته، ولذلك قضي بثبوت الإرث في ديته وهي تتجدد بعد موته، فجائز أن تملك الوصية المعدومة حين الإيصاء، وإن أجاز باقي الورثة الوصية نفذت

وقسمت على الزوجة والأولاد بالتساوي، لأن الموصي جعلها بينهم بلا تفاضل، والشركة تقتضي المساواة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤/٤٥/ع/٨٤ انتقال المال المشبوه إلى الوارث

فتوى رقم «٣٧٤»

توفي والدي وترك لنا إرثًا، علمًا بأنه كان يشتغل في الصيرفة، ثم مديرًا لبنك ربوي، ثم في وظائف الحكومة، ثم بعد ذلك رجع إلى العمل في البنك، ثم استقال وعمل أعمالاً حرة، وكان لديه عمارة يستفيد من إيجارها، ولديه ودائع في البنوك الربوية، هل هذه التركة يحق لنا أخذها؟ علمًا بأنها تدخل فيها أموال الربا.

■ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز للورثة أن يأخذوا ما آل إليهم من أموال المورّث بقطع النظر عن موارد تلك الأموال، لأن الإثم على من كسبها من وجوه غير شرعية، وأما الورثة فقد أخذوها بسبب شرعي وهو الميراث، والقاعدة الشرعية: «إن تبدل سبب الملك كتبدل العين»

٤/٢٩/ع/٨٩ دفع الزكاة للأولاد الفقراء

فتوى رقم «١٧٥٠»

ترك والدي مبلغًا من المال احتفظت به طول حياتي (قبل زواجي وبعده) وأخبرت عنه زوجي حينها، وهذا المال وضعته مع شقيق لي بعد وفاة زوجي لكي يستثمره لي ومر الآن عليه حول.

١) هل يجوز دفع زكاة هذا المال لأولادي علمًا أني تأتيني تبرعات وزكاة من غيري؟

٢) هل يجوز أخذ فائدة (ربا) من المصرف على هذا المال وإنفاقها على أولادي للضرورة كالطبابة والأدوية والكهرباء وغيرها؟

٣) فتحت المحكمة في البنك دفتر توفير لأولادي والبنك يسجل لي فائدة.. فهل يجوز أخذها؟

■ وأجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز للمزكي دفع زكاة أمواله لأصله ولا لفرعه وهم أولاده وأولاد أولادهم، كما لا يجوز إنفاق فائدة أموال الأم على أولادها بل تصرفها على غيرهم من الفقراء أو في وجوه الخير عدا المساجد وطبع المصاحف.

٣/٣٠/ع/٨٩ زكاة المال المدخر لشراء بيت

فتوى رقم «١٧٥١»

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باع البيت وفي عزمه أن يشتري بيتًا آخر، ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول.. فهل تجب الزكاة فيها أم لا؟ وهل يجوز صرف الزكاة إلى أقربائه أو أبناء المستحقين للزكاة أم لا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنًا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾، ولا يجوز صرف الزكاة إلى أصول المزكي كأبيه وأمه وجده وجدته ولا إلى فروعه وهم أولاده وأولادهم. والله أعلم.

٢/١/ع/٨٩ بيوع / تخصيص جوائز لزيادة المبيع

فتوى رقم «١٨٠٤»

من الأساليب المتبعة لترويج البضائع في السوق أو لزيادة حجم المبيعات تخصيص جوائز عينية أو نقدية على قدر معين من المشتريات تحدده الشركة المعلنة.

إننا في شركتنا لدينا النية في انتهاج هذا الأسلوب وسنذكر لكم مثلا على ذلك: كل من يشتري كرتونًا من بضاعتنا يحصل على هدية بقيمة ١٤٠.١٠٠ فلسًا؛ فهل هذا جائز شرعًا؟

■ أجابت اللجنة ما يلي:

يجوز تخصيص جوائز عينية أو نقدية لمن يشتري قدرًا معينًا من السلع يحدده البائع المعلن عن الجائزة لأن هذا من قبيل التنازل عن جزء من الثمن. والله أعلم.

٣/٥/ع/٨٩ بيوع/ بيع وشراء شعر الآدمي

فتوى رقم «١٨٠٥»

نود الإفادة بأن لدينا مصنعًا لنسج الشعر، ويستخدم إنتاجه في عمل بيوت الشعر والمادة الخام المستعملة هي خليط من الشعر الحيواني الطبيعي وخيوط صناعية شبيهة بالشعر وهذا الخليط يشكل بحدود ٩٥٪ من المادة الخام يضاف إليها ٥٪ من الشعر الآدمي لتكسب الخليط ليونة وتساعد على الغزل والحياكة الآلية بشكل أفضل حسب رأي الفنيين في المصنع بالإضافة إلى توفره بسعر أرخص، ومعروض علينا حاليًا كمية كبيرة من هذا الشعر الآدمي لاستخدامه في هذه الصناعة، وقد رأينا قبل البت في هذا العرض أن نتوجه إليكم بهذا السؤال: هل يحل استعمال الشعر الآدمي لهذا الغرض على الوجه المبين آنفًا؟

■ أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز بيع أو شراء شعر الآدمي وذلك لكرامته، والبيع يشعر بالابتذال والإهانة.

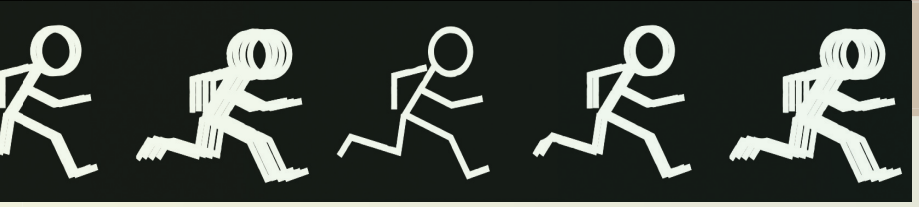

إعداد: خالد خلاوي

المبادرة طريق للتميز

إذا طرأت على بالك فكرة فيها خير لك ولدينك ولوطنك فسارع أولاً إلى تسجيلها على الورق، ثم لا تجعلها تتوقف عند حدود الأوراق التي كتبتها عليها، بل بادر إلى تفعيلها وتحويلها إلى نتائج، فكثير من الإنجازات والأعمال العظيمة للأمم والحضارات كانت مبادرات إيجابية فردية.

والمبادرة تعني المسارعة إلى كل خير، جاء في لسان العرب: «المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه»، وهي من صفات المؤمنين التي أمرهم بها الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿...فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (البقرة: ١٤٨) وقال الله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١).

ومن معاني المبادرة الانتقال من مشاهدة الحدث إلى المشاركة في صنعه، دون الاستسلام للعوائق والقيود مهما كانت، وعدم إلقاء اللوم على الظروف والملابسات لتبرير التخلي عن اتخاذ موقف إيجابي تجاه ما يحدث.

يقول خبير التنمية البشرية براين ترايسي «لا توجد حدود لما يمكنك إنجازه بحياتك، سوى العوائق التي تفرضها على عقلك».

ويقول الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله: الرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت، ولا تصرّفه وفق هواها.. إنه هو الذي يستفيد منها، ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تُطمَر تحت أكوام السبخ، ثم هي تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة!! لقد حوّلت الحمأ المسنون والماء الكَدِر إلى لون بهيج وعطر فوّاح.. كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته، واحتفظ بحرية الحركة لقاء ما يواجه من شؤون كريهة، إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده على ما يريد.. إنه بقواه الكامنة، وملكاته المدفونة فيه، والفرص المحدودة أو التافهة المتاحة له يستطيع أن يبني حياته من جديد» أ.هـ

وفي هذا المعنى أيضًا يقول جلال الدين الرومي «الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتمكن من العمل حتى بخلاف طبيعته وضد غريزته.. فلا يمكن أن تشاهد حيوانًا يصوم في النهار.. الإنسان هو الوحيد الذي يتمكن أن يتمرد على الصورة التي خُلق عليها وحتى احتياجاته المعنوية وغرائزه الجسدية.. فالإرادة هي من أعظم خصائص الإنسان».

وصاحب المبادرة يحرص على سرعة أداء النافع من الأعمال، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنظرون إلا فقرًا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضًا مفسدا، أو هرمًا مفندا، أو موتًا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذي).

وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول في موعظته «المبادرة عباد الله، المبادرة فإنما هي الأنفاس لو قد حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه»، ثم يقرأ هذه الآية ﴿إنما نعد لهم عدًا﴾، ثم يبكي ويقول: «آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك».

و كان صحابة الرسول ﷺ من السباقين المبادرين، وتروي كتب السير والتراجم عنهم مئات المواقف في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال مبادرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الدعوة إلى الإسلام فور إسلامه، ومبادرته المستمرة إلى الأعمال الصالحة، وكان عمر رضي الله عنه ينافسه في ذلك ولا يسبقه، وكان يقول: والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني.

ومن مواقف المبادرة الشهيرة التي صارت مثلًا من الأمثال موقف عكاشة بن محصن رضي الله عنه عندما بادر يطلب من رسول الله ﷺ أن يكون من أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه.

فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام عكاشة بن محصن فقال:

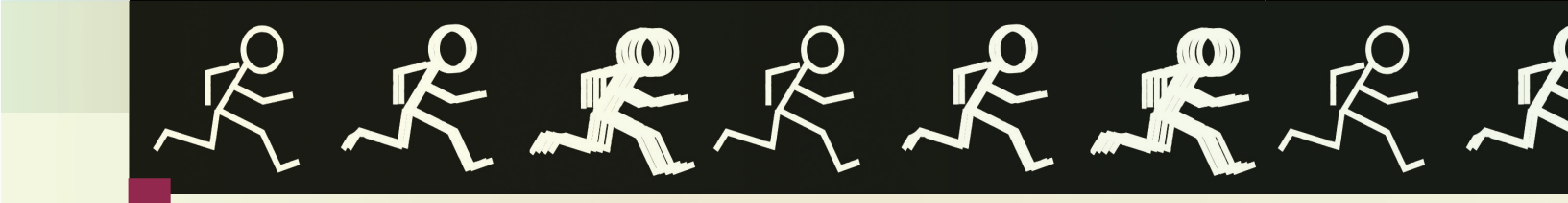

ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم».

ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» (رواه مسلم).

ومن المبادرات الشجاعة لصحابة رسول الله ﷺ ما صنعه البراء بن مالك عندما تحصن أصحاب مسيلمة الكذاب في حديقة لها سور عال، ووقف المسلمون أمام الحديقة يفكرون في حيلة يقتحمون بها الحصن، فإذا بالبراء بن مالك، يقول: يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم، فاحتمله المسلمون وألقوه في الحديقة، فقاتلهم حتى فتحها على المسلمين، ودخل المسلمون الحديقة.

صور من حياة المتميزين

«دلني على السوق»

كان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين في الإسلام، وكان أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وتميزت حياته بالإيجابية والمبادرة إلى كل ما فيه خير للإسلام والمسلمين، فمنذ الساعات الأولى لإسلامه، رأى تعذيب المشركين للمسلمين، وكانوا قبل الإسلام أعزة، فبادر عبدالرحمن بن عوف في نفر من الصحابة إلى النبي ﷺ يقولون له: يا رسول الله، إنا كنا في عزٍ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا»، قال عبدالرحمن: فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾.

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبدالرحمن: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان، فانظر أيتهما أعجب لك حتى أطلّقها وتتزوجها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّني على السوق، وخرج إلى السوق فاشترى وباع وربح.

ومن مبادرات عبدالرحمن بن عوف ما كان بينه وبين بقية أصحاب الشورى، الذين استخلفهم عمر رضي الله عنه ليختاروا من بينهم خليفة المسلمين، فقد روي أن عبدالرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى: هل لكم أن أختار لكم وأنتقي منها، قال علي رضي الله عنه: أنا أول من رضي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض».

كلمات في التميز

المبادرة

المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق.

«علي بن سهل»

الفرق بين الأشخاص الذين ينتهجون أسلوب المبادرة وأولئك الذين لا يسلكون نفس المسلك هو بالضبط كالفرق بين الليل والنهار.

«ستيفن كوفي»

إذا استطعت ألا يسبقك أحد فافعل.

«وهيب بن الورد»

كن دائمًا الإصدار الأول من نفسك، و لا تكن الإصدار الثاني من أحد آخر.

«جودي جارلاند»

لا تنتظر أن تسنح لك الفرصة غير العادية، بل انتهز الفرص العادية واجعلها عظيمة.

«بيل كوسبي»

لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف.

«ابن حزم الأندلسي»

إعداد: هالة محمد

البحر الأبيض المتوسط في حالة نزاع!

أظهرت دراسة، نشرت نتائجها في باريس، أن الثروة الحيوانية والنباتية في البحر الأبيض المتوسط هي من الأغنى في العالم، لكنها كذلك الأكثر عرضة للتهديد، مشددة على تراجع المواطن الطبيعية ومواطن الصيد المكثفة وازدياد عدد الأجناس المضرة خاصة الناجمة عن الاحترار المناخي.

وجاء في التقرير أن تأثير النشاطات البشرية أكثر نسبيا في البحر المتوسط منه في بحار العالم الأخرى؛ وتفسير ذلك يعود إلى تاريخ هذا البحر فهو منطقة مأهولة منذ آلاف السنين وهو بحر شبه مغلق، فالثدييات البحرية مثل الحيتان والدلافين دفعت الثمن غاليا، فيما اختفت عمليا منه بعض الأجناس الشهيرة مثل فقمة المتوسط.

الثوم يعالج عشرات الأمراض الخطرة

حسب المعلومات الأثرية المتوافرة لدى العلماء فإن الفراعنة كانوا قبل ٣٥٠٠ سنة يعالجون نحو ١٣ نوعا من الأمراض الخطرة بواسطة الثوم، وكانوا يطلقون عليه اسم الوردة ذات الرائحة الكريهة، وقد أثبت العلماء خلال السنوات القليلة الماضية أن الثوم يحتوي على مواد فعالة ضد السرطان وأمراض القلب والشرايين، ويمنع تكاثر الفيروسات والبكتريا الضارة، ويساعد في إحراق الشحوم، وانطلاقا من كل هذه الخصائص التي يحتوي عليها الثوم قام العلماء أخيرا بإنتاج دواء خاص مقتبس من الوصفة التي كان قد أعدها أطباء التبت في القرن الثالث عشر والتي تعتمد أيضا على مواصفات ومعلومات علمية حديثة ومتكاملة.

زيت الشاي لعلاج سرطان الجلد

كشفت دراسة استرالية حديثة أن زيت شجرة الشاي قد يستخدم كعلاج آمن وفعال لعلاج أكثر سرطانات الجلد شيوعًا وهو سرطان الجلد غير العتامي، وأثبتت الدراسات التي قام بها باحثون من جامعة وستيون في استراليا أن صبغة خاصة من زيت شجرة الشاي توقف أورام الجلد من النمو، وأن هذا العلاج قد يعد فتحا علميا في مكافحة سرطان الجلد، ويأمل العلماء أن تؤدي هذه الدراسة لتطوير كريمات ومراهم مفيدة في معالجة سرطان الجلد.

أضواء قطبية وانفجار نجمي

رصد فلكيون ألمان أضواء قطبية أخيرا؛ وذلك للمرة الأولى منذ عام ٢٠٠٥، وذلك حسبما ذكر الفليكون في مجموعة «ميتيور» في هامبورج.

وأشار العلماء إلى أن انفجارا حدث في الشمس مما أدى إلى ظهور هذه الأضواء من خلال تأثيرات متبادلة مع المجال المغناطيسي للأرض، حسبما ذكر أولريش ريز من مجموعة الباحثين في «ميتيور».

ومن ضمن ما رصده الفلكيون في الجهة الشمالية من السماء قوس يضيء باللون الأخضر وأشعة مائلة للبياض، وقام الباحثون بتصوير هذا القوس وهذه الأشعة.

كما نجح فلكيون لأول مرة في متابعة انفجار نجمي هائل وتصويره بشكل ثلاثي الأبعاد.

وذكر المرصد الأوروبي أن المادة الناتجة عن انفجار نجم «سوبرنوفا ١٩٨٧ ايه»، المعروف بالمستعر الأعظم تتحرك بسرعة مائة مليون كم/الساعة خارج النجم، وأن هذه السرعة تعادل عُشر سرعة الضوء. ورغم هذه السرعة الهائلة فإن مادة النجم المنفجر تحتاج لعشر سنوات للوصول إلى حلقة الغاز والأتربة المحيطة بالنجم، تلك الحلقة التي يعود أصلها أيضا للنجم نفسه حسب المرصد.

ذاكرة كمبيوتر تعمل كالدماغ

ينشغل عديد من المختبرات في العالم لمعرفة كيفية عمل ذاكرة الكمبيوتر، وفي السياق، تنتهي مختبرات شركة هيولت باكرد من إصدار جديد من ذاكرة الكمبيوتر، من شأنها أن تجعل الأجهزة أسرع بشكل كبير، وأكثر كفاءة في استخدام الطاقة.

ويطلق على التكنولوجيا الجديدة ميمريستر (memristor)، وهي مصممة لتعمل بشكل أشبه بأدمغة البشر وبعيدا عن الأسلوب التقليدي الإلكتروني، ومفاتيح الإطفاء والتشغيل التي تحكم عمل ذاكرة الكمبيوتر الآن، و«ميمريستر» لها خصائص مشابهة جدا لنقاط الاشتباك العصبي في الدماغ، وفقا لما يقوله الباحث في مختبرات شركة «اتش بي» ستان وليامز، والتي تعمل على هذه التقنية منذ عام ١٩٩٨م.

وخلافًا لذاكرة الكمبيوتر التقليدية، والتي تخزن البيانات على شرائح يمكن تشغيلها وإطفاؤها، فإن التكنولوجيا الجديدة ستعمل على المستوى الذري، فبينما تتحرك الإلكترونيات عبر شريحة «ميمريستر» المصنوعة من ثاني أكسيد التيتانيوم، تدفع الذرات بشكل طفيف لا يتجاوز أحيانا الناتومتر، وتلك الدفعات الطفيفة تسجل أي تغيير في البيانات، ويصفها وليامز بأنها «نوع من التحول على المستوى الذري».

وتزعم الشركة أن التكنولوجيا الجديدة أسرع بنحو ١٠٠مرة من القدرة التخزينية لذاكرة الفلاش، وتستخدم نحو عشر الطاقة فقط، ويقول وليامز: إن بعض الأجهزة، مثل مشغلات mb٣، قد تحتاج للشحن مرة واحدة في حياتها فقط، ووفقا لـ«اتش بي» فإن «ميمريستر» قد يطرح إلى الأسواق في غضون ثلاث سنوات، إذا سارت الأمور بشكل جيد.

قمة النشاط الشمسي في عام ٢٠١٢م

العواصف الحرارية الحارقة هي تيارات من الجزيئات التي تطلقها الشمس إلى خارج نطاق محيطها، وتبلغ سرعتها ٤٥٠كم/الثانية، وهي سرعة هائلة وتدميرية، والرياح الشمسية تتكون من البروتونات والشحنات الكهربائية وأجزاء من أشعة «ألف»، التي تعتبر قريبة من كوكب الأرض، حيث تنخفض سرعتها بعد ذلك إلى ٣٠٠-٨٠٠ كم/الساعة.

ومن المعروف أن الكرة الأرضية تقوم بحماية نفسها من هجوم جزيئات الرياح الشمسية بواسطة قطبها المغناطيسي، ولكن جزءا من هذه الجزيئات يصل إلى فضائها، وفي أحسن الأحوال فإن هذه الحزم الشمسية تؤدي إلى تعطيل استقبال المرسلات الفضائية والأجهزة الحساسة واحتراق الأسلاك الكهربائية وانقطاع التيار الكهربائي، ويعتقد العلماء أن عام ٢٠١٢م سيشهد قمة النشاط الشمسي، ولكن العاصفة الشمسية من الممكن أن تحدث في أي وقت من الأوقات.

من هنا وهناك

■ أكدت الحكومة الأميركية أن التغير المناخي حقيقة وليس أكذوبة كما تروج بعض المصادر، ويعتقد هؤلاء المشككون أن البيانات العلمية بشأن ظاهرة الاحتباس الحراري إما خاطئة أو تعمد أصحابها تزييفها.

■ تمكن علماء بريطانيون من اكتشاف تسعة جزيئات في أدمغة الصراصير كفيلة بقتل البكتريا، حيث استطاعت هذه الكائنات الحية التي تعيش في أوساط وسخة جدا من تطوير جزيئات فعاله جدا ضد البكتريا.

■ قال علماء وباحثون ايطاليون أن النظام الغذائي الذي اتبعه الإنسان البدائي في العصر الحجري كان يحتوي على الخبز وليس اللحوم فقط.

■ كشف باحثون أميركيون عن طريقة جديدة واعدة لإعادة برمجة خلايا جذعية بشرية بالغة قد تشكل بديلًا عن الخلايا الجنينية المثيرة للجدل لمعالجة العديد من الأمراض العضال، والطريقة الجديدة لا تتطلب تعديلات جينية خطرة وتوفر إمكانية علاجات مهمة.

■ بفضل قطعة مغناطيسية تنبعث منها ذبذبات مغناطيسية تتحول إلى ذبذبات كهربائية على مستوى منطقة معينة يمكن علاج حالة الاكتئاب التي يعاني منها بعض الأشخاص، هذه التقنية العلاجية لم تكن موجودة قبل عشر سنوات لكن الدراسات بشأنها تزايدت ما بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٨م حيث نشر أكثر من ٤٠٠٠ بحث علمي بشأنها.

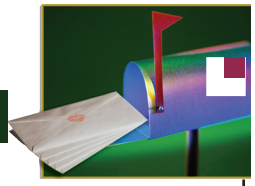

كيف نصحح إسلامنا؟

لابد من الاعتراف بأننا نحن المسلمين أخفقنا في الدعوة إلى ديننا وأننا لم نبلغ الإسلام بقيمه الرفيعة ومعانيه السامية إلى العالم، وأننا كنا أسوأ دعاية للإسلام وأسوأ صورة للمسلم.. وأننا برغم كنوز الطاقة والثراء الباذخ الذي أنعم علينا به الله عز وجل، فنحن ورثة أغنى منطقة في العالم بثرواتها الطبيعية، تخلفنا في العلم وفي الاقتصاد وفي السياسة ولم نتعلم من قرآننا كيف نتعامل مع الأعداء والخصوم.

هل كان هناك من هو ألد من الشيطان عداوة لله.. فماذا فعل معه رب العزة والجلال، حاوره وأجابه إلى طلبه حينما طلب الإمهال فأمهله يفعل ما يشاء.. بعد أن حذره من سوء العاقبة وسوء المآل.

وحينما أرسل رسوله موسى إلى فرعون وهو الجبار المتأله.. أرسله بآيات وكرامات ومعجزات ودعوة بالحسنى.. وقال لموسى وأخيه هارون ﴿قولا له قولا ليِّنًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ أمر صريح بالرفق والمعاملة بالحسنى لكافر متجبر متكبر.

هذا هو درس القرآن في الدعوة إلى الله.. إنها لاتكون إلا بالحسنى.

كيف حدث أننا أصبحنا أكثر الأمم أمية ونحن أمة أول ما أنزل عليها في كتابها: ﴿اقرأ﴾؟

والقرآن أمرنا بالسير والنظر في الكون والتفكر في سمواته وبحاره وأنهاره ونجومه وشموسه وكواكبه..﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾.

فكيف حدث أن أصبحنا أكثر الأمم جهلا بهذه الحقائق؟

لابد أن نعترف أننا نحمل إثم الإساءة إلى هذا الدين وتشويهه.. واننا مطالبون بالتعرف على ديننا وقرآننا لنصحح مفاهيمنا التي اصابها الخلل.

محمد السيد عامر

إن في ذلك لعبرة

صحيح أن الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف أصبحت حلما.

وصحيح ان اليهود سيطروا دون الفلسطينيين الموجودين في أراضي ١٩٤٨ كما يريد السيد «أفيجدور ليبرمان».

وصحيحٌ أن اليهود يعربدون في أقدس مقدسات المسلمين دون رادع من أحد وصحيحٌ أن اليهود لم ولن يتنازلوا عن «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

وصحيح أن اليهود يراهنون على الزمن بالمفاوضات من أجل المفاوضات فقط.

ولكن.. ألا يكفي أننا التقطنا صورا تذكارية رائعة وجميلة مع قادة الشعب المدلل والمختار؟

وصدق الله العظيم

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾

خالد شبيب

ضرورات الهجرة

بلغ الرسول ﷺ الرسالة لقومه بمكة المكرمة وحاول اقناعهم ولقد يسر لهم ولكن القوم عقولهم خربة ومبادئهم صدئة، قال تعالى ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...﴾ فكانت الهجرة عن قوم قالوا لا نعبد إلا ما عبد الأجداد والآباء، واليوم في دنيا المسلمين الحاضرة يحاول المرء مع الآخرين ويرسل اليهم بالعقل والحوار فيأبى المسؤول أو الموظف إلا أن يلوذ بمبادئ الحجارة وكأنه

من للسنة النبوية الشريفة؟

نداء وبلاغ مقدم ومرفوع إلى:

- السادة أولي الأمر: من حكام وعلماء وباحثين ودعاة
- مؤسسات: علمية ودعوية وإعلامية تخصصية وعامة
- أثرياء المسلمين
- خاصة المسلمين وعامتهم
- للاضطلاع بحماية الحديث الشريف سنة سيدنا رسول الله سيدنا محمد ﷺ من اعتداءات منكريه إنكاراً كليًا أو جزئيًا، ومن قليلي العلم متواضعي الفهم بسوء استدلال وخطأ استشهاد لمذهبية وطائفية وغيرها.
- أدركوا مصدرا تشريعيا رئيسيا من مصادر التشريع الإسلامي، وسجل حياة النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ وجزءًا من الوحي المعصوم ينبني عليه الدين الحق، ببذل الجهود لثقافة حديثية مؤثرة، تعليما وتأصيلا وتنظيرا، تهيئة وإعداد أجيال بدراسة مكثفة من صغر حتى كبر.
- صح عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «نضّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

على استحياء والأمل في كل غيور محب لهدي سيدنا الحبيب سيدنا محمد ﷺ، ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد، ويكون ذلك من خلال:

أولا: عمل دراسة تخصصية لمراحل إعدادية «متوسط» وثانوية «توجيهية» أو تسمي الأولى أولية والثانية تخصص.

- يتبع ذلك إنشاء كلية جامعية تخصصية تمنح درجة عالية «بكالوريوس أو ليسانس» في «الحديث الشريف».

ويكفي بالنسبة لمصر عدد ستة معاهد تغطي المحافظات الكبرى، مثل: القاهرة،

الفهم كله وكأن ما عداه الهمل جله.

وهنا لا يملك صاحب العقل والحاجة إلا أن يهاجر داخل نفسه فينضوى ولاتقاد عقله ينزوي ويغلق عليه بابه، وإن كان عبقريا أو يكدح ذهنيا أو يلمع علميا هاجر للخارج وترك وراءه ديار الإسلام، والبعض الآخر يهاجر طلبا للرزق والمساواة والحرية بعيدا عن الاستبداد والحال القمعية.

عبدالله الحسين محمد

طنطا، المنصورة، الإسكندرية، أسيوط، البحر الأحمر، وما سلف تابع ومعتمد من الأزهر الشريف.

■ البديل في حالة رفض الأزهر إنشاء دار للحديث الشريف تابعة لـ«مؤسسة التآلف بين الناس الخيرية» WWW.TAALOF.COM دراسة حرة أهلية مدة ثلاث سنوات.

أ- تمهيدي «سنة».

ب- تخصص «سنتان».

وإذا كان الدارس يحمل شهادة الثانوية الأزهرية أو العامة فتعادل بدرجة كلية جامعية معتمدة.

ثانيا: أكاديمية «الحديث الشريف» وتشمل مركز الأبحاث الحديثية ومكتبة حديثية مقروءة ومسموعة ومرئية، وسجل بباحثي الحديث الشريف داخليا وخارجيا.

ثالثا: إطلاق قناة فضائية «المحدث» تعنى بعلوم الحديث الشريف وترد الشبهات.

رابعا: إعادة «مجلس السماع للمصنفات الحديثية المعتمدة» بالمساجد الكبيرة والمنتديات الحكومية والأهلية المعتمدة.

د. أحمد محمود كريمة

صورة من الأدب الرفيع

قال الحسن بن سعيد: «ما سمعت ولا وقفت على شيء أبدع من قول الجزار وقد تردد على جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به قال:

أسأل الله أن يديم لك العز
ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقياك
فألقى بالبعد عنك شقاء

فبعث إليه بما أصلح حاله، وكتب إلى ولاة الصعيد كتبًا أغنته مدة عن شكوى الزمان،

ولم أسمع في وضع الشيء موضعه أحسن من قول المتنبي:

وأصبح شعري منهما في مكانه
وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع في وضع الشيء في غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج:

مر مدحي ضائعًا من لؤمه
كضياع السيف في كف الجبان

أقام الجزار بباب بن يغمور أيامًا، لم يؤذن له بالدخول فعافت نفسه الإقامة على الهوان الذي يلقاه الواقفون على الأبواب من ذوي الحاجة فآثر الانصراف لا مضمرًا حقدًا ولا حاملًا بغضًا ولا مرسلًا إلى الأمير عتبًا، وإنما انصرف انصراف الكريم وأرسل أبياتًا هي أرق وأعذب ما قال الشعراء في مثل هذه الحال فيها دعاء وفيها رجاء وفيها تلطف في التماس العذر.. أدب عال من الجزار وتجمل في السؤال وتلطف في الطلب أعجب به الأمير فوصله وأرضاه وأوصى به بما يريح النفس أن يقع صنيعها موقعه ويصادف موضعه وهذا ماعناه المتنبي في بيته ذاك، وأنكى ما يؤلم النفس أن يصادف المعروف منك غير أهله ويقع عند من لا يستحقه، كما في بيت أبي الفرج، وصدق زهير بن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذمًا عليه ويندم

وهناك من يقول: أفعل الخير، لوجه الخير، صادف محله، أو لم يصادف، وقع موقعه أو لم يقع، وجزاء ذلك عند الله.

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه
فلا يضيع جميل أينما زُرع

ومن أطيب من قيل في النصيحة قول الإمام الشافعي:

تغمدني بنصحك في انفراد
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

محمد أحمد بدوي

إعداد: التحرير

شهر الله المحرم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»

(رواه مسلم، وأحمد وغيرهما).

الإمام ابن كثير الدمشقي

لازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وأخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية، فأكثر عنه، وقال ابن حبيب فيه: «إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى، وشنف وحدث وأفاد وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وهو القائل:

تمر بنا الأيَّام تترى وإنَّما

نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشَّباب الذي مضى

ولا زائل هذا المشيب المكدِّر

(شذرات الذهب، لعبدالحي العكري الحنبلي)

بيت خال وإسناد عال

قال العلامة ابن كثير: «ولما كان الإسناد من خصائص هذه الأمة؛ وذلك أنه ليس لأمة من الأمم يمكنها أن تسند عن نبيها إسنادًا متصلًا غير هذه الأمة؛ ولهذا كان طلب الإسناد العالي مرغبًا فيه، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: الإسناد العالي سنة عمن سلف. وقيل ليحيى بن معين في مرض موته: ما تشتهي؟ قال: بيت خال وإسناد عال؛ ولهذا دعت رغبات كثير من الأئمة النقاد والجهابذة الحفاظ إلى الرحلة إلى أقطار البلاد طلبا لعلو الإسناد، وإن كان قد منع من جواز الرحلة بعض الجهلة من العباد، فيما حكاه الرامهرمزي في كتابه الفاصل، ثم إن علو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله».

(اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير)

صلوات يستحب تخفيفها

بعض الصلوات يستحب تخفيفها، ومنها:

١. سنة الفجر، (المجموع شرح المهذب).

٢. سنة المغرب، (العدة شرح العمدة).

٣. تحية المسجد والإمام يخطب، (عمدة الطالب).

٤. ركعتا الطواف، (عمدة الطالب).

٥. صلاة الفرض إذا وجد ما يقتضي التخفيف.

(عمدة الطالب).

ابتسامة.. يعرف عزم الأمور

قال بخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب.

فقال الغلام: يا مولاي، هذا خطأ!

قال البخيل: ولِمَ؟

قال الخادم: قل: أغلِق الباب وهات الطعام.

فقال له البخيل: أنت حرٌّ لوجه الله تعالى لمعرفتِكَ بعزم الأمور.

(لطائف عربية)

المقادير تصيِّر العيّ خطيباً

وُصِفَ عند الحجاج رجلٌ بالجهل؛ وكانت له إليه حاجة، فقال في نفسه: لأَخْتَبِرنَّه! ثم قال له حين دخل عليه: أَعصاميٌّ أنت أم عِظاميّ (الذي يفتخر بآبائه الذين صاروا عظامًا)؟ فقال الرجل: عِصاميّ وعِظاميّ، فقال الحجاج: هذا أفضل النَّاس، فقضى حاجته وزاده، ومكث عنده مُدَّة.

ثم باحثه فوجده أجهل الناس، فقال له: تصدقني وإلا قتلتُك، قال له: قل ما بَدَا لك وأصدقك. قال: كيف أجبتني بما أجبت؟ قال الرجل: والله لم أعلم أعصاميّ خير أم عظاميّ! فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت: أقول كليهما، فإن ضَرَّني أحدهما نفعني الآخر؛ فقال الحجاج عند ذلك: المقادير تصيِّرُ العَيِيَّ خطيبًا.

(مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني)

إخلاص الأُخُوَّة ومُدَاهَنَتُها

«من حقيقة المؤاخاة بالله عزَّ وجلّ: إخلاصُ المَودَّة له بالغيب والشهادة، واستواءُ القلب مع اللسان، واعتدالُ السِّرِّ مع العلانية في الجماعة والخلوة، فإذا لم يختلف ذلك فهو إخلاص الأُخُوَّة، وإنْ اختلف ذلك ففيه مداهنةُ الأُخُوَّة».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إذا تغيَّر أخوك وحالَ عمَّا كان فلا تدعه لأجل ذلك؛ فإنَّ أخاك يَعْوَجُّ مرَّة ويَسْتَقيم أُخرى».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

أوَّل مَنْ منع الوأد في الجاهلية

صَعْصَعَة بن نَاجية التميمي (جدُّ الفرزدق الشاعر الأموي)، مِنْ أشراف قومه في الجاهلية والإسلام، وأوَّل مَنْ قام في تميم بإنقاذ بناتهم من الوأد، ولمَّا ظهر الإسلام كان عنده مائة وأربع بنات أخذهنَّ من آبائهنَّ لئلا يُؤْذَيْنَ. قال صعصعة: «إنَّ هذه مكرمة ما سبقني بها أحد من العرب»، فقال الفرزدق حفيدُه مفاخرًا:

وجدِّي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم يُوءَدِ

(الأعلام للزركلي. معجم الأوائل)

حُسْن المُعَاشرة

«مِنْ حُسن المعاشر أن تتوقَّر مِنْ غير كِبْر، وتتواضَع في غير ذلَّة، وأنْ تَلْقى الصَّدِيْقَ والعدوَّ بوجه الرِّضى مِنْ غير ذُلٍّ لهم ولا خَوف منْهُم، وتَتَحَفَّظ في مجالسك مِنْ تَشْبِيْك أَصَابِعك، وإدْخَال أُصْبعك في أَنْفك، وكَثْرَة بُصَاقك، والتَثَاؤُب، واصْغ إلى مَنْ حَدَّثَك، ولا تَسْأَلْهُ الإعَادَة، ولا تُحَدِّث بإعجابك بولَدك وجَاريَتك، ولا تتَصَنَّع بَصُنْع المَرْأة في التَّزَيُّن، ولا تَتَبَذَّل تَبَذُّل العَبْد، وخَوِّف أهلك مِنْ غَيْر عُنْف، ولِنْ لهُم مِنْ غَيْر ضَعْف، ولا تُهازل أَمَتَك وعبْدَك فيَسْقُط وقَارُك، ولا تُكْثِر الالْتِفَاتَ إلى وَرَائِك...».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ت: ٧٤٢)

ما يجب على طالب العلم

ينبغي للعاقل أن يأخذ من كل علم طرفًا يهتم بالفقه، ثم ينظر في مقصود العلوم، وهو المعاملة لله سبحانه، والمعرفة به، والحب له. وليجتهد في مجالسة العلماء، والنظر في الأقوال المختلفة، وتحصيل الكتب، فلا يخلو كتاب من فائدة، وليجعل همته للحفظ، ولا ينظر ولا يكتب إلا وقت التعب من الحفظ. ولحيذر صحبة السلطان، ولينظر في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وليجتهد في رياضة نفسه و العمل بعلمه، ومن تولاه الحق وفقه.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

الاستغفار

■ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على دائكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب، ودواءكم الاستغفار» (رواه البيهقي).

■ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (رواه أبو داود).

■ عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا» (رواه ابن ماجة).

وصية أبي بكر لسلمان عند الوفاة

أخرج الإمام أحمد في الزهد عن سلمان رضي الله عنه قال: أتيت أبابكر رضي الله عنه فقلت: اعهد إليَّ، فقال: يا سلمان اتق الله، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحدًا من أهل الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك.

(حياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ٢٥٠)

المحطة الأخيرة

الزهد.. والعلاقة بين الدنيا والدين

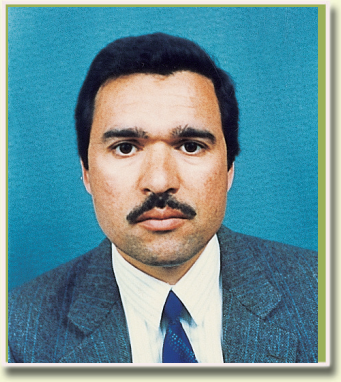

إبراهيم نويري

مسألة العلاقة بين الدنيا والآخرة وضبط تفاصيل ما يتعلق بهما ضمن معادلة واحدة دقيقة على نحو يكفل ويحقق مصالح العيش والمعاد، هي قضية دقيقة وحساسة في الفكر الإسلامي، لارتباطها المؤكد بتقدم الأمة أو تخلفها، ازدهارها وانطلاقها، أو تراجعها ونكوصها القهقرى.

ولعله من المناسب قبل محاولة تسليط بعض الأضواء على هذه المعادلة في إطار الفكر الإسلامي الصحيح، بيان معنى الزهد في الدنيا .

فمن التفاصيل الجيدة التي وردت في هذا السياق أن الزهد على ثلاث درجات أو مراتب، فهناك زهد الخائفين وهو أن يكون المرغوب فيه هو النجاة من النار وعقاب الله في الآخرة، وهناك زهد الراجين ومعناه أن يزهد الزاهد رغبة ورجاءً في ثواب الله تعالى ونعيمه الذي أعده للمتقين في جنات النعيم، أما الدرجة الثالثة فهي زهد العارفين، ومؤداه ألا يكون للزاهد رغبة سوى في الله ولقائه ورضوانه والنظر إلى وجهه الكريم.

إذا كان المعنى المشترك والمستفاد من هذه المراتب هو الترفع عن الدنيا وغرورها، والتشوّف إلى الآخرة والتعلق بما أعدّه الله تعالى لعباده الصالحين في جنات النعيم وفي الحياة الأبدية المشفوعة برضوان الله.. هل يمكن أو يصحّ للمسلم أن يفهم أيضا أن الدنيا لا تعنيه لأنها ليست دار القرار؟

الحق أن هذا الفهم إنما هو لون من ألوان الانتحار، كما هو وسيلة من وسائل تخريب الدين وإفساد العمران.

يقول الشيخ الغزالي: «إن الدين يذكّر حيث يُظنّ النسيان، ويكرّر حيث يُظنّ الإهمال ، ويوقظ حيث تُظنّ الغفلة.. وليس يُفهم أبدا من الكلام عن الآخرة شلّ الأيدي التي تعمل للدنيا، بيد أن المسلمين في عصور انهيارهم العقلي والخلقي، وهموا أن الاشتغال بالدنيا أمر منكر، فاضطربت في أيديهم مصالح الحياة، وتأدى بهم ذلك إلى شرٍّ لابدّ منه ، فضاعت من أيديهم مطالب الدين نفسه.

وظلت مضاعفات هذا الغباء تترادف حتى سقطت دولة الإسلام، وأصبحت أرضه كلأً مباحاً للاستعمار الغربي واللصوصية الدولية» (الإسلام والمناهج الاشتراكية، ص ٦٤).

فهل هناك أمل في ألا تنطلي هذه السخافة العقلية مرة أخرى على الفكر الإسلامي الذي بات في صراع مرير مع الزمن، من أجل إنقاذ هذه الأمة، والعودة بها إلى موقع استئناف دورها الحضاري والإنساني الذي يليق برسالتها وبكونها أمة شاهدة على الناس؟

ينبغي أن يعي عامة المسلمين وخاصتهم، بأن الإسلام لم يجعل التمكين في الدنيا والاستخلاف في الأرض أمرا تافها أو نشاطا ثانويا، بل إن القاعدة العامة في هذه الحياة تقضي بألا يُرشّح للسيادة في الأرض إلا الصالحون، الجادون في إيصال الإنسان إلى مكانته الحقيقية ، واستشعار دوره العتيد في الاستخلاف والتعمير والإصلاح والبناء. وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إنّ في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

إن الإسلام النابع من الفطرة الصحيحة، المنبثق من الطبيعة السليمة، الذاهب مع مسارح الفكر اليقظ كلّ مذهب، المغتبط بنتاج العقل الرشيد أيما اغتباط، يعترض بشدة على الآراء والتصورات السلبية الهزيلة ، تلك التي تنخر العقيدة، وتوهي عرى الدين باسم الزهد في الدنيا، وفي مقابل ذلك يرحب ترحيبا حماسيا حارا بكلّ نظرة جادة يسعى صاحبها إلى الاستزادة من الخير واستثمار ما حباه الله به من مزايا و مواهب، بما يدعم مسار الإصلاح العام في الحياة والمجتمع.. لذلك لم يجعل الإسلام في تعاليمه كلها الإقبال على الدنيا دليل رقة في الدين أو ضعف في اليقين. بل إن الاستخلاف في الأرض لا يعني سوى إعمارها واستخراج خيراتها بما يُرضي الله ويُسعد الإنسان.

لابد أن تعرف الأجيال المسلمة الحاضرة والصاعدة بأن فقر اليد وعدم السبق في كلّ شؤون الدنيا معناه باختصار ودقة: إلحاق الهزيمة بالعقيدة الإسلامية وإحراج الإسلام، وجعل سياسات الأقوياء لا تدور إلا في فلك التآمر علينا وإذلالنا على كلّ صعيد.

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

أبو الأعلى المودودي

محب الدين الخطيب

عبد العزيز المطوع

أحمد حسن الزيات

تقي الدين الهلالي

محمد ناصر الدين الألباني

مالك بن نبي

محمد أبو زهرة

عبد الحليم محمود

أبو الحسن الندوي

عبد الله النوري

نديم الجسر

محمد حسين الذهبي

السيد سابق

عبد الفتاح أبو غدة

علي الطنطاوي

عبد الله خياط

محيى الدين عبد الحميد

درر المقالات الحصرية النافعة على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي» على مدى عشرات السنين لـ (٣٥) من نوابغ العلم والدعوة والأدب

الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

احرص على اقتناء إصداراتنا

- دراسات علمية
- مقالات فكرية
- حوارات حصرية

اشترك واحصل الآن على المجموعة الكاملة المصورة لمجلة «الوعي الإسلامي» بنظام P.D.F مجاناً

من أجل تأصيل فكري معتدل

املأ قسيمة الإشتراك أو اتصل على ١٨٤٤٠٤٤

منبر علمي وفكري وثقافي عريق يساهم في تنمية الوعي المجتمعي، ويعزز منطلقات الهوية العربية والإسلامية، ويؤصل القضايا الشرعية وفق منظور وسطي معتدل.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الإلكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com